مختارات من الأدب الإسباني

جوزفين الياس كوزاك



مختارات من الأدب الإسباني

العنوان : مختارات من الأدب الإسباني

ترجمة : جوزفين الياس كوزاك

الطبعة الأولى 2014

تصميم الغلاف : الفنان رائد خليل

مختارات من الأدب الإسباني

((اللاتين أمريكاني)) أمريكا الجنوبية

ترجمة: جوزفين إلياس كوزاك



غابو يودع بقصيدة

أدرك غابرييل غارسيا ماركيز مؤخراً سوء حالته السرطانية، فكتب قصيدة، أطلق عليها اسم «دمية المسرح» إنَّ مبدع «ماكوندو» يودّعنا ولأشارك القرّاء أترجمها دون تعليق:

. دمية المسرح.

لو ينسى الرب للحظة أني لعبة قماشية ويهبني بقية من حياة لكان من المؤكّد أن أفكّر بكل ما أقول، إن لم يكن بإمكاني أن أقول كلّ ما أفكّر به.

ولأقيّمن الأشياء ليس بما لها من قيمة بل بمالها من معنى، لأنامنَّ قليلاً ولأحلمنّ أكثر أعلم أن كل دقيقة نغمض بها عيوننا نخسر ستّين ثانية من النور. سأمشي حينما يقف الآخرون وأستيقظ عندما ينامون لأصغينّ عندما يتكلم الآخرون وكم أتمتعنّ بمثلج شوكولا لذيذ.

لو يهبني الله بقية من حياة لارتديت البساطة وتعريت تحت أشعة الشمس لا بجسمي فقط بل بروحي أيضاً.

إلهي لو كان لي قلب لكتبت كرهي على الجليد وانتظرت بزوغ الشمس.

لحلمت بأحلام من «فان كوخ» قصيدة «لبنديتي» على الكواكب، ولحولت أغنية «شيراز» ترنيمة للقمر.

لأسقين الورود بدامعي كي أستشعر ألم أشواكها والقبلة المجسدة من تويجاتها.

إلهي لو كان لي بقية من حياة، لما تركت لحظة واحدة تمرّ دون أن أقول للناس بأني أحب، بأني أحبّهم، سأقنع كلّ امرأة ورجل بأنهم الأثيرون لديّ ولأعيشنّ مدلها بالمحبة.

سأبرهن للرجال مدى غلطهم بالابتعاد عن الحبّ عندما يكتهلون، غير عالمين بأنهم يكتهلون بابتعادهم عن الحب.

لأمنحنّ طفلاً أجنحة ولكنّي سأدعه يتعلّم الطيران بمفرده ولأعلمنّ الشيوخ بأن الموت لا يأتي مع الشيخوخة بل مع النسيان.

كثيرة هي الأشياء التي تعلّمتها منكم معشر الرجال.

أدركت بأنّ كل الناس يريدون الحياة في قمّة الجبل دون أن يدروا أنّ السعادة الحقيقية تكمن في كيفية تسلّق المرتفعات.

علمت بأنّه حالما يشدّ حديث الولادة إصبع والده بقبضته الصغيرة ولأوّل مرّة، يأسره إلى الأبد.

تعلّمت إنّه لا يحق لامرئ النظر لآخر قد سقط مالم يكن لمساعدته في النهوض.

كثيرة هي الأشياء التي تعلّمتها منكم، ولكن في النهاية لن تكون ذات فائدة كبيرة، لأنّه عندما يضعونني داخل تلك الحقيبة.

لسوء الحظ سأكون قد فارقت الحياة.

عن المحامي المشهور الفنزويلي: Saul Amdrade الذي التقطها من الانترنت ونشرها في صحيفة البوليفار: Dugue jumenez في 22/06/2000م.



يوم الزلزال

حدث هذا في أيلول، لا أيلول هذا العام بل أيلول العام الفائت، أم تراه قبل الفائت؟ ميليتون؟

ـ لا، كان العام الفائت.

ـ أجل، أجل تذكّرت جيّداً. جرى في أيلول الماضي /21/ منه. اسمعني، ميليتون، ألم يكن الواحد والعشرون من أيلول اليوم الخاصّ بالهزّة؟.

ـ قبل ذلك بقليل. على ما أذكر كان 18 منه.

ـ أنت على حقّ. كنت تلك الأيام في "توسكاكويكسو". حتّى إنّي رأيت البيوت تتهادى كما لو أنّها بنيت من سوائل، ليس أكثر من أن تتلوّى هكذا، متفسّخة وتهوي الحيطان كاملة على الأرض. والنّاس يخرجون من بين الركام هلعين رعباً راكضين إلى الكنيسة وهم يصرخون. ولكن انتظروا: اسمع ميليتون، يخيّل لي أنه لا يوجد أية كنيسة في توكسكا كويكسو لا يوجد أيّة كنيسة: ألا تتذكر؟

ـ لا توجد. لم يبق هناك سوى جدران محطّمة يقال إنّها كانت كنيسة منذ ما يقرب المائتي عام؛ ولكن لا أحد يتذكرها، ولا كيف كانت؛ إنّها تشبه في أحسن الأحوال حظيرة مهجورة مهمّشة بشجيرات من التين.

ـ أحسنت القول. إذن، لم تلحقني الهزّة في "توكساكويكسو" يجب أن تكون حدثت في "البوتشوتي".

ولكن "البوتشوتي" كوخ، أليس كذلك؟.

ـ أجل، ولكن هناك قبّة صغيرة يسمّونها الكنيسة، تبعد قليلاً عن "مزرعة الكامراسيس".

ـ إذن هناك بالذات فاجأتني الهزّة هذه التي أحدّثك عنها عندما خسفت الأرض كلّها كما لو أنّها تعتلج داخلاً. حسناً وبعد أيام قلائل؛ وإنّي لأذكر أنّنا لم نزل نشير للجدران إذا بالحاكم يصل، أتى ليرى أيّة مساعدة يستطيع تقديمها بحضوره. كلكم يعلم أنّه ما أن يحضر الحاكم، ويراه النّاس حتّى يغدو كلّ شيء على ما يرام. القضيّة هي على أقلّ تقدير في مجيئه ليرى ما حدث، لا أن يبقى هناك سجين بيته، مكتفياً بإعطاء الأوامر. بمجيئه، كل أمر يهون، ويبقى النّاس جدّ فرحين على الرغم من انهيار منازلهم بالتعرّف عليه.

أليس كذلك ميليتون؟

ـ لا جدال بذلك.

ـ حسناً، كما سبق وقلت، وفي أيلول العام الماضي، بعد الهزّات بقليل وقع علينا الحاكم ليرى كيف عامَلَنا الزلزال.

جلب معه أحد الجيولوجيين وآخرين ذوي معرفة، لا تحسبوا أنه أتى بمفرده!.

أسمع ميليتون. كم كلّفنا إطعام مرافقي الحاكم؟..

ـ قرابة أربعة آلاف بيسو.

ـ مع أنّهم لم يبقوا سوى يوم واحد وذهبوا عندما حلّ المساء، وإلاّ من يعلم بأيّة زيادة كنا سنخرج محمّلين، ومع ذلك ولا أنكر كنّا جد مسرورين: كانت أعناق البشر أن تنكسر من كثرة ما اشرأبّت لرؤية الحاكم وليعلّقوا كيف أكل الدّيك الرومي وفيما إذا كان قد مصمص العظام وعن سرعته بتناول قرص العجّة تلو الآخر بعد رشّه بربّ الأفوغادو؛ تطلّعوا إلى كلّ شيء، وهو بكل هدوء ورزانة ينظّف يديه بجوربيه كي لا يتّسخ منديل الطعام الذي يستخدمه فقط لمسح شاربيه من آن لآخر. وبعد ذلك عندما دارت خمرة الرّمان في رؤوسهم، شرعوا في الغناء جميعهم ككورس. اسمع، ميليتون، ما هي الأغنية التي راحوا يردّدونها كأسطوانة مشروخة؟.

ـ كانت تلك التي تقول: "لا تدري من الروح ساعات الحداد".

ـ جميلة منك هذه الذّاكرة، ميليتون، دون شكّ، أجل كانت تلك. والحاكم يضحك وحسب؛ سأل عن الحمّام. ثمّ جلس مجدّداً في مكانه اشتم القرنفل الذي كان على الطاولة، تطلّع إلى المغنين وراح يحرّك رأسه متتبعاً النّغم مبتسماً. لا شكّ إنه يشعر بالسعادة، لأنّ شعبه كان سعيداً، حتّى إنّه استطاع استشفاف أفكاره. وساعة إلقاء الخُطب وقف أحد مرافقيه مشرئبّ الوجه مائلاً قليلاً إلى اليسار. وتكلّم. وليس هناك من شك بأنّه جلبها معه. تكلّم عن (YUAREZ) من أقمنا تمثاله في الحديقة وآنئذٍ فقط علمنا أنّه تمثال (YUAREZ)، لأنّه لا أحد استطاع أن يخبرنا من كان ذلك الشخص المتسلّق ذلك الأثر التذكاري. كنّا نعتقده دائماً إمّا

Hidalgo أو Mororles) أو Venustiano carranya) حيث كنّا نقيم لكلّ منهم احتفالاً بعيده. إلى أن أتانا ذلك المتأنّق ليقول لنا بأنّه السيّد YUAREZ BENITO. والأشياء التي قالها!! أليس كذلك، ميليتون؟ أنت ذو الذاكرة القويّة ستتذكّر جيّداً ما أملاه ذلك الإنسان.

ـ أتذكّر جيّداً؛ غير أنّني كرّرته مرّات عدّة حتّى أضحى مملاً.

ـ حسناً. ليس ضروريّاً. فقط هؤلاء الأسياد يضيعون من شيء حسن. والآن من الأفضل أن تخبرهم ما قاله الحاكم.

القضيّة أنّه عوضاً عن كونها زيارة للمتألمين ولمن فقدوا بيوتهم، تحوّلوا إلى سكيرين من الدرجة الأولى، والآن لا يعلم متى دخلت فرقة Tepee الموسيقية التي وصلت متأخّرة لأنّ كلّ الشاحنات كانت مشغولة في مواجهة عالم الحاكم ممّا اضطرّ الموسيقيين أن يأتوا مشياً على الأقدام، لكنّهم وصلوا. دخلوا وهم يقرعون بشدّة الهارب والطبلة، مصوّتين تاتاتشوم، تشوم، تشوم، بالدفوف متحفّزين بكلّ رغبة للصياح كان ذلك، مرئيّاً، حتّى إنّ الحاكم خلع سترته وحلّ عقدة ربطته، واستمرّ الأمر مبلبلاً. جلبوا قوارير خمرة أخرى وأسرعوا في شواء لحم الوعل، لأنّه حتّى ولو لم تصدّقوا ودون أن ينتبهوا، كانوا يأكلون لحم الوعل الذي يكثر هنا، ضحكنا عندما قالوا بأنّ الشواء جيّد جدّاً؛ أليس كذلك ميليتون؟ حيث أنّنا هنا لا نعلم ما هو هذا "الباربا كوا". والواقع ما أن نقدّم لهم طبقاً حتى يطلبوا آخر، وعلى أيّة حال كنّا هناك لخدمتهم؛ لأنّه كما قال "ليبيريو" مدير الـ Timbre مَن وبين هلالين كان دائماً مقتّراً، لا يهمّ هذا

الاستقبال كلّف ما كلّف، فلأمرٍ ما كانت "الدراهم" وبعدها أنت ميليتون وكنت حينئذٍ مدير ناحية، وكدتُ أجهلك عندما قلت: "أغدقوا الخمر، زيارة كهذه لا يبخس حقّها". وحقّاً سالت الخمرة حتّى لوّنت الأخونة.

وكأنَّ هؤلاء النّاس لا يشبعون. وكنتُ أرى الحاكم وحده لا يتحرّك من مكانه، حتّى ولا يمدّ يده، بل حسبه يأكل ويشرب ما يقدّم له؛ غير أنَّ كتلة المأكولات تختنق على هذه المائدة المليئة لدرجة أنّها لا تتسع ولا حتّى للمملحة التي كانت بيده والتي يدسّها في جيب قميصه عندما يفرغ منها.

وبالمناسبة كنت قد سألته: "ألا تحبّ الملحَ، يا جِنرالي".

فأشار ضاحكاً إلى المملحة في جيب القميص، وذلك ما لفت انتباهي.

وكان الأدهى عندما بدأ الكلام. اقشعرّت أبداننا جميعاً من حرارة العاطفة. انتصب متمهّلاً ببطء شديد، حتّى إنّنا رأيناه يدفع الكرسي برجله إلى الخلف؛ ويضع يديه على الطّاولة؛ ويحني رأسه كما لو أنّه يستعدّ للطيران ثمّ سعاله الذي تركنا وكأنّ على رؤوسنا الطّير. ما الذي قاله ميلتون؟ - أيّها المواطنون. قال. وأنا أتذكّر مشروعي وأحيي النّظام الوحيد لوعودي. أمام هذه الأرض التي قمت بزيارتها كرفيق مجهول لمرشح الرئاسة. مساهم مساعد لرجل مثلي تأبى كرامته أن ينفصل عن فحوى مطالبكم السياسية بل إنّه على العكس من ذلك تجسيد ثابت للمبادئ الديمقراطية في أقوى رابطة وحدوية مع الشعب، ترفض الصّعوبات التي أبدت معالمها التركيبية المثالية الثورية والتي حتّى الآن وللأبد لن تطبّق ولن تتأكد.

- هناك انطلق التّصفيق، أليس كذلك يا ميلتون.

ـ بل تصفيق حاد . ثمَّ تابع : "مسيرتي هي ذاتها أيّها المواطنون . لقد كنت متواضعاً بوعودي كنائب، جاهداً ألاّ أعِدَ إلاّ بما أستطيع تحقيقه وترجمته بشفافية للصّالح العام وليس للصّالح الذاتي، لا أخصص عائلة متميّزة بين المواطنين" .

نحن هنا اليوم في هذا الواقع المضاد من الطبيعة، غير المسبوق خلال برنامجي الحكومي...

ـ تماماً، يا جنرالي!! صرخ أحدهم هناك ـ تماماً! كما قلت! .

ـ في هذه الحالة، أقول عندما عاقبتنا الطبيعة، كان حضورنا المرحّب به في أحد المراكز الأرضيّة الذي شمل مناطق كان يجب أن تكون لنا ؛ وهي لنا ؛ أسرعنا للنّجدة ليس بالرغبة النيرونية للتمتّع بمصيبة الآخر، لا بل إنّنا مصمّمون على بذل جهدنا بكل إخلاص لإعادة بناء المنازل المهدّمة، ومصمّمون أخويّاً على تعزية البيوتات المتضرّرة بالموت. هذا المكان الذي قمت بزيارته منذ أعوام، مبتعداً حينذاك عن أيّ طمع بالحكم، سعيداً يومئذٍ ؛ بلبس الحداد هذا العام وهذا يؤلمني . أجل مواطنيّ توجعني جروح الأحياء لخسارتهم أرزاقهم وألم الكائنات الصّارخ على موتاهم تحت هذا الركام دون دفنهم، كما يحضرنا" .

ـ وهناك انطلق التصفيق أيضاً ، أليس كذلك، ميليتون؟

ـ لا ، هناك سُمع من جديد الصيّحة السّابقة : تماماً سيّدي الحاكم! كما قلتَ سابقاً . و ثمّة آخر هناك .

صرخ : اسكتوا هذا السّكير! .

. آه، أجل، وكأنّه بدا اضطراب في الصّف الخاص بالمائدة، ولكن الجميع سكن عندما تكلّم الحاكم من جديد .

. أيّها التوكسكاويون، أعود لأؤكّد: تؤلمني مصيبتكم، وعلى الرّغم ممّا قاله "برنال" البرنال دياز كاستيلو الكبير: "الرّجال الذين توفّوا كان قدرهم الموت". أنا بتقديري لمفهومي الأنثولوجي والإنساني، أقول: أتألم الألم الذي يبعثه سقوط شجرة أوائل إزاهارها. سنساعدكم جهدنا. إنَّ قوّات الحكومة الحيّة تستنجد من مواقعها مساعدة المتضرّرين من هذه الواقعة غير المسبوقة ولا المأمولة. لن تنتهي مهمّتي ما لم تتحقّق. من جهة أخرى لا أعتقد أنَّ إرادة الله كانت لتسبّب لكم الأذى أو تهجيركم ....".

. وانتهى هنا. لم أفهم ما قاله بعدئذٍ بسبب ازدياد صخب الطاولات الخلفية وأمسى من الصّعب جدّاً متابعة ما استمرّ قائلاً:

. حقيقة، ميليتون. لقد كانت واضحة للعيان. ولذلك أقول لكم كلّ شيء. حيث أن عنصر اللجنة ذاته عاود الصّياح: تماماً! تماماً! مع بعض الصّفير الذي سمع حتّى في الشّارع. وعندما حاولوا إسكاته، سحب المسدّس وبدأ يطلق فوق رأسه؛ وكان أن أفرغه في السّقف. وهرع المتفرّجون راكضين هرباً من الرّصاص. وانقلبت الموائد عند سقوطها وسمع تحطّم الأطباق والزجاج والقوارير التي رموا بها حامل المسدّس كيما يهدأ، وتفجّرت على الحائط لا أكثر والآخر وجد لديه من الوقت الكافي ليشحن سلاحه ويفرغه بعناية جديدة بينما يتمايل هنا وهناك متحاشياً صندوق القوارير المتطايرة المراوحة في كلّ الجهات.

لو رأيتم الحاكم واقفاً هناك ، رزيناً متجهّم الوجه ، ناظراً حيث الجلبة وكأنَّه يريد تهدئتها بنظرته تلك .

من يدري من طلب من الموسيقيين أن يعزفوا شيئاً ما ، والحقيقة أنَّهم انطلقوا يعزفون النشيد الوطني بكلّ قواهم ، حتّى لتنفجر قبضة الآلة الموسيقية من شدّة نفخهم لها ؛ ولكن لم يجدِ نفعاً فلقد استمرّت الحالة . فهناك في الخارج ثارت المشكلة . أتوا ليعلنوا للحاكم أنَّ هناك ضراب سكاكين ؛ وتأكّد له بعد أن ثبّت نظره سماع أصوات نساء تقول :

- "أبعدوهم وإلا سيقتلون!" وفي الوقت نفسه صرخة أخرى تقول :

- لقد قتلوا زوجي! ألقوا القبض عليه .

وبقي الحاكم واقفاً دون حراك .

- اسمع ، ميليتون ما هي الكلمة المناسبة للقول ....

- لا مبالي .

- أجل ، هو ذاك لا مبالي ، حسناً ، مع المعركة في الخارج ، كأنَّ الأمر بدأ يهدأ في الدّاخل . لقد كان السّكير ذو الصّرخة "تماماً" نائماً ؛ لقد أسكروه بكرعة قارورة كبيرة من الخمر فراح متهتهاً كليّاً ومرميّاً أرضاً .

عندئذٍ اقترب الحاكم من هذا الفلان وانتزع المسدّس الذي لم يزل ممسكاً به بإحدى يديه جرّاء الإغماءة . أعطاه لآخر وقال له :

- "تكفّل به وخذ بعين الاعتبار أنّه لا يستحقّ حمل السلاح" .

وأجاب الآخر : "أجل يا جنرالي" .

- "لا أعلم لماذا استمرّت الموسيقى عزفاً وعزف النشيد الوطني، وبدأ المتأنّق الكلام رافعاً ذراعيه وسأل الصمت احتراماً للضحايا. اسمع، ميليتون، لأجل أيّة ضحايا سألنا جميعاً السّكوت؟".

- من أجل المختارين.

- حسناً من أجل أولئك. ثمّ جلس الجميع، مدّت الموائد وتابعوا شرب الخمر وغناء تلك الأغنية ذاتها "ساعات الحداد".

الآن أتذكّر بأن ذلك جرى الواحد والعشرين من أيلول الزّاهر. لأنّ زوجتي ولدت يومها ابننا "ميرنسيو" ووصلت تلك الليلة البيت متأخّراً جدّاً بل وسكراناً دون وعي. ولم تكلّمني لعدّة أسابيع محتجّة بأنّي تركتها لوحدها مع موعدها.

والآن وقد رضيَتْ علّقت قائلة بأنّي لم أكن لأصلح حتّى لأن أدعو القابلة وكان عليّ أن أترك الأمر لمشيئة الله.

❖ من كتاب "السّهوب تحترق" للكاتب المكسيكي JUAN RULFO LOS LLANOS.EN LLAMAS

نشرت في الأسبوع الأدبي العدد /255/ تاريخ 2011/07/16م.



أَعْطِنا أرضاً

بعد عدّة ساعات من السّير في أرض لا ظلّ شجرة فيها ولا بذرة ولا جذر أي شيء، تسمع نباح كلاب.

كثيراً ما يعتقد المرء وسط هذه الطّريق الممتدة أن لا شيء على الطرف الآخر ولن تستطيع أن تجد شيئاً في نهاية هذا السّهب المجرّح بالصّدوع وبالجداول الجافّة. ولكن بلى، هناك توجد قرية، حيث تسمع الكلاب تنبح وتحسّ رائحة الدخان في الهواء وتتذوّق هذه الرائحة من النّاس كما لو كانت أملاً.

غير أنَّ القرية لم تزل بعيدة جداً، والريح تشعرك بقربها...

منذ الفجر ونحن نمشي، والآن وقد قاربت السَّاعة الرابعة بعد الظهر، يتطلّع أحدهم إلى السّماء، ويمدّ بصره إلى الشمس المعلّقة ويقول:

- كأنَّها الرابعة عصراً.

إنَّه ميليتون، هنا معه فاوستينو وأنا. إنَّنا أربعة. أنا أعدَّهم: اثنان في الأمام واثنان آخران وراء. انظر بعيداً إلى الخلف ولا أرى أحداً. عندئذٍ أقول: نحن أربعة، منذ قليل حوالي السَّاعة الحادية عشرة كنَّا أكثر من عشرين؛ وقبضة بعد أخرى تفرّق الشّمل ولم يبق أكثر من هذه العقدة التي هي نحن:

فاوستينو يقول:

- قد تمطر.

رفعنا كلّنا أنظارنا ورأينا سحابة سوداء ثقيلة تمرّ فوق رؤوسنا وفكّرنا: "يمكن ذلك".

لا نقول ما نفكّر به، منذ وقت طويل فقدنا الرّغبة في الكلام. فقدناها بسبب الحرّ. يطيب للمرء أن يتكلّم في مكان آخر، ولكن هنا يتكلّف جهداً. يتحدّث المرء هنا وتسخن الكلمات في فمه جرّاء الحرارة في الخارج، وتجف على لسانه وتنتهي به إلى كتم الأنفاس، هنا هكذا تسير الأمور، من أجل ذلك لا أحد يرغب بالحديث.

تقع على الأرض نقطة ماء كبيرة ثخينة، تصنع ثقباً فيها، وتترك علامة تشبه اللعاب، تقع وحيدة.

ننتظر أن تتابع ا لتساقط أكثر مستطلعين بأعيننا، لكن لا نقطة أخرى. لا تمطر. إذا ما تطلّعت إلى السماء الآن ترى الغيمة الماطرة مسرعة للبعيد البعيد.

تدفعها الريح المؤاتية من القرية لمواجهة ظلال التلال الزرقاء، والنقطة التي سقطت خطأً تأكلها الأرض ويخفيها عطشها.

أيّة شياطين صنعت هذا السّهب بهذه السعة؟.. بماذا يفيد؟.. إيّه...

عاودنا المسّير، كنّا قد توقّفنا لنرى المطر. لم تمطر، عدنا نمشي الآن، يتراءى لي أنّنا مشينا أكثر ممّا قمنا به من السّير، يخيل لي هذا. لربّما تراءت لي أمور أخرى لو أنّها أمطرت، على كلٍّ ما أعلمه منذ كنت صغيراً لم أرها تمطر فوق السّهب، مطلقاً أي ما يسمّى مطر.

لا ، ليس السّهب بشيء نافع. لا أرانب ولا طيور. لا يوجد شيء ولولا بعض الشوكيات ونقاط عشية هنا وهناك، بوريقاتها الجعدة، لما كان هناك شيء ما..

نحن هنا نمشي أربعتنا على الأقدام، فيما مضى كنّا نركب الخيل ونحمل البنادق جاهزة. والآن ولا حتّى البندقية معنا.

أعتقد إنَّهم أحسنوا صنعاً بنزع البندقية منّا. إنّه لأكثر خطراً أن تكون مسلّحاً هنا. يقتلون الآخر دونما إنذار، إذا ما رؤوه والثلاثين رصاصة إلى حزامه. غير أن الأحصنة أمر آخر. لو جئنا راكبين لتذوّقنا الماء الأخضر في النهر، ولمتّعنا معدنا بهضم الطّعام في شوارع القرية. لفعلنا ذلك لو كانت معنا تلك الخيول. ولكنَّهم انتزعوا منَّا الخيول والبندقية أيضاً أعود لأنظر السهب من جميع الجهات، أراض واسعة قفار. تكلّ الأبصار دون أن تقع على شيء فقط بعض الحشرات تخرج لتطلّ برؤوسها فوق جحورها، وما أن تشعر لظى الشّمس حتّى تهرع لتختبئ في ظل صخرة ما. ولكن ماذا نفعل لنتحاشى الشمس عندما نشتغل هنا؟ لماذا أعطونا هذا الجلد لنزرعه...

قالوا لنا:

من القرية إلى هنا لكم.

سألناهم:

- السهب؟

- أجل السّهب، كل السّهب الكبير.

زممنا شفاهنا لنلعن أنّنا لا نريد السّهب. إنّنا نريد الأرض بمحاذاة النهر، من النهر حتى هناك حيث الخصوبة حيث الأشجار المختلفة والأرض الطيبة. وليس هذا الجلد البقري القاسي المسمّى بالسهب.

غير أنّهم لم يتركوا لنا فرصة التعبير عن آرائنا . لم يأتِ المسؤول للتحدّث معنا . وضع الأوراق بين أيدينا وقال لنا :

ـ لا تخشوا ملكية كبيرة كهذه بمفردكم . . .

ـ ولكن السّهب سيّدي المسؤول . .

ـ إنّها آلاف وآلاف الفدادين .

ـ ولكن لا ماء هناك حتّى ولو كان للمضمضة .

ـ والمناخ الفصلي؟ لم يقل أحد أننا سنعطيكم أرض سقي . ما أن تمطر حتّى تشبّ الذرة وكأنها تشدّ إلى فوق .

ـ ولكن سيّدي الوكيل . الأرض عفراء قاسية ولا نعتقد أن الآلة تخترقها ، كونها جدّ صخرية هذه الأرض السهبية . علينا أن نثقبها بالفأس لنزرع البذرة ومع ذلك لن نجني شيئاً ؛ لا ذرة ولا أيّ شيء آخر ينبت هناك .

ـ قدّموا احتجاجكم هذا كتابيّاً ، اذهبوا الآن عليكم أن تهاجموا القفار ، لا الحكومة التي تعطيكم الأرض . . .

ـ صبراً سيّدي النائب ، لم نقل شيئاً ضدّ المركز . كل شيء ضدّ السهب ، لا قدرة لمن لا قدرة له . هذا ما قلناه . أمهلنا لنوضح لك ، وعود على بدء . .

ولكنه لم يشأ سماعنا . وهكذا أعطونا هذه الأرض وفي هذه الأرض البوار يريدوننا زراعة بذور ما ، لنرى إذا كانت تعيش وتنبت ، ولكن لا شيء ينبت هنا ، ولا حتّى النفايات من الطيور ، يراها المرء بين الفينة والأخرى تتسابق طائرة ، محاولة الخروج بأسرع ما يمكن من هذه البرية الجرداء القاسية ، حيث لا شيء يتحرّك وحيث يمشي الإنسان مستسلماً ويقول ميليتون :

. هذه هي الأرض التي أعطونا . .

فاوستينو يقول :. ماذا؟ . .

. أنا لا أقول شيئاً . أفكّر : "ميليتون أضاع عقله . لقد جعله الحرّ يتكلم هكذا ، الحر الذي اخترق القبّعة وأحرق رأسه . وإلاّ . لماذا يقول ما يقول؟ أيّة أرض أعطونا ميليتون؟ هنا لا توجد الكمية اللازمة للريح تذروها لعوباً" .

عاد ميليتون ليقول :

. ستستخدم في شيء ما ولو لركض المهرات .

. أيّة مهرات؟ سأله استيبان .

لم أكن قد تبينت استيبان جيّداً ، وإذ يتكلّم الآن أتفرّس فيه . إنه يلبس كسوة تصل السرّة . وتحتها شيء ما يشبه الدجاجة يخرج رأسه .

أجل إنها دجاجة ملوّنة تلك التي يحملها استيبان . ترى عينيها الناعستين والمنقار المفتوح كما لو أنّها تتثاءب . أسأله :

. اسمع ، تبيان ، من أين اختلست هذه الدجاجة؟ . . .

. هي دجاجتي!! . . أجاب .

. لم تجلبها سابقاً ، من أين اشتريتها ، إيه؟ . .

. لم أتسوّقها . إنها من مدجنتي . .

. إذن جلبتها للتّجارة . أليس كذلك؟ . .

. كلاّ بل لأعتني بها ، داري خالية ولا أحد يطعمها ؛ لذا أتيت بها . عندما أخرج بعيداً أحملها معي .

ـ ستختنق هناك مختبئة. أخرجها للهواء أفضل. يرتّب أمرها تحت ذراعه وينفخ الهواء السّاخن عن فمها. ثمّ يقول:

ـ وصلنا الآن الخراب.

لم أعد أسمع ما يتابع استيبان قوله.

نزلنا الوادي مصطفّين وهو يتقدمنا، لقد أمسك الدجاجة من رجليها يحرّكها كل الوقت كي لا يصطدم رأسها بالحجارة...

نهبط بتأنّ. تصبح الأرض جيّدة، ويرتفع مثار النّقع حولنا كما لو أنّ فصيلة من بغال تنزل هناك؛ لكن نحبّ أن نعفّر بالتراب. نحبّ. يروق لنا بعد أن قضينا إحدى عشرة ساعة ندعس قساوة السهب شعرنا بلذّة كبيرة عندما لفّنا ذلك يتقافز فوقنا بطعم الأرض.

فوق النهر وأعالي الأشجار الخضراء تطير أسراب الدجاج البرّي، وهذا أيضاً يرّنا. والآن نسمع نباح كلاب هنا. قريباً منّا، ذلك أنّ الريح الآتية من القرية تعصف في الوادي وتملؤه صخباً.

عاد استيبان يضمّ دجاجته عندما اقتربنا من البيوت الأمامية. فكّ ساقيها ليحرّرها، ثمّ اختفى ودجاجته خلف أجمة أشجار العطوس.

ـ من هنا انقاد ـ يقول لنا استبيبان. نحن تابعنا إلى الأمام، داخل القرية أكثر الأرض التي أعطينا، هناك فوق.

"EL LL Ano En Llamas Oveja negra1984" من كتابات "Pedro Paramo" "Juan Rulfo"
طباعة كولومبيا.

الطائر الفنزويلي

لا يا بنيّتي، لا تستطيعين الاحتفال بالمناولة الأولى، أنتِ تعلمين لو كان بمقدوري لأسعدتك، ولكن ذلك الثوبَ يكلّف الكثير من الدراهم ونحن جدّ فقراء. لا تبكي آنا إيزابيل، لماذا تبكين ؟ ستكون المناولة الأولى مختصرة. سأسوّي لك فستانك ا لأبيض الزّاهر، سأصنع له ياقة جديدة وحزاماً عريضاً بشريطة كبيرة. ألا ترغبين؟ ولكن لا تبكي آنا إيزابيل، لا يجب أن تبكي من أجل ثوب لا تذهبي إلى أين تذهبين؟..

راحت آنا إيزابيل تركض، منطلقة لا تدري إلى أين، تودّ الذهاب بعيداً بعيداً جدًّاً عن بيتها. بيت «الكنتارا». الذهاب بعيداً بعيداً جدًّاً عن بيتها. بيت «الكنتارا». الذهاب إلى الحقول، إلى الجبال، إلى الأنهار..... ولكن أين تستطيع الذهاب الصغيرة آنا إيزابيل ذات الوجه الأصفر، و ثمار سنوات الطرية؟ إن صدرها ليضيق برغباتها في الاجتياح، في السفر إلى حيث لا تدري، وفي الشعور بالحرية، حرّة؟ ولكن ما الذي يقيّدها؟ تستطيع الهرب ذات ليلة والجميع نيام، ذات ليلة مظلمة وشجرة الحديقة متساقطة تطاول عنان السّماء.

ذات ليلة دون قمر والأطفال الصّغار نائمون. ذات ليلة والكل نائم، ستذهب في طريق «غامبو» على الأقدام، ماشية بمحاذاة السّياج الأبيض

في ليلة حالكة، أمشي وأضطجع على العشب لأرتاح. أستيقظ مع زقزقة العصفور الطنان، أمدَّ ذراعيَّ وساقيَّ وأقهقه لأني أصبحت حرَّة، راقدة على العشب في طريق «غامبوا».

لماذا لا تذهب آنا إيزابيل ذات ليلة ساكنة والنَّاس نوَّم؟..

صعدت آنا إيزابيل إلى السطح، تأملت قمم أعالي أشجار السَّاحة ودار «أوتيلا». لو تستطيع العيش أعالي الشجّر.

- سأرتب لكِ الثوب الأبيض ذا الزهيرات آنا إيزابيل لا تحبّ البكاء، والحقيقة إنَّها صعدت إلى السطح لتبكي بارتياح، لأنَّها لا تحبّ أن يروها تبكي.

أجل، ومن أجل ذلك هي هنا، كي تبكي بحرقة شعورها، كم هي شقية؟!...

ولكن آنا إيزابيل لا تبكي، الأشجار مورقة خضراء، هناك أعلى الشجرة عصفور يتألّق بين الأغصان، بصدره الأصفر وساقيه الناعمتين.

يا للبطل - قالت الخالة كلارا. بكاء لأجل ثوب.. وهي الطفلة التي ستقترن بالسيد المسيح! عروس المسيح؟ لم يدر بخلد آنا إيزابيل شيء من هذا القبيل. كانت تحلم بالطّرحة وبإكليل الورد يصلها من باريس، كما قالت الآنسة. وصورتها وهي راكعة على المصلّى، معقودة اليدين، متطلعة إلى الأعلى كما لو أنَّها ترى عرضاً في واجهة «المصوَّر مارتينز».

لنرَ إذا كان للويسا فيفورا واسبرانز كالديرا أن تتجرّأ وتنعتاها بالقبح بعد رؤيتهما تلك الصَّورة..

عروس السيّد! لماذا لم تقل الآنسة ذلك؟..

ـ توخّوا اختيار الأمثل، سيتناول معكم المناولة الأولى مجموعة من «معهد الأخوات»...

لم تأتِ الآنسة على ذكر الاقتران ب السيّد، كلاّ، آنا إيزابيل لا تريد ذلك، ألا تريد الزواج؟ طبعاً تريد! ولكن من أمير يملك قصراً من الذهب و المرمر ستكون أميرة، ولويسا فيفورا واسبرانزا كالديرا وصيفتيها.

وتستطيع أيضاً أن تتزوَّج بحّاراً، آنا إيزابيل لا تعرف البحر. كل صديقاتها قضين إجازات في ماكوتو ومايكتيا ولم يأ خذها أحد هناك أبداً..

ـ مستحيل بنيّتي. الإجازات للأغنياء نحن الفقراء محكومون بالبقاء هنا..

ولكن آنا إيزابيل تحت البحر محبّة المرء لحلمه.

أجل ستتزوّج بحّاراً مثل أحد هؤلاء الذين صعدوا إلى كاركاس من باخرة راسية في مرفأ «لاغوايرا» بقمصانهم المخططة بالأبيض والأزرق وأكتافهم العريضة.

صحيح أن هذه القمصان متّسخة مشبعة بالعرق، سيماء البحارة الحزن والتعب. غير أن آنا إيزابيل لا تفكّر إلاّ بالنسيم البحري وكيف هي الأمواج؟ عالية خضراء ربّما.

عروس السّيدا!! إذا كان عليها أن تقترن بالسيّد فآنا إيزابيل لا ترغب بعد الآن في مناولتها الأولى..

السيد الصالح، تكرِّر القول تلك الآنسة..

ولكن السيد يرى دائماً كل ما تقوم به آنا إيزاييل.

عيناه في كل الجهات، وعندما تسيء السّلوك يعاقبها إنّه لشديد العقاب، لا يغفر شيئاً لأحد.

ـ السيد الصَّالح.

لكن السيد أمرض والدها وتركهم فقراء إلى درجة أنها لا تعرف البحر. البحر وهو صنيعة السيد... ومع ذلك يعطي المال لمن يسرق مثل الأفندي سيليست ينو فاهاردو الذي يسرق أكياس الإسمنت بينما يعدّ أبوه أشرف الناس. أوَلا ينتسب إلى أشرف عائلة في فنزويلا؟!.. دلافين من ذهب في برّية زرقاء.

أبوه الدكتور «الكانتارا» دائماً مريض، وحذاؤه ممزّق، السيّر خلف الشمس، القمر، والنجوم... وكل فنزويلا الجميلة الحزينة، وصغار نحيلي الأجسام عراة. وغريغوريا تنفخ قرب السَّخان وعيناها مغرورقتان بالدمع وبإصبعها الأسود ورأسها الكبير.....

ـ الفقراء كي يصبروا، يتألموا ويتحملوا....

أمن أجل الاحتمال خلق الله الفقراء؟.. ولماذا، ربَّاه؟ ثمَّ لماذا لا يسرقون مثل الأفندي سيليستيينو فاهاردو ويشترون منزلاً كبيراً، كلّه موزاييك ويأكلون الفريز مع الحليب، كما تخبرنا سيسيلياعن كريستينا بنت الوزير.

لماذا لا يسرق الفقراء؟..

لو سرق الفقراء لخلص الفقراء ولأصبح الجميع أغنياء، وسعداء، ولن يعاقبَ السيّد أحداً أسوة بالأفندي سيليسينو السعيد جدًّا.

أيها العصفور eristofue، eristofue

أخذ العصفور يغرد ، يقف على غصن رقيق يتأرجح بسرور . تتأمل آنا إزابيل عينيه الصغيرتين المدوّرتين ورأسه الرمادي .

لو يسرق الفقراء لما بقي فقراء ، الكل سيملك منزلاً كبيراً .

بيريكو وكارمنسيتا لن يعيشا في تلك الغرفة الصغيرة المظلمة القذرة ، ولما أضطجع الراهب "بيبي" على الأرض في كوخ القديس يوسف في جبل الAVILA لقد رأته آنا إيزابيل يوم طيّرت الببغاوات . أدخلها بيبي بيته . أجالت بصرها في البيت ولم تر سوى قطعة أرض قاسية عارية وامرأة لا تمل السعال. لقد ألقت يومئذ السيرة الكانتارا باللائمة على العجوز استيفانيا ، لسماحها لآنا إزابيل بدخول ذلك الكوخ القذر . . .

هذه الأكواخ ستيفانيا حيث لا يوجد سوى الأمراض المعدية والعادات السّيئة .

لو كان كل الناس أغنياء لعرفت البحر ، ولكانت اشترت الطّرحة الطويلة واكليل الورد ولاستطاعت أن تأكل يومياً طبقاً كبيراً من الفريز مع الحليب .

!eristofue eristofue

. أيّها العصفور Esos ranchos, Estefanía عندما يغرّد الطنان يعني أنّها ستمطر ، ولكن السّماء زرقاء ، ولا حتى غيمة واحدة سوداء ، خلعت آنا إيزابيل حذاءيها كي لا تتمزقا وهي تمشي على القرميد ، تريد أن تعلم ماذا تقول النشرة الجوية ، الجوّ صافٍ ، حالت زرقة السَّماء ، لأنَّ الشمس تغيب . .

فوق القرميد تمرُّ نسمة دافئة، نسمة ناعمة تدغدغ الأحلام.

وآنا إيزابيل تحلم الآن..

لو كان كل الناس الأغنياء، لما بقي فقراء!

لما كان هناك فقراء...

❖ من كتاب: ANNA ISABEL, UNA NIÑA DECENTE للكاتبة الفنزويلية: أنطونيا بالاسيو: ANTONIA PALACIOS طبع في فنزويلا عام 1949 الطائر الفنزويلي eristofue

نشر في الأسبوع الأدبي عدد 1297/26/5/2012

لا يوجد لصوص في بلدنا

عاد "داماسو" إلى الغرفة مع صياح الديك، كانت امرأته آنا في شهرها السادس من الحمل تنتظره جالسة على السرير مرتدية ثيابها ومنتعلة حذاءها. أخذ شمعدان الكاز يَنُوس، أدرك "داماسو" أن امرأته لم تتوان ثانية عن انتظاره طوال الليل، وحتى هذه اللحظة وهي تراه أمامها تستمر في الانتظار.

أشار مهدئاً ولكنها لم تستجب. ثبتت عينيها المذعورتين في لفة قماش أحمر كانت بيده، أطبقت شفتيها وراحت ترجف.

تحاملت آنا على نفسها ونهضت وتركت كل ثقل جسمها يتقدمها لتعانق زوجها وتذرف الدمع على قميصه ذي الخطوط الملونة إلى أن تمالكت نفسها.

- "غفوت جالسة" - قالت - "للتو فتحوا الباب ودفعوك داخل الغرفة مغسولاً بالدماء"

أبعدها "داماسو" دون أن ينبس ببنت شفة. أعادها لتجلس على السرير، ثم وضع اللفة بين يديها وخرج ليبول في الدار. عندئذ فكّت العقد ورأت: كانت ثلاث كرات بلياردو، اثنتان بلون أبيض وواحدة حمراء كابية اللون مهشمة من الضرب.

عندما عاد داماسو وجدها مشدوهة سارحة.

- " لأيّ شيء ينفع هذا؟" سألت آنا..

انكمش من كتفيه.

- " للعب البلياردو".

وعاود عقد اللفة وخبأها مع البيل والسكين أسفل الصندوق. اضطجعت آنا ووجهها إلى الحائط دون أن تخلع ثيابها؛ أما داماسو فقد خلع البنطال فقد حاول وهو يدخن مسترخياً على السرير في الظلام أن يستذكر بعضاً من مغامراته خلال انبثاق همسات الفجر المبعثرة إلى أن لاحظ بأن امرأته يقظانة.

- " فيم تفكرين؟ ".

- " في لا شيء " قالت.

وبدا الصوت العادي المشوب بالتساؤلات الخفية أكثر حشرجة بسبب الغضب. أخذ داماسو مصّة أخيرة من لفافته وأطفأ عقبها على الأرض.

- "لم يكن هناك شيء آخر". همس قائلاً. "بقيتُ هناك قرابة ساعة".

- " لو أنهم رموك برصاصة". قالت.

ارتجف داماسو وقال وهو يضرب حافة السرير الخشبي: "ملعونة أنت" وراح يفتش عن علبة السجائر والكبريت.

- "يالك من حمار". قالت أنا. " كان عليك أن تقدّر بأنّي لم أستطع النوم، أتصورهم يحملونك ميتاً كلما حدثت ضجة في الشارع". أضافت بتنهيدة. "وكل ذلك لتخرج بثلاث كرات بلياردو".

ـ " لم يكن في الدرج سوى خمس وعشرين سنتيماً" .

ـ "إذن ما كان عليك جلب أي شيء" .

ـ "المشكلة كانت الدخول" . قال داماسو . "لم أستطع العودة بيدين فارغتين" .

ـ "لو أتيت بأي شيء آخر" .

ـ "لم يكن هناك أي شيء آخر " . قال داماسو .

ـ "لا يوجد في أي مكان أشياء كثيرة مثلما توجد في صالة البلياردو" .

ـ "هكذا يبدو" . قال داماسو . "ولكن فيما بعد ، عندما يصبح المرء هناك في الداخل، يسرع بالنظر والبحث في كل النواحي ويلاحظ أن لا شيء هناك ينفع" .

صمتت طويلاً ، تخيلها داماسو وعيناها مفتوحتان تحاول أن تجد في ظلام الذاكرة موضوعاً ما ذا شأن .

ـ " ربما " . قالت .

عاد داماسو للتدخين ، تركه الكحول في تموجات مركزية وتحرر من جديد من وزن وحجم ومسؤولية جسمه .

ـ "كان هناك قط في الداخل" . قال . "هر أبيض كبير" .

استدارت آنا وأسندت جسمها المتعب إلى جسم زوجها ووضعت ساقها بين ركبتيه ، إن له رائحة البصل .

ـ "خفت كثيراً ؟ ".

ـ " أنا ؟ "

ـ " أنت " ـ قالت آنا ـ " يقال إن الرجال أيضاً يخافون " .

ـ " قليلاً ـ قال ـ " كانت رغبتي في التبوّل لا تحتمل" .

أحسّ بها تبتسم فابتسم، قبّلته بلا مبالاة، ثم كمن يستعيد ذكريات رحلة ما، روى لها تفاصيل مغامرته واعياً الأخطار ولكن دون أي ندم .

ـ تكلّمت بعد صمت طويل : " كان جنوناً" .

ـ " المسألة في كل شيء هي البداية " ـ قال داماسو وهو يغلق عينيه ـ " علاوة على أن العملية وباعتبارها الأولى لم تأت جد سيئة " .

شعّت الشمس حرارتها متأخرة، عندما استيقظ داماسو كانت امرأته قد نهضت منذ فترة. وضع رأسه تحت مرش الدار وبقي هناك عدة دقائق حتى استيقظ تماماً. كانت الغرفة تشكل جزءاً من مجموعة سكنية متماثلة ومستقلة ولها دار عامة تخترقها أشرطة نشر الغسيل المعدنية. مقابل الحائط الأمامي أقامت آنا موقداً للطبخ ولإحماء المكاوي وطاولة صغيرة للطعام ولكي الثياب انفصلا عن الدار بواسطة حاجز من الصفيح.. عندما رأت زوجها يقترب وضعت الثياب المكواة جانباً ونزعت مكواة الحديد من على الموقد كي تسخن القهوة. كانت أكبر سناً منه، ذات بشرة جد صفراء ولحركاتها الكفاءة السلسة للأناس المتلائمين مع الواقع .

أدرك داماسو مع ألم رأسه ومن نظرات امرأته أنها تريد أن تقول له شيئاً. حتى ذلك الحين لم يكن قد أعار اهتماماً للصخب في الدار .

ـ " لم يتكلّموا عن شيء آخر طوال هذا الصباح". همست آنا وهي تقدم القهوة. "ذهب الرجال إلى هناك منذ فترة واكتشف داماسو أن الرجال والأطفال قد اختفوا من الدار. تابع بصمت أثناء تناوله القهوة حديث النسوة وهن تنشرن الثياب للشمس وأخيراً أشعل لفافة وخرج من المطبخ.

ـ "تيريزا". نادى.

أجابت النداء فتاة ثيابها مبتلة وملتصقة بجسمها.

ـ "انتبهي". قالت آنا، ثيابها مبتلة وملتصقة بجسمها.

ـ "ماذا يجري؟". سأل داماسو.

ـ "دخلوا صالة البلياردو ونهبوا كل شيء". قالت الفتاة.

وبدا أنها مطلعة على الحذافير. شرحت كيف جردوا المكان قطعة قطعة حتى إنهم أخذوا طاولة البلياردو وكانت تتحدث بكثير من القناعة حتى إن داماسو لم يستطع التيقن من أنها تكذب.

ـ "اللعنة". قال وهو عائد إلى المطبخ.

شرعت آنا تغني من بين أسنانها. أسند داماسو مقعداً إلى حائط الدار جاهزاً للقضاء على القلق قبل أن يبلغ العشرين من عمره بثلاثة أشهر وشارباه المستقيمان المشذبان لا بروح تضحية وحسب بل وبكثير من الحنان، اتخذت وجنتاه المتحجرتان من الجدري سيماء النضج.. حينئذ شعر بأنه بلغ سن الرشد. ولكن في الغد وذكريات الليلة الفائتة تسبح في دوامة وجع رأسه، لم يجد من أين يبدأ الحياة.

عندما انتهت آنا من الكوي وزّعت الثياب النظيفة في صرّتين متساويتين وقرّرت الخروج إلى الشارع.

ـ "لا تتأخري " ـ قال داماسو .

ـ "كالعادة" .

تبعها حتى الغرفة .

ـ "هناك تجد القميص ذا المربعات" ـ قالت آنا ـ " من الأفضل ألا تعود للبس الكنزة . واجهتها أشعة عيني زوجها الخارقة كعيني القط" .

ـ "لا نعلم إن كان أحد قد رآك" .

جفف داماسو عرق يديه بسرواله .

ـ "لم يرني أحد" .

ـ "لا نعلم" ـ كررت آنا . كانت تحمل بكل يد صرة ثياب ، ثم من الأفضل ألا تخرج انتظر أولا حتى أقوم بجولة هناك كمن لا يهمه الأمر" .

لم يتكلم الناس بشيء آخر في القرية ، كان عمل آنا أن تصغي مرات عديدة للأحاديث المختلفة والمتناقضة عن تفاصيل الحادث ذاته ، عندما أنهت توزيع الثياب ذهبت مباشرة إلى الساحة عوضاً عن ذهابها إلى السوق كعادتها أيام السبت . لم تجد أمام صالة البلياردو جمهوراً كما توقعت ، كان بعض الرجال يتحدث تحت ظلال أشجار اللوز ، لملم السوريون أقمشتهم الملونة ليتناولوا طعام الغداء وبدا وكأن المخازن تنكس برؤوسها تحت مظلاتها القماشية . كان هناك رجل يغفو في الكرسي الهزاز وفمه ويداه وساقاه مفتوحة . كل شيء كان مشلولاً بفعل هاجرة الظهيرة .

تابعت آنا سيرها في صالة البلياردو وعند مرورها بالباحة المشمسة قبالة الباب التقت بالجماهير . عندئذٍ تذكرت ماكان قد قصه عليها داماسو

بأنه وإن علم كل الناس بأن الباب الخلفي يؤدي إلى هذه الباحة، غير أن زبائن المحل وحدهم يستحضرونه. بعد لحظة وهي تحمي حملها بيديها وجدت نفسها ضائعة بين الناس وعيناها مثبتتان إلى الباب المنتصب.

كان القفل سليماً ولكن أحد أسنانه كان قد خلع كضرس.

تأملت آنا للحظة جهد ذلك العمل الوحيد المتواضع وبمشاعر شفقة فكرت بزوجها.

ـ "من تراه فعل ذلك؟".

لم تجرؤ على النظر حولها.

ـ "لم يعرف بعد". أجابوها. "يقولون إنه غريب".

ـ"يجب أن يكون"، قالت امرأة وراءها، "في هذه البلدة لا يوجد لصوص كل الناس يعرف كل الناس".

أدارت آنا رأسها.

ـ"أجل هو كذلك"، قالت وهي تبتسم، كانت تتصبب عرقاً. كان إلى جانبها رجلاً جد عجوز بتجاعيد عميقة في رقبته.

ـ"هل حملوا كل شيء؟" سألت آنا.

ـ"مائتي ليرة وكرات البلياردو". قال العجوز. تفحصها بانتباه غير عادي.

ـ "لن يطول الوقت، سينام وعيناه مفتوحتان".

حولت آنا نظرها.

ـ "هو كذلك"، كررت القول.

وضعت خرقة على رأسها وهي تبتعد دون أن تلاحظ ملاحقة العجوز لها بنظراته الدهشة. أثناء ربع ساعة لاحظ الجمهور المتراص في الباحة وضعاً مهيباً كما لو أن وراء الباب هذا ميتاً ما. عندئذٍ اضطربت، دارت حول نفسها واندفعت خارجاً.

كان مالك صالة البلياردو واقفاً بالباب مع القاضي وعنصري شرطة، قصير القامة سميناً لا يمسك عليه بنطاله سوى ضغط معدته وبنظارتين كتلك التي للأطفال بدا عارياً من أية ميزة ضعف.

أحاط به الجمهور، أنصتت آنا وهي تستند إلى الحائط لإخباريته إلى أن أخذ الناس يتفرقون. ثم عادت إلى غرفتها مضطربة مبهورة الأنفاس وسط تظاهرة صاخبة من الجيران. تساءل داماسو مرات عديدة وهو يتمدد على فراشه كيف تسنى لآنا أن تنتظره الليلة الفائتة دون أن تدخن. عندما رآها تدخل مبتسمة وتنزع من على رأسها الخرقة البليلة عرقاً. سحق السيجارة تقريباً كاملة على أرض الغرفة بين كومة من أعقاب السجائر وانتظر بقلق شديد.

- "ماذا هناك؟".

ركعت آنا قبالة السرير.

- "وعلاوة على أنك لص فأنت كاذب". قالت.

- "لماذا؟".

- "لأنك قلت إنه لم يكن هناك شيء في الدرج".

قطب داماسو حاجبيه.

- "لم يكن هناك شيء".

- "كان هناك مائتي ليرة" - قالت آنا.

- "كذب". أجاب بصوت مرتفع واستعاد لهجته الواثقة وهو يجلس على السرير - "فقد كان هناك خمس وعشرون سنتيماً". لقد أقنعها.

- "عجوز متشرد". قال داماسو وهو يشد قبضتيه - "يبحث عمن يهشم له وجهه".

ضحكت آنا بصدق.

- "لا تتحامق".

وضحك هو أيضاً. بينما كان يحلق.. أطلعته امرأته على ما توصلت إليه. الشرطة تفتش عن غريب - يقال إنه وصل يوم الخميس وبأنه شوهد يدور في المرفأ ليلة أمس - أردفت - يقولون إنهم لم يستطيعوا أن يجدوه في أي مكان. فكر داماسو بالغريب الذي لم يره أبداً وللحظة وعن قناعة تامة شك بوجوده.

- "يحتمل أنه ذهب" - استدركت آنا.

وكالمعتاد أمضى داماسو ثلاث ساعات في ترتيب هندامه، شذب أولاً شاربيه ثم استحم تحت مرش الدار. وبحماس لم يضعفه أي شيء منذ الليلة التي رأته بها لأول مرة أخذت آنا تتابع أسلوبه العملي بتسريحة شعره. وعندما رأته يتطلع في المرآة ليخرج بقميصه ذي المربعات الحمراء وجدت نفسها حائرة ومرتبكة وبمرونة محترف مثل داماسو جولة ملاكمة أمامها. أمسكت بمعصميه وسألته:

- "ألديك نقود؟".

- "أنا غني" - أجب داماسو بمزاج مرح - "لدي المائتا ليرة".

استدارت آنا نحو الحائط، انتشلت من صدرها رزمة أوراق مالية وأعطت ليرة لزوجها وهي تقول.

. "خذ، جورج Negrete"

قضى داماسو تلك الليلة في الساحة مع مجموعة من أصدقائه وخيم من وصل من الريف ليبيع منتجاته في سوق الأحد وسط أماكن الشواء وطاولات اليانصيب ومنذ الليلة الأولى كانت تسمعهم يشخرون، وبدا أن أصدقاء داماسو لم يكونوا أكثر اهتماماً بسرقة صالة البلياردو من إذاعة بطولة البيسبول التي لن يستطيعوا سماعها تلك الليلة لأن المحل مغلق. دخلوا السينما، وهم يتحدثون عن البيسبول دون اتفاق أو حتى معرفة برنامجه ولو من بعيد.

كان الفيلم لـ CANTIFLAS. أخذ داماسو في الصف الأول يضحك دون وخز ضمير. شعر باسترداد قواه العاطفية. كانت ليلة جميلة من حزيران وفي اللحظات الخالية التي كانت تتلقى فقط رذاذ المطر المصطنع كان يخيم على السينما المكشوفة صمت النجوم.

فجأة شحبت صور الشاشة وانبعثت ضجة أسفل الصالة، وعند إضاءة مفاجئة شعر داماسو بأنه اكتشف وبأنه يشار إليه وحاول الهرب. غير أنه سرعان ما لاحظ جمهور الصالة وقد تسمر حيث أن أحد رجال الشرطة وبيده حزام مجدول يضرب بخنق رجلاً بكتلته النحاسية الثقيلة. كان الرجل عملاقاً أسود، شرعت النسوة بالصراخ وعلا صراخ الشرطي الذي يضرب الزنجي على صراخ النسوة: "حرامي زان". تدحرج الزنجي بين الكراسي

المبعثرة وتبعه شرطيان يضربان خاصرتيه إلى أن ألقيا القبض عليه من الخلف. وقيد السواط معصميه بالحزام إلى ظهره ودفعه الثلاثة إلى الباب.

حدثت الأمور بسرعة حتى داماسو ماكان ليفهم مايجري لو لم يمر الزنجي قريباً منه بقميصه الممزق ووجهه الملطخ بمزيج من الغبار والعرق والدم مجهشاً بالبكاء وصارخاً " قتلة مجرمون" ثم انطفأت الأنوار واستأنف عرض الفيلم.

لم يعاود داماسو الضحك وهو يدخن دون انقطاع، شاهد بقايا تاريخ مفكك إلى أن أشعل النور وتبادل المشاهدون النظرات وكأنهم خائفون من الواقع "ما أجمله". عبر من حاذاه عن إعجابه ودون أن ينظر داماسو إليه قال: "CANTIFLAS" ممتاز".

انجرف مع التيار إلى الباب وكانت بائعات الطعام حاملات المواعين تعدن إلى بيوتهن ومع أن الساعة كانت أكثر من الحادية عشرة اجتمع في الشارع جمهور غفير بانتظار الخارجين من السينما ليتسقطوا أخبار القبض على الزنجي.

دخل داماسو الغرفة تلك الليلة بكثير من الحذر ولم تشعر به آنا وهي بين اليقظة والحلم إلاّ وهو يدخن السيجارة الثانية متمدداً في السرير.

- "الطعام على الموقد". قالت.

- "لست بجائع". قال داماسو.

تنهدت آنا.

ـ "حلمت " بنورا" ـ صنع دمى من الزبدة" ـ قالت ولم تستفق بعد. وسرعان ما أدركت أنها نامت دون أن تريد، مالت إلى داماسو، وهي مشوشة تفرك عينيها.

ـ "قبضوا على الغريب " ـ قالت.

تأخر داماسو بالكلام.

ـ "من قال؟".

ـ "ألقوا القبض عليه في السينما" ـ قالت آنا ـ "كل الناس هناك في تلك النواحي". وروت ترجمة غامضة عن الاعتقال.

ـ "مسكين هذا الرجل" ـ همست آنا.

ـ "مسكين لماذا؟ " ـ احتج داماسو ثائراً ـ "أتودين إذن لو كنت أنا في الزنزانة؟".

كانت تعرفه جيداً كيلا تجيبه. أحست به يدخن ويتنفس كمصاب ربو إلى بواكير صياح الديكة. ثم شعرت به ينهض متنقلاً في الغرفة لعمل غامض بدا أنه يدوي أكثر منه مرئي. ثم أحست به يزحف أرضاً تحت السرير لأكثر من ربع ساعة، وأحست به بعدئذٍ ينفض ثيابه جاهداً ألا يحدث ضجة دون أن يعلم أنها تسعى جاهدة لمساعدته على الاعتقاد بأنها نائمة.

جاشت دخيلة نفسها، حينئذٍ أدركت آنا أن داماسو كان في السينما وفهمت لماذا خبأ كرات البلياردو تحت السرير.

افتتح الصالون يوم الاثنين واجتيح من قبل زبائن مميزين. كانت طاولة البلياردو مغطاة بقماش بنفسجي أعطى للمحل طابعاً جنائزياً. وعلى الحائط

علق إعلان "لا خدمة بسبب نقص الكرات" ولطالما دخل الناس ليقرؤوا هذا الإعلان وكأنه حدث غريب كان البعض يطيلون المكوث أمامه يعيدون قراءته بحماس منقطع النظير. كان داماسو بين الزبائن الأوائل. لقد قضى فترة من حياته في الأماكن المخصصة لمشاهدي البلياردو وكان هناك منذ أن عادوا وفتحوا الأبواب. إنه لأمر آني كتعزية. ومن وراء طاولة عرض ربت على كتف المالك وقال له: "ياله من أمر، سيد روكي".

هز المالك رأسه بابتسامة مريرة وهو يتنهد "سترى قريباً" واستمر يعتني بالزبائن بينما قبع داماسو في إحدى الكراسي متأملاً الطاولة الخيالية تحت الكفن البنفسجي.

- "ياله من غريب". قال.

- "حقاً". أكد الرجل المجاور. "كأننا في أسبوع الآلام".

عندما ذهب أغلبية الزبائن، وضع داماسو قطعة نقدية في آلة الحاكي الأوتوماتيكية واختار أغنية مكسيكية كان يحفظ ترتيبها في الجدول عن ظهر قلب. راح السيد روكي ينقل الطاولات والكراسي الصغيرة إلى قعر الصالون.

- "ماذا تفعل". سأله داماسو.

- "سأضع أوراق لعب". أجاب السيد روكي. "يجب أن نفعل شيئاً ريثما تصل الكرات".

بدا كمن ترمل حديثاً وهو يتحرك مرتاباً حاملاً كرسياً بكل من ذراعيه.

- "متى تصل الكرات". سال داماسو.

- "بعد أقل من شهر، أتوقع".

- "خلال هذا الوقت ستظهر الكرات الأخرى". قال داماسو.

تأمل السيد روكي ترتيب الطاولات برضا.

- "لن تظهر الكرات". قال وهو يجفف عرق جبهته بكمه. "منذ يوم السبت والزنجي دون طعام ويأبى الاعتراف والقول "أين هي" وحدج داماسو بنظرة ثاقبة من وراء نظارتين غشاهما العرق.

- "أنا واثق بأنه رماها في النهر".

أخذ داماسو يعض شفتيه.

- "والمائتا بيزو ليرة؟".

- "لا أبداً". قال السيد روكي. "وجدوا معه ثلاثين فقط".

تبادلا النظر، ولم يستطع داماسو تفسير انطباعه بأن تلك النظرة بينه وبين السيد روكي كونت علاقة اتهام. هذا المساء وهي عند المغسل رأته آنا آتياً بقفزات ملاكم، تبعته إلى الغرفة.

- "خلاص انتهينا". قال داماسو. لقد استسلم الرجل حتى إنه أوصى على كرات جديدة والمسألة الآن مسألة وقت لينسى الجميع".

- "والزنجي؟".

- "لا يهم". قال داماسو رافعاً كتفيه. "إذا لم يجدوا الكرات لديه عليهم أن يطلقوا سراحه". جلسا بعد العشاء إلى باب الدار وظلا يتحدثان مع الجيران إلى أن سكت مكبر صوت السينما. ولما اضطجع لينام كان منفعلاً.

- "طرأ لي أحسن مشروع في العالم". قال. لاحظت آنا أنّه يلوك فكرة واحدة منذ الغروب.

. "أنتقل من قرية لأخرى". تابع داماسو. "أسرق كرات البلياردو من هنا لأبيعها هناك. في كل قرية يوجد صالة بلياردو".

. "إلى أن يطلقوا عليك النار".

. لا نار ولا إطلاق نار". قال. "هذا لا يحدث إلاّ في الأفلام السينمائية".

وهو منتصب وسط الغرفة أخذ يختنق بمشاعره الخاصة، شرعت آنا تنزع ثيابها متظاهرة باللامبالاة ولكنها في الحقيقة كانت تسمعه بانتباه حنون.

. "سأشتري كدسة ثياب". قال داماسو مشيراً بسبابته لخزانة وهمية بعرض الحائط. "من هنا إلى هناك، إضافة إلى خمسين زوج من الأحذية".

. "ليستجيب الرب". قالت آنا.

رماها بنظرة قاسية.

. "لا تهمك أموري". قال.

. "إنها بعيدة المنال". قالت آنا. أطفأت القنديل، اضطجعت ووجهها للحائط وأضافت بمرارة شديدة. "عندما تبلغ الثلاثين يكون لي من العمر سبع وأربعون".

. "لا تتحامقي". قال داماسو..

قلب جيوبه مفتشاً عن الكبريت.

. "وأنت عليك ألا تهدري الكثير من الأثواب". قال بشيء من التشويش. أشعلت له آنا، راقبت الشعلة إلى أن انطفأ عود الكبريت ورمت رماده.

تابع داماسو كلامه ممدداً على السرير.

ـ "أتعلمين مم تصنع كرات البلياردو؟".

ـ "لم تجب آنا".

ـ "من أنياب الفيلة" ـ أكمل ـ "والعثور عليها صعب جداً، لذا لن نصل قبل شهر، أفهمت؟".

ـ "نم" ـ قاطعته آنا ـ "علي أن أستيقظ الساعة الخامسة".

استعاد داماسو وضعه الطبيعي، أمضى الصباح يدخن في السرير وبعد القيلولة شرع بترتيب هندامه للخروج، أصغى ليلتئذٍ في صالة البلياردو للنقل الإذاعي لبطولة البيسبول. كانت لديه فضيلة نسيان مشاريعه بنفس الحماس الذي يحتاجه لتصورها.

ـ "ألديك نقود؟" ـ سأل امرأته يوم السبت.

أحد عشر بيزو" ـ أجابت وأضافت بلطف ـ "هي دراهم الغرفة".

ـ "أعرض عليك مشروعاً".

ـ "ما هو؟".

ـ "أعيريني الدراهم".

ـ "علينا أن ندفع أجرة الغرفة".

ـ "ندفعها فيما بعد".

هزت آنا رأسها، أمسك داماسو بمعصمها وحال بينها وبين النهوض عن المائدة حيث انتهيا من الإفطار.

- "لأيام قلائل" - قال وهو يداعب ذراعها بحنان لا إرادي - "عند بيع الكرات سيكون لدينا المال لكل شيء" - لم تستسلم آنا.

هذه الليلة وهما في السينما لم تفارق يد داماسو كتفها ولا حتى عندما كان يتكلم مع أصدقائه خلال الاستراحة. حضروا الفيلم بشكل متقطع وأخيراً نفذ صبر داماسو.

- "إذن علي أن أسرق المال" - قال.

انكمشت آنا من كتفيها.

- سأحزم أول من ألقى سوطاً" - قال داماسو وهو يدفعها بين الجمهور الخارج من السينما - "وهكذا سيقتادونني إلى السجن كمجرم".

ابتسمت آنا في داخلها ولكنها بقيت بلا مرونة. في الصباح التالي، بعد ليلة عاصفة ارتدى داماسو ثيابه بسرعة فائقة ومفاجئة. مر قرب امرأته مهمهماً.

- "لن أعود بعد أبداً".

لم تستطع صد رجفة خفيفة.

- "سفراً سعيداً" - صرخت. بعد أن صفق الباب باشر داماسو يوم أحد فارغاً ومملاً. كانت دكاكين السوق الشعبي الجذابة والنساء الخارجات من صلاة الساعة الثامنة بثيابهن زاهية الألوان تضفي لمسات ساحرة على الساحة، غير أن الهواء أخذ يتثاقل بالحرارة.

قضى النهار في صالة البلياردو. لعب جماعة من الرجال الورق صباحاً، وقبل الغداء وفجأة حدث هرج ومرج. كان من الواضح أن المحل

فقد جاذبيته. فقط عندما يسدل الليل أستاره ومع بداية برنامج البيسبول كان يستعيد شيئاً من حيويته السالفة.

بعد أن أغلقوا الصالون وجد داماسو نفسه يسير بلا هدف في ساحة بدت وكأنها مستنزفة. انحدر إلى الشارع الموازي للمرفأ مقتفياً آثار موسيقى فرقة بعيدة. كان في نهاية الشارع صالة رقص كبيرة ومكشوفة مزدانة بأكاليل ورقية باهتة الألوان. وفي منتصف القاعة وعلى منصة خشبية متحركة كانت فرقة موسيقية. وفي الداخل عبق عطر أحمر شفاه خانق. انزرع داماسو وراء الطاولة. عندما انتهت المعزوفة جمع الفتى ضارب الصناجات في الفرقة الدراهم من الرجال الراقصين. تركت فتاة مراقصها في منتصف الصالون واقتربت من داماسو.

- "ما الخطب؟ جورج نغريتي Jorje nerete"[()].

أجلسها داماسو إلى جانبه. بلا مبالاة وبقرنفلة وراء أذنه سأل الساقي بحدة.

- "ماذا تشربان؟".

اتجهت الفتاة لداماسو.

- "ماذا نشرب؟".

- "لا شيء.".

- "على حسابي".

- "ليس ذلك". قال داماسو. "أنا جائع".

- "ياللأسف". همس الساقي. ومع هذه العيون".

انتقلوا إلى غرفة الطعام في عمق الصالة. بدت الفتاة بمظهرها الجدي جد شابة، غير أن طبقة الأبيض والأحمر ولمعان الشفاه حالت دون معرفة عمرها الحقيقي. بعد الطعام لحق بها داماسو إلى غرفة وسط باحة مظلمة حيث شعر بأنفاس الحيوانات النائمة، شغل السرير طفل ذو أشهر قليلة ملفوف بخرقة ملونة. وضعت الفتاة الخرقة في صندوق خشبي، أضجعت الطفل داخله ثم وضعت الصندوق على الأرض.

- "ستأكله الجرذان". قال داماسو.

- "لن تأكله ". قالت هي.

أبدلت ثوبها الأحمر بآخر أكثر عرياً ذي أزهار كبيرة صفراء.

- "من هو الأب؟". سأل داماسو.

- "ليس لدي أدنى فكرة ". وتابعت كلامها وهي عند الباب. "سأعود حالاً".

سمعها تقفل الباب، دخن عدة سجائر مسترخياً على ظهره وبثيابه تماوج غطاء السرير مع موسيقى "المامبو" لم يدر متى أغفى. عندما استيقظ تمثلت له الغرفة أكثر اتساعاً في أجواء الموسيقى الصاخبة. كانت الفتاة تنزع عنها ثيابها أمام السرير "كم الساعة؟".

- "حوالي الرابعة". قالت. "ألم يبك الطفل؟".

- "لا أعتقد ". قال داماسو.

اضطجعت الفتاة بالقرب منه تحدجه ببصرها الزائغ وهي تفك أزرار قميصه. أدرك داماسو إنها كانت تشرب بجدية، حاول إطفاء المصباح.

- "دعها هكذا" - قالت - "يسرني مرأى عينيك".

امتلأت الغرفة بصخب الجوار، مع بزوغ الفجر بكى الطفل، حملته الفتاة إلى السرير وأرضعته وهي تغني بين أسنانها أغنية ذات ثلاث نوتات إلى أن نام الكل. لم ينتبه داماسو بأن الفتاة استيقظت حوالي السابعة لتخرج من الغرفة وتعود دون الطفل.

- "كل الناس يذهبون إلى المرفأ" - قالت. أحس داماسو بأنه لم ينم أكثر من ساعة واحدة طوال الليل.

- "لم؟".

- "ليتفرجوا على الزنجي سارق الكرات" - قالت - "سيأخذونه اليوم". أشعل داماسو لفافة.

- "مسكين هذا الرجل" - همست الفتاة.

- "لماذا مسكين؟" - قال داماسو - "لا أحد أجبره أن يكون وغداً".

فكرت الفتاة برهة ورأسها إلى صدره، قالت بصوت جد منخفض:

- "لم يكن هو".

- "من قال؟".

- "أنا أعلم" - قالت - "كان الزنجي مع غلوريا ليلة دخلوا صالون البلياردو وأمضى اليوم التالي في غرفتها حتى المساء. ومع ذلك يقال بأنهم اعتقلوه في السينما".

- "تستطيع غلوريا الإدلاء بهذا للشرطة".

ـ "لقد أدلى الزنجي بهذه الإفادة" ـ قالت ـ "ذهب القاضي إلى غلوريا وقلب غرفتها رأساً على عقب وقال بأنه سيأخذها إلى السجن كشريكة في الجريمة وأخيراً حسموا الأمر بعشرين بيزو".

نهض داماسو قبل الثامنة.

ـ "ابق هنا" ـ قالت الفتاة ـ "سأذبح دجاجة للغذاء".

نفض داماسو المشط براحة كفه قبل أن يدسه في جيب بنطلونه الخلفية.

ـ "لا أستطيع " ـ قال وهو يجذب الفتاة من معصميها. كانت قد غسلت وجهها والواقع إنها في ريعان الشباب، لها عيون سوداء كبيرة عليها مسحة الدعة واللامبالاة، طوّقته من خصره.

ـ "ابق" ـ كررت.

ـ "إلى الأبد؟".

احمرت خجلاً وأبعدته عنها.

ـ "مخادع" ـ قالت.

شعرت آنا بالإعياء ذلك الصباح، لكنها أصيبت بعدوى هيجان القرية. جمعت بسرعة قصوى الثياب للغسيل هذا الأسبوع وذهبت إلى المرفأ لتحضر إقلاع الزنجي. كان هناك جمهور قلق ينتظر قبالة الزوارق الجاهزة للإقلاع، تحرشت به بوكز خاصرته.

ـ "ماذا تفعلين هنا؟ " ـ سال داماسو منتفضاً.

ـ "جئت لأودعك" ـ قالت آنا.

لطم داماسو بمجمع قبضته عود المنارة.

- "عليك اللعنة" - قال.

وبعد أن أشعل اللفافة رمى بالعلبة الفارغة إلى النهر. سحبت آنا من صدرها علبة أخرى ودستها في جيب قميصه، ابتسم داماسو لأول مرة.

- "يالك من حمارة" - قال.

- ها، ها - ردت آنا.

بعد قليل وصل الزنجي، ساقوه وسط الساحة ويداه مربوطتان إلى ظهره بسلسلة غليظة يشدها رجل شرطي يمشي إلى جانبه شرطيان آخران مسلحان ببندقيتين. كان وهو بلا قميص، مشقوق الشفة السفلى ومتورم الحاجب، يبدو كملاكم.

تحاشى نظرات الجمهور بعزة مستسلمة، حيث تجمهر أكبر عدد من العامة ليشاركوا في أبعاد المشهد، لاحظ مالك البلياردو الزنجي يمر ويهز رأسه صامتاً، كما لاحظه بقية الناس بشيء من الهياج. انطلق القارب بسرعة، رُبطَ الزنجي على سطحه من يديه ورجليه إلى برميل نفط، عندما دار القارب في منتصف النهر وأطلق صفارة، للمرة الأخيرة برق ظهر الزنجي.

- "مسكين" - تمتمت آنا.

- "مجرمون" - قال أحدهم بالقرب منها - "لا يستطيع أي كائن بشري احتمال شمس كهذه".

عزا داماسو الصوت لامرأة غير عادية سمينة وأخذ يتحرك ناحية الساحة.

ـ "تثرثرين كثيراً" ـ همس في أذن آنا ـ "لم يبق إلا أن تجاهري بالحكاية" .

رافقته حتى باب البلياردو .

ـ "اذهب على الأقل بدل ملابسك" ـ قالت له وهي تفترق عنه ـ "إنك لتشبه السائل "لله يا محسنين" .

لقد اجتذب الحدث إلى الصالون زبائن. كان السيد روكي يقدم خدماته لعدة طاولات في آن واحد ، محاولة منه إرضاء الجميع، انتظر داماسو مروره إلى جانبه .

ـ "أتريد أن أساعدك" .

وضع السيد روكي أمامه نصف دزينة قوارير جعة والأقداح مقلوبة على أعناقها .

ـ "أشكرك بني" .

حمل داماسو القوارير إلى الموائد ، استلم عدة طلبات واستمر يجلب ويحمل قوارير إلى أن انفضَّ الجمع لتناول طعام الغداء وعند عودته فجراً إلى الغرفة أدركت آنا بأنه قضى الليل شارباً ، أمسكت يده ووضعتها على بطنها .

ـ "تحسس هنا" ـ قالت ـ "ألا تشعر" .

لم يبد أي أثر للانفعال.

ـ "أصبح الآن حياً " ـ قالت آنا ـ "يرفسني طوال الليل" .

غير أنه لم يقم بأي ردة فعل. منطوياً على نفسه خرج في اليوم التالي باكراً ولم يعد حتى منتصف الليل. هكذا توالى الأسبوع. لطالما تحاشى

الحديث خلال الأوقات النادرة التي قضاها يدخن مضطجعاً. بالغت آنا بحذرها، في مناسبة أخرى وفي بداية حياتهما المشتركة تصرف بهذا الأسلوب ولم تكن قد تعرفت عليه بعد، لتتحاشى مداخلته، فارتمى عليها في السرير وأشبعها ضرباً إلى أن أخذت تنزف. انتظرت هذه المرة، وضعت ليلاً علبة سجائر قرب المصباح مدركة قدرته على تحمل الجزع والعطش ولا كذلك حاجته للتدخين.

وأخيراً منتصف يوليو، عاد داماسو إلى الغرفة عند الغروب، اضطربت آنا لعلمها أنه لو لم يكن مبلبلاً جداً لما فتش عنها في هذه الساعة تناولا طعامهما دون كلام. ولكن قبل النوم كان داماسو مشوشاً وليناً وعلى حين غرة قال:

- "أريد الذهاب.".

- "إلى أين؟".

- "إلى أي مكان".

- فحصت آنا الغرفة.

لقد اهترأت وشحبت ألوان قصاصات المجلات التي كانت قد اقتطعتها وألصقتها على الحيطان التي ورّقت تماماً بصور الممثلين. لقدفقدت الاهتمام بالرجال تدريجياً واحداً بعد آخر من طول ما رأتهم من لدن سريرها مضوا ومعهم تلك الألوان.

- "هل مللتني؟". قالت.

- "ليس هذا". قال داماسو. "إنما هذا البلد".

ـ "هو بلد كغيره".

ـ "لا يمكن بيع الكرات" ـ قال داماسو.

ـ "دع هذه الكرات بحالها" ـ قالت آنا ـ "طالما أعطاني الله القدرة لخيط الثياب.. لن تحتاج للسعي مغامراً". وأضافت بعد استراحة براقة: "لا أعلم كيف خطر لك أن تقحم نفسك بذلك".

أنهى داماسو سيجارته قبل أن يتكلم.

ـ "كان من السهولة بحيث لا أفهم كيف لم يخطر ببال أحد".

ـ من أجل المال ـ أردفت آنا ـ لكن لا أحد يبلغ به الحمق لجلب الكرات.

ـ حدث دون أي تفكير ـ قال داماسو ـ كنت قادماً عندما شاهدتها خلف الطاولة مدسوسة في علبتها وكان من العسير مع كل ذلك الجهد أن أعود بخفي حنين.

ـ ساعة شؤم ـ قالت آنا.

أحس داماسو بشيء من الارتياح.

ـ ومع ذلك لن تصل الكرات الجديدة، يقولون بأنها الآن أغلى والسيد روكي يقول: هكذا لا تسير الأمور، أشعل لفافة أخرى وشعر وهو يتكلم بأن قلبه يفرغ شحنة سوداء.

روى بأن المالك قرر بيع طاولة البلياردو، ليست جد غالية، إن غطاءها الممزق من قبل جمهور المتدربين والمرقع بمربعات من شتى الألوان بحاجة لإبداله تماماً، أثناء ذلك لم يجد زبائن السالون الذين شاخوا بين البلياردو من تسلية سوى الإذاعة لبطولة البيسبول.

- مجمل القول - استنتج داماسو - لا إرادياً نشجع فريق البلدة .

- لا منة لنا ولا ..... قالت آنا .

- الأسبوع القادم تنتهي البطولة - قال داماسو .

- وليس هذا الأسوأ . الأسوأ هو أمر الزنجي . متكئة على كتفه كما في الأزمنة السابقة أدركت مايدور بخلد زوجها ، انتظرت حتى أنهى سيجارته ثم قالت بصوت حذر : "داماسو" .

- ما الخطب؟

- أعدها .

- أشعل لفافة أخرى" هذا ما أفكر به منذ أيام - قال - ولكن المشكلة إني لا أدري كيف .

قرر ترك الكرات في مكان عام ، خطر لآنا بأن ذلك سيحل مشكلة صالون البلياردو ولكنه يبقي على مشكلة الزنجي معلقة . تستطيع الشرطة تفسير وجود الكرات بطرق عدة دون أن تحل القضية . كما أنها لم تستبعد خطر التقاط أحدهم لهذه الكرات ، والاحتفاظ بها لبيعها عوضاً من إعادتها .

- "إذا كنا سنقوم بأداء عمل ما" - أجملت القول آنا - "فمن الأفضل أن نحسن الأداء" .

نبشا الكرات من مخبئها ، لفتها آنا بأوراق صحف محاذرة أن تكشف اللّفة عن شكل محتواها وخبأها في الصندوق .

- "إنها مسألة انتظار الفرصة" - قالت .

وفي انتظار الفرصة مر أسبوعان، بعد شهرين من الجرم وعلى وجه التحديد ليلة عشرين أوغسطوس ألفى داماسو السيد روكي جالساً خلف الطاولة يكش البرغش بمروحة من أغصان نخيل وبدت وحدته أكثر شدة مع المذياع الساكت. "قلت لكَ". أعرب السيد روكي بغبطة من تأكد حدسه. "لقد ذهب هذا مع الريح (إلى الجحيم)".

وضع داماسو قطعة نقود في الآلة الموسيقية الأوتوماتيكية، تراءت له شدة الموسيقى وتنوع ألوان الآلة كنموذج صاخب لواقِعِه. وتأسّى بأن السيد روكي لم يلاحظ ذلك. عندئذٍ اقترب منه وحاول تهدئته بحجج مشوشة بحيث أن المالك عض النواجذ وأخذت أسنانه تصطك لا شعورياً مع حركة المروحة الهوجاء.

- لا شيء لنفعله". قال. "لن تبقى بطولة البيسبول مدى الحياة".

- "ولكن قد تظهر الكرات".

- "لن تظهر".

- "لم يكن للزنجي أن يأكلها".

- "فتشت الشرطة كل الأماكن". قال السيد روكي بيقين يائس. "رماها في النهر".

- "قد تحدث معجزة".

- "دعك من الأوهام يابني". أجاب السيد روكي. "المصائب كالحلزون، أتؤمن بالمعجزات؟".

- "أحياناً". قال داماسو.

ترك المحل قبل خروج الناس من السينما. كانت أصداء حوارات المكبر الضخمة والمتقطعة ترن في أجواء البلد المظلم وكان في البيوت القليلة التي ظلت مفتوحة شيء من الجاهزية. تسكع داماسو لبرهة حول السينما ثم دخل صالون الرقص.

عزفت الفرقة لزبون واحد كان يرقص مع امرأتين في الوقت نفسه، بدت النساء الأخريات جالسات إلى الحائط برصانة وكأنهن بانتظار رسالة، شغل داماسو طاولة وأشار للنادل كي يأتيه بجعة، شربها من القارورة باستراحات قصيرة لأخذ النفس ملاحظاً من خلال الزجاج الرجل الذي يرقص مع المرأتين. لقد كان أصغر سناً منهما.

وصلت النساء من السينما منتصف الليل تتبعهما مجموعة من الرجال. كان من هذه المجموعة صديقة داماسو، تركت الآخرين وجلست إلى طاولته. لم ينظر داماسو إليها، لقد شرب نصف دزينة من الجعة وتابع النظر الثابت للرجل الذي يرقص الآن مع ثلاثة نساء دون الاهتمام بهن، معجباً بحياكات رجليه ذاتهما، بدا سعيداً وكان من الواضح أنه سيكون أكثر سعادة لو ملك علاوة عن الساقين والذراعين ذنباً.

- "لا أحب هذا النموذج". قال داماسو.

- "لا تنظر إليه إذن". قالت الفتاة.

سألت النادل كأساً، ابتدأ البيست يمتلئ بالأزواج، غير أن رجل النساء الثلاث تابع شاعراً ذاته وحيداً في الصالون وهو يدور التقى نظرة داماسو، لوّن رقصه بديناميكية أكثر وكشف له من خلال ابتسامة عن أسنان كأسنان أرنب. حدق داماسو النظر دون أن يرف له جفن إلى أن استاء الرجل وأدار له ظهره.

. "يعتقد أنه سعيد " . قال داماسو .

. "إنه لجد سعيد" . قالت الفتاة . " كلما يأتي البلدة يحتكر الموسيقى مثل كل الوسطاء الوكلاء" .

. التفت داماسو إليها بعينين زائغتين "اذهبي معه إذن" . قال . "حيث يأكل ثلاثة يأكل أربعة" .

دون أن تجيب حولت وجهها إلى بيست الرقص وهي ترشف الخمر على مهل. لقد ركز كتف الثوب الأصفر الباهت خجلها . رقصوا الجولة التالية وفي النهاية شعر داماسو بالضيق.

. "أموت جوعاً " . قالت وهي تجذبه من ذراعه إلى الطاولة . "وعليك أن تأكل أيضاً" .

كان الرجل المسرور مقبلاً مع النساء الثلاث بمشاعر معكوسة .

. "اسمع" . قال داماسو .

ابتسم له الرجل دون أن يقف، أفلت داماسو من ذراع رفيقته واعترض طريقه.

. "لا تعجبني أسنانك" .

شحب لون الرجل ولكنه استمر يبتسم.

. "ولا أنا" . قال الرجل.

وقبل أن تتمكن الفتاة من ردعه أفرغ داماسو قبضته على وجه الرجل فوقع جالساً في منتصف البيست، لم يتدخل أحد ، أحاطت أذرع

النساء الثلاث خصر داماسو وهن يصرخن، بينما راحت رفيقته تدفعه إلى عمق الصالون، تحامل الرجل، منقبض الأسارير من شدة الانفعال، قفز كسعدان وسط البيست وصاح:

- "لتستمر الموسيقى".

حوالي الساعة الثانية أصبح الصالون فارغاً تقريباً ودون زبائن، شرعت النساء تأكل، كان الجو حاراً، حملت الفتاة طبقاً من الأرز مع فاصولياء ولحمة مقلية والتهمته بالملعقة، راقبها داماسو بشيء من الدهشة، مدت نحوه ملعقة من الأرز.

- "افتح فمك".

أسند داماسو رأسه إلى صدرها وهز رأسه.

- "هذا للنساء" - قال - "نحن الذكور لا نأكل".

كان عليه أن يتكأ على الطاولة بيديه كي ينهض، عندما استعاد توازنه كان النادل أمامه بذراعين متصالبتين.

- "تسع وثمانون" - قال - "هذا الدير ليس للحكومة".

- أبعده داماسو "لا أحب المخنثين" - قال.

أمسك به النادل من كمه ولكن بإشارة من الفتاة أخلى سبيله قائلاً: "إنك لا تعلم ما تخسره".

خرج داماسو يتقافز، إن بريق النهر العجيب تحت أشعة القمر فتح عليه وأنار ذهنه ولكن مالبث أن أغلِق عليه الأمر. عندما رأى باب غرفته إلى الجانب الآخر للبلدة، أيقن داماسو بأنه كان نائماً وهو يمشي. نفض رأسه

وبشكل مشوش لكنه مفاجئ أدرك أن عليه منذ هذه اللحظة مراقبة كل حركة من حركاته دفع الباب بحذر كي لا تصر المفصلات ويسمع صريرها . .

شعرت به آنا يفتش الصندوق، استدارت نحو الحائط لتتجنب نور المصباح وسرعان ما لاحظت أن زوجها لم يكن ينزع ثيابه. إن ضرباً من الإلهام أجلسها في السرير. كان داماسو إلى جانب الصندوق، معه لفة الكرات وبيده القنديل. وضع سبابته على شفتيه، قفزت آنا من السرير "هل جننت" همست وهي تركض نحو الباب مع سكين صغيرة ومسن مشحوذ، وتقدم نحوها واللفة مضغوطة تحت ذراعه. أسندت آنا ظهرها إلى الباب.

- "لن تخرج من هنا مادمت حية". تمتمت.

- حاول داماسو إبعادها "أزيحي". قال.

تشبثت آنا بكلتا يديها بكتلة الباب، تبادلا النظر دون أن يرف لها جفن.

- "يالك من حمار". تمتمت آنا. "ما أعطاك الله من البصر حرمك منه في البصيرة".

شدها داماسو من شعرها وفتل معصمها وأحنى رأسها ليقول وأسنانه مصطكة: "قلت لك ابتعدي".

حدجته آنا بنظرة جانبية زائغة كنظرة ثور تحت حمل ثقيل،الوهلة الأولى شعرت بتحديها الألم وبأنها أقوى من زوجها، لكنه ظل يشدها من شعرها إلى أن شرعت بالدموع.

- "ستقتل الطفل في بطني".. قالت.

جرها داماسو بحيرة إلى السرير وما أن شعرت بالانفلات حتى قفزت إلى ظهره وكبلته بساقيها وذراعيها فوقع كلاهما على السرير، لقد بدأ يفقدان قواهما من شدة الاختناق.

- "سأصرخ" - همست آنا في أذنه - "إذا ما تحركت سأبدأ بالصراخ".

خار داماسو بغضب أصم وهو يضرب ركبتيها بلفة الكرات. أطلقت آنا آهة وارتخت ساقاها ولكنها عادت لتتعانق وخصره لتحول بينه وبين الباب، ثم شرعت تتوسل.

- "أعدك بأني سأحملها بنفسي غداً" - قالت - "سأضعها دون أن يدري بي أحد".

كلما اقترب أكثر من الباب كان داماسو يضرب يديها بالكرات، أفلتته للحظات ريثما يخف ألمها، ثم احتضنته من جديد وتابعت توسلها.

- "أستطيع القول بأني أنا من" - قالت - "وبحالتي هذه لن يستطيعوا وضعي في الزنزانة" أفلت داماسو منها.

- "سيراك كل الناس" - قالت آنا - " إنك لمن الغباء حيث لا تعير اهتماماً لضوء القمر الصافي".

وعادت تحتضنه قبل أن يفرغ من سحب المصراع، ثم وعيناها مغمضتان ضربته على رقبته ووجهه، صارخة تقريباً: "حيوان، حيوان". حاول داماسو أن يحتمي فقبضت على المصراع وانتزعته من يديه، سددت لرأسه لطمة، تماشاها داماسو ورن المصراع على عظم كتفه رنيناً بلورياً.

- "زانية" - صرخ.

لم يتحرج وقتئذٍ من إثارة ضجة. لطم أذنها بقفا قبضته وشعر أنتها العميقة واصطدم جسدها بالحائط، ولكنه لم يلتفت، خرج من الغرفة دون أن يغلق الباب. لبثت آنا على الأرض مشدوهة من الألم، وخشيت حدوث أمر ما لحملها. سمعت من الجهة الثانية صوتاً كما لو أنه من قبر. كزت شفتيها كي لا تبكي، ثم نهضت وارتدت ملابسها. لم يدر بخلدها - كما لم تحرس للوهلة الأولى - أن داماسو لم يزل أمام الغرفة وهو يقول لها بأن الخطة قد فشلت وينتظرها تخرج مولولة. بيد أن آنا ارتكبت نفس الخطأ، عوضاً عن اللحاق بزوجها انتعلت حذاءها، أحكمت إغلاق الباب وجلست على السرير تنتظر، فقط عندما اصطفق الباب أدرك داماسو أنه لن يستطيع التراجع. تبعته كوشة كلاب حتى نهاية الشارع ولكن بعد ذلك ساد سكون مخيف، أغفل الأرصفة محاولاً الهرب بخطواته الخاصة ذات الوقع الكبير والغريب في البلدة النائمة. ما كان ليتخذ أية حيطة لو لم يكن أمام باب صالون البلياردو في الباحة، لم يستخدم هذه المرة الكهرب، لقد أصلح الباب فقط مكان القفل المغتصب. لقد سحبوا قطعة خشبية بحجم وشكل قرميدة واستبدلوها بأخرى جديدة وأعادوا وضع القفل نفسه والباقي كان على حاله. أمسك داماسو حديد القفل بيده اليسرى ووضع طرف المسن في القفل الذي لم يدعم وحرك المسن عدة مرات كقضيب المحرك، بقوة دون عنف إلى أن استسلمت الخشبة في انفجار من فتيت مهترئ. قبل أن يرفع الباب شال الورقة من تحته ليتفادى الصرير على البلاط، لا وحتى الباب قليلاً وأخيراً خلع حذاءه ودسه داخلاً إلى جانب لفة الكرات ودخل وهو يرسم إشارة الصليب الصالونَ المضاء بأشعة القمر.

في البداية كان دربه مظلماً ومليئاً بقوارير وعلب فارغة وهناك تحت الدفق الضوئي للقمر من زجاج الباب كانت طاولة البلياردو وخزائن مقلوبة وأخيراً الطاولات، والكراسي الصغيرة المكدسة خلف الباب الرئيسي. لأول وهلة كان كل شيء على حاله ما عدا ميزاب ضوء القمر وصفاء السكون. كان على داماسو حتى هذه اللحظة أن يتمالك أعصابه، لقد اعتصرته تخيلات غريبة، لم يحترس هذه المرة من القرميد المبعثر، ثبت الباب بحذائه وبعد أن عبر ميزاب القمر الضوئي أشعل القنديل ليبحث عن علبة الكرات وراء الطاولة، كان يتصرف دون وعي. رأى وهو يحرك المصباح ذات اليمين وذات الشمال كومة كبيرة من القوارير المغبرة وركابين مع مهاميز وقميصاً ملفوفاً متسخاً بزيت المحرك، ثم علبة الكرات في نفس المكان الذي تركها به، هناك كان القط.

نظر إليه الحيوان دونما استغراب من خلال الضوء، أبقى داماسو الضوء مسلطاً إلى أن تذكر وهو يرتعش أنه لم يره مطلقاً في الصالون أثناء النهار. حرك المصباح للأمام قائلاً: "سابي" ولكن الحيوان بقي لا مبالياً، عندئذٍ قصف نوع من الهزيم الصامت برأسه. عندما وعى ماكان يجري أفلت المصباح، وضم لفة الكرات إلى صدره، لقد أنير الصالون.

- "هيه".

تعرف على صوت السيد روكي، استقام صلبه ببطء وهو يحس تعباً هائلاً في الكليتين، تقدم السير روكي وسط الصالون بثيابه الداخلية، وبيده قضيب حديدي وقد غشيت عيناه من الإنارة. كان وراء القناني والعلب الفارغة أرجوحة معلقة قريباً جداً من المكان الذي مر به داماسو عند

دخوله، لقد اختلف هذا أيضاً عنه في المرة الأولى، قفز السيد روكي عن بعد عشرة أمتار واتخذ وضع الحراسة، خبأ داماسو يده مع اللفافة، قطب السيد روكي حاجبيه ماداً رأسه ليتبينه دون نظارتيه "أيها الولد". صاح.

شعر داماسو وكأن شيئاً لا نهائياً قد انتهى، فجأة خفض السيد روكي القضيب واقترب وقد فغر فاه. بدا دون نظارتيه وطقم الأسنان الاصطناعي أشبه مايكون بامرأة.

- "ماذا تفعل هنا".

- "لا شيء". قال داماسو.

غير وضعه بحركة مبهمة من جسمه.

- "ماذا تحمل هناك". سأل السيد روكي.

- "تراجع داماسو "لا شيء". قال.

احمر السيد روكي وأخذ يرتجف.

- "ما الذي تحمله معك؟". صرخ وهو يتقدم خطوة رافعاً القضيب.

أعطاه داماسو اللفافة، استلمها السيد روكي بيده اليسرى دون أن يهمل وضعية الحراسة وتفحصها بأصابعه، لقد فهم وقتئذ

- "غير معقول". قال.

كان من البلبلة بحيث وضع القضيب على الطاولة وكأنه نسي داماسو وهو يفتح اللفافة، تأمل الكرات بصمت.

- "أتيت لأعيدها". قال داماسو.

- "بالطبع" - قال السيد روكي.

كان دامسو منهكاً، لقد ذهب عنه أثر الخمر وبقي فقط جفاف مخيف في لسانه وإحساس مشوش بالوحدة.

- "إذن هذه هي الأعجوبة" - قال السيد روكي وهو يعيد لفها - "لا أستطيع تصديق أنك غشيم لهذه الدرجة". عندما رفع رأسه كانت قد اختلفت لهجته.

- "والمائتا بيزو"؟..

- "لم يكن شيء في الدرج" - قال داماسو.

تطلع إليه السيد روكي مفكراً يعض نواجذه وبعد ذلك ابتسم.

- "لم يكن هناك شيء" - كررها مرات عدة - "والمال لم يكن هناك". وعاد ليمسك القضيب وهو يقول: "إذا الآن تماماً سنروي القصة للقاضي".

جفف داماسو عرق يديه ببنطاله.

- "أنت تعلم أنه لم يكن هناك شيء".

ظل السيد روكي مبتسماً.

- "كان هناك مائتا بيزو" - قال - "والآن سينتزعونها من جلدك ليس لكونك سارقاً لصاً بل لأنك غبي مغفلٌ.

❖ من كتاب «جنازة الأم الكبرى» لغبرييل غارسيا ماركيز - 1962 — مطبوعات «Le Oveja Nrgra» في ليما البيرو، أمريكا الجنوبية.

سحر المدينة: نخب انغوستورا

إذا ما سافرت إلى «غوايانا» في متعة أو عمل فلا تدعنَّ الفرصة تفوتك وخصّص وقتاً ما لزيارة انغوستورا القديمة، المركز التاريخي في سيوداد بوليفار، أحد أجمل الأمكنة في فنزويلا بالنسبة لي على الأقلّ. ولكن من أين يأتي سحر هذا المكان؟ بلا شكّ وكما يحدث دائماً من المتناقضات ومن تفاعلاتها: من نهر عظيم جبّار يقف ويسافر في صدر المدينة نفسها من محلاّت منتزهها تؤلّف جداراً خشبيّاً ناعماً. من جنون يعني زرع قاعدة إنسانية في غابة مسحورة من الصخور العملاقة، من حكمة احتضان هذه المدينة عمارة كل العصور في مدى قرنين بأنفة وكبرياء، من تسلّط الأسطح المسطّحة في وطن الأمطار ذاته، من الطمأنينة العميقة الجذور في مدينة تشكّل عاصمة أكثر المناطق حيوية، من المثقف الذي يتآلف مع المحرّر من الثقافة التي تتفجّر هنا وهناك من الشّوارع في انتظار الموسيقى وحلقات الرقص. من أناس عجائبيين متعاونين حذرين متحمّسين وبقدر ماهم أفضل هم أرهب جناباً..

من الأشجار الضخمة التي لا تعرف كيف تسنّى لها النماء ولا أين تستمد بجذورها، من الذاكرة الجماعية تنبثق مع كل خطوة في كلّ منعطف من دائرة قديمة أصبحت مسرح المدينة، من المجلس النيابي في انغستورا

وفنائه المغمور بالسّواد السّاحر لنموذج الماضي والسّواد الهادئ لحجر «الأساباتشي» ، من متصابٍ يؤالف بين الأزهار ورمال غوايانا . من منصاب في دور هشة وقاطنوها أشدّاء . من أشياء تحدث كل يوم ومن أيام تحدث كل شيء . من هنا يولد السّحر . كل مدينة لها خاصتها والحق يقال .

ولكن صدقوني هذه خاصّة استثنائية .

---

1 ـ انغوستورا .... أي مدينة بوليفار .

2 ـ غوايانا : إحدى محافظات فنزويلا .

3 ـ الأساباتشي : حجر أسود أصل الماس .

بقلم : فاروكوسيسفكو ـ فنزويلا

هكذا يكون الكلام

ـ السلام عليكم ..

ـ وعليكم ..

ـ قل لي : أبقي الكثير للوصول إلى «كاماغوان»؟ .

ـ بلى ، بقي الكثير .

ـ حسن ، ولكنه ليس بعيداً ، أليس كذلك؟ ...

ـ كلا ، ليس بعيداً .

ـ ألا تستطيع تقدير المسافة؟ ...

ـ لا يا سيدي لا أستطيع ..

ـ ولكن الطريق جيدة ، أليس كذلك؟ ..

ـ بلى ، إنها جيدة .

ـ ولكن الحفر بها كثيرة .

ـ كثيرة ، أجل بها الكثير من الحفر .

ـ وإذا تكلمنا عن شيء آخر ، يبدو لي أنه لا يوجد مكان لتناول طعام هنا .

ـ كلا ، لا يوجد مكان لتناول الطعام .

ـ ولا حتى مقهى صغير حيث يتسنى للمرء شراب ما!..

ـ يوجد مقهى ، كيف لا؟...

ـ ويحتوي بعض المأكولات الخفيفة ، أليس كذلك..؟

ـ أجل يحتوي مأكولات خفيفة ، كيف لا؟.. مالا يحتويه هو الشراب..

ـ إذاً كيف تدعوه مقهى؟

ـ هوه ، لأنه مقهى هو .

ـ أهو قريب من هنا؟..

ـ قريب ، جداً قريب .

ـ ولكنه ليس قريباً ، لأني لا أرى شيئاً من هنا .

ـ كلا ليس قريباً بل بعيداً بعيداً جداً..

ـ حسن شكراً جزيلاً... عليَّ أن أسرع ، يبدو أنها ستمطر .

ـ يبدو..

ـ يبدو أن «ساحوب» مطر غزير آت...

ـ إهم ، أي ساحوب مطر غزير آت؟..

ـ وقد تكون سحابة صيف عن قريب تنقشع .

ـ أجل سحابة قصيرة الأمد ، صغيرة صغيرة..

ـ حسن إلى اللقاء .

- مع السلامة.
- لو ازداد الحوار جملتين أخريين لانفجر المسافر باكياً.

مرة أخرى انتصرت حكمة «غوابينو» على حذق المدعي ساكن العاصمة.

الغريب في فنزويلا حالياً أن من يملك موهبة التكلم «كغوابينو السهوب» ليس سهبياً بل جبلياً من «الأنديز» بكل معنى الكلمة دون أي قطرة دم سهبية في عروقه وهو الرئيس كارلوس اندريه بيريز ويستحق عن جدارة اسم «غوابينو فنزويلا الأكبر» إذ يفوق دون أية صعوبة الخبير المتمكن الناجح في هذا الفن الصعب.

ليخبرنا القارئ إن وجد فارقاً كبيراً بين المحادثة السابقة، والجولات الصحفية الرئاسية.

- الصحفي: صباح الخير سيادة الرئيس، أود معرفة رأيكم حول تأكيد المحللين السياسيين والاقتصاديين بأن الأزمة الحالية في فنزويلا ليست مفصلية بل هيكلية.

- الرئيس كارلوس اندريه بيريز: حقيقة ومراعاة لأسلوب تفكيري الواقعي أستطيع القول بأن الأزمة ليست عرضية ولا أساسية بل على العكس، وبصفتي رئيساً للبلاد تراني مجبراً على الاعتراف بأن الأزمة بمجملها هيكلية، عدا عن كونها أعمق أزمة مرت بها البلاد.

- الصحفي : حسبما تعرفون سيادتكم فإن الغالبية من الفنزويليين تعيش فقراً مدقعاً نتيجة تساهل حكومتهم وقبولها شروط صندوق النقد الدولي القاسية، وهذا هو العامل الحقيقي لكتلتكم الموقرة.

- وقد تكون سحابة صيف عن قريب تقشع.

- أجل سحابة قصيرة الأمد، صغيرة صغيرة.

- حسن إلى اللقاء.

- مع السلامة.

- لو ازداد الحوار جملتين أخريين لانفجر المسافر باكياً.

مرة أخرى انتصرت حكمة «غوابينو» على حذق المدعي ساكن العاصمة.

الغريب في فنزويلا حالياً أن من يملك موهبة التكلم "كغوابينو السهوب" ليس سهبياً بل جبلياً من "الأنديز"

بكل معنى الكلمة دون أية قطرة دم سهبية في عروقه وهو الرئيس كارلوس اندريه بيريز ويستحق عن جدارة اسم «غوابينو فنزويلا الأكبر» إذ يفوق دون أية صعوبة الخبير المتمكن الناجح في هذا الفن الصعب. ليخبرنا القارئ إن وجد فارقاً كبيراً بين المحادثة السابقة، والجولات الصحفية الرئاسية.

- الصحفي : صباح الخير سيادة الرئيس، أود معرفة رأيكم حول تأكيد المحللين السياسيين والاقتصاديين بأن الأزمة الحالية في فنزويلا ليست مفصلية بل هيكلية.

- الرئيس كارلوس أندريه بيريز: حقيقة ومراعاة لأسلوب تفكيري الواقعي أستطيع القول بأن الأزمة ليست عرضية ولا أساسية بل على العكس وبصفتي رئيساً للبلاد تراني مجبراً على الاعتراف بأن الأزمة بمجملها هيكلية، عدا عن كونها أعمق أزمة مرت بها البلاد.

- الصحفي: حسبما تعرفون سيادتكم فإن الأغلبية الغالبة من الفنزويليين تعيش فقراً مدقعاً نتيجة تساهل حكومتهم وقبولها شروط صندوق النقد الدولي القاسية، وهذا هو العامل الحقيقي لكتلتكم الموقرة.

أتوافقون حضرتكم على وجهة النظر هذه؟

- الرئيس: طبعاً أوافق، لطالما قلت إن البنك النقدي الدولي لعنة أبدية نزلت على فنزويلا، وأكثر من ذلك على العالم الثالث، هذا البنيان عديم الروح لا يحمل أقل اعتبار للكائن البشري ومنطق وجوده الوحيد هو القضاء على شعوبنا.

- الصحفي: إذاً لماذا تطيعون أوامره بشكل أعمى وتتبنون تطبيق خطة هذه الهيئة القاسية، وتعطونها أكثر مما تسأل؟

- الرئيس: لأن الهيئة وإن كانت تقتل شعب فنزويلا جوعاً، غير أنها إمكانية التقدم الوحيدة والتطور المطلوب. خلال وقت قصير سترون نتائج هذه السياسات المتخذة لدعم الاقتصاد الوطني.

ـ الصحفي : ولكن الحقيقة أننا ـ نحن الفنزويليين ـ نموت جوعاً ، صحيح ما أقول أم لا؟..

ـ الرئيس : طبعاً ، من الواضح أنهم ـ عفواً ـ إننا نموت جوعاً . علاوة على ذلك أعتقد بأن البلاد لم تمر أبداً بمرحلة كهذه ، أوافق بأننا لا نستطيع الاستمرار هكذا ، وأنا أول من يرفع صوته ضد وضع كهذا ، إن شعبًا موحداً لا يغلب أبداً .

ـ الصحفي : سيادة الرئيس ، من العسير أن ننكر أن الوضع سيئ....

ـ الرئيس : سيئ جداً .

ـ الصحفي : على أية حال ـ دعني أنهي ـ بالرغم من كل البانوراما فإنها ليست سوداء كما تصورها بعض القطاعات المخربة أو المعارضة الديموقراطية والوطنية .

ـ الرئيس : هكذا تماماً ، تسير البلاد في طريق التقدم وأجرؤ على التأكيد بأنه لا شعب في هذه القارة أسعد من الشعب الفنزويلي .

ـ الصحفي : سيادتكم توافقون بأن انخفاض أسعار النفط يشكل الخطر الأكبر للاقتصاد الفنزويلي قبل وبعد نهاية هذا القرن .

ـ الرئيس : طبعاً ، إن هبوط أسعار النفط مأساة حقيقية لفنزويلا ، بكل تأكيد نسير إلى الخراب التام، ولكننا نستخلص من هذا الخراب التعليمات التي تحولنا إلى وطن أكثر ازدهاراً في العالم الأول ، لأنه ولعلمكم أننا تقريباً على وجه التقريب ننتمي للعالم الأول .

- الصحفي : سيادة الرئيس، هناك من يقول بأن الفساد في حكومتكم أكثر منه في الحكومات السابقة، ما رأيكم بهذا الشأن؟.

- الرئيس : إني لموافق تماماً ، إن الفساد يخيم بكل معانيه على مؤسسات المجتمع الفنزويلي بدءاً من الحكومة. لا يدرك الإنسان كيف لبلد خرب كهذا تجاوز سرطان الفساد .

- الصحفي : ولكن يوجد القرار الثابت لخلاص البلد وتصحيح الوضع .

- الرئيس : من الطبيعي أن يوجد القرار وليس هذا وحسب، بل إنه قيد التنفيذ ، لقد اختفى الفساد كلياً من المحيط الفنزويلي، سوى ما بقي منه في مجالين أو ثلاث ستقضي عليه قريباً أسلحة الأخلاق الشعبية .

- الصحفي : شكراً جزيلاً وإلى اللقاء .

- الرئيس : سلامات .

عن مقال الفنزويلي : أنيبال نازوا

نشر في جريدة GLOBAL تاريخ 27/ يونيو / 1992م .

نشر في جريدة الأسبوع الأدبي

قاضي الطلاق

يخرج القاضي واثنان آخران هما : الكاتب والمحقّق وحالما يجلس على الكرسيّ يدخل «فيهيتي وماريانا زوجه.»

ماريانا : من حسن الحظ أنَّ السيّد قاضي الطلاق جالسٌ على كرسي المحكمة والآن سواء أكنت داخلاً أو خارجاً، عليَّ هذه المرّة أن أتحرّر من القيود وأطلب بحرّية كما الصّقر.

فيهيتي : بالله عليك، ماريانا، لا تزوّقي كثيراً مشروعك هذا؛ تكلّمي بصوتٍ خافتٍ محبّة بما أمر الله؛ واذكري إنَّك تتوّجين الجوار بصراخك؛ ولكن أمام السيّد القاضي، عليك أن تخفّفي من غلوائك، وأنت تسألين العدالة.

القاضي : ما طلبك أيّتها الطّيبة؟.

ماريانا : الطلاق، الطّلاق وأكثر الطّلاق وألف مرّة أخرى الطّلاق!.

القاضي : ممّن؟ ولماذا سيّدتي؟

ماريانا : ممّن؟ من هذا العجوز الماثل أمامكم.

القاضي : لماذا؟

ماريانا : لأني لا أستطيع تحمّل طلباته والاستمرار في تمريض أوجاعه التي لا تحصى؛ ولم يتعهدّني أبواي بهذه التربية لأكون مضيفة أو ممرّضة؛ لقد سلّمت هذه الكومة من العظام ما حملته من مهري وأمري وقد استهلكت أيام عمري؛ لقد كان وجهي يشعّ كالمرآة عندما تزوّجته، والآن أصبح كومة من الأخاديد. سيّدي القاضي إن لم تفسخ زواجي سأشنق نفسي، انظر إلى التجاعيد في خدّي من دموعٍ أذرفها يوميًّا لزواجي من هذه العيّنة.

القاضي : لا تبكي سيّدتي، أخفضي صوتك وامسحي الدّمع وسأمنحك العدالة.

ماريا : دعني سماحتكم، والبكاء فيه أستريح، لقد كان لزاماً على الممالك والجمهوريات المحترمة المنظمة أن تحدّد مدّة الزواج من ثلاث إلى ثلاث سنوات تلغى بعدها أو تثبّت من جديد مثله مثل الاتفاقيات ولا تبقى مدى الحياة بألم دائم لكلا الطرفين.

القاضي : لو كان لهذه المسألة أن تنفذّ ولو بالمال لنفذّت؛ ولكن أوضحي أيتها السيّدة الظروف التي تدفعك لطلب الطّلاق.

ماريا : شتاء زوجي وربيع عمري؛ إزعاجي في نومي وإيقاظي في أنصاف الليالي كيما أسخّن له اللّصاقات والأكياس الطبية ليضعها آناً هنا وآناً على ذلك الضّماد، ضمادٌ يشدّني لعصا العدالة للاهتمام بإعلاء المخدّة تحت رأسه أثناء الليل وإعطائه الشراب الملّين كي لا يختنق؛ كما إنّي مجبرة على تحمّل رائحة فمه الكريهة ولو كانت على بعد ثلاث طلقات من بارودة.

الكاتب: قد تكون إحدى أضراسه قد تسوّست!

فنيهيتي: أبداً، وليأخذ الشّيطان الضّرس ولا حتّى سنّ واحدة في فمي.

المحقّق: هناك قانون «حسبما سمعت» يقول: «إنَّ الطلاق جائز بين الرجل والمرأة بسبب رائحة الفم الكريهة فقط».

فيهيتي: الحقيقة أسيادي، أنَّ ما تقوله عن رائحة الفم ليس من ضرس مسوّس لأنّه ليس لي أضراس، ولا من معدتي السّليمة بل من ادّعائها المزعوم. أنتم لا تعرفون هذه السيّدة، والحقيقة لو عرفتموها لتحاشيتموها أو لتعوّذتم، منذ اثنين وعشرين سنة وأنا أعيش معها كشهيد؛ دون أن أعلن يوماً عن شذوذها، صراخها وتخيّلاتها، والآن ومنذ سنتين تدفعني يوميًّا لمهاوي القبر، بأصوات جعلت منّي نصف أطرش وباستسلام كامل للجنون.

ولئن أشفى كما تقول هي؛ لن أشفى من انتقاداتها وهي تصبّها على يد الطبيب النّاعمة وموقفه منّي. ومجمل القول أسيادي، أنا من يموت تحت سيطرتها وهي من تعيش في مملكتي لأنّها تقاسمني مزرعتي.

ماريانا: مزرعتك؟ وهل كان لك مزرعة لتربحها لو لم تأخذ من مهري؟ ومع أنَّ حصتي نصف الأرباح علاوة عن المهر، فإن متُّ الآن لن أترك لك قيمة قرشٍ واحد، وعليه انظر مدى حبّي لك.

القاضي: قل، أيّها السيّد، عندما دخلت مملكة امرأتك؛ ألم تكن شابّاً معافى وبالشّروط المطلوبة؟

فيهيتي: لقد قلت إنّي دخلت سلطنتها منذ اثنين وعشرين عاماً، كمن يسير بإمرة قبطان متشنّج ليجذّف مكرهاً؛ لقد دخلت معافى قادراً على القول والفعل كمن يلعب بالورق.

ماريانا: مقالة جديدة، ثلاثة أيّام والحائط.

القاضي: اسكتي اسكتي، دعك من هذا، واذهبي بعون الله، فأنا لا أجد سبباً لطلاقكما؛ لقد أكلت النّاضجة، فتذوّقي الفجّة: لا من زوج مجبر على إيقاف تيّار الزمن، ومنعه من دخول بابه وأيّامه؛ ولتطرحي سيئات الحاضر من الحسنات التي نلتِها منه أيّام زمان قُدرتِهِ، ولا تحتجّي بأيّة كلمة أخرى.

فيهيتي: لو تتكرّمون سيادتكم وتحرّروني من هذا السجن؛ لأنّه وقد وصلنا حافّة الانفصال تحكمون عليَّ مجدّداً بالاستشهاد؛ أوْ دعنا نحلّها بشكل آخر، وهي تعتكف في ديرٍ ما وأنا في آخر متقاسمينْ المزرعة وبهذه الطّريقة نستطيع العيش بسلام وفي خدمة الله مابقي لنا من الحياة.

ماريانا: سنون عجاف! حلوة أنا لأحبس! حتّى ولو عدت طفلة أسيرة الشِباك والأسوار وحلقات الحكايات؛ لِتحبسْ أنت، من تستطيع التحمّل والعذاب، لأنّك بلا عينين لتريا ولا أذنين لتسمعا ولا رجلين للمشي ولا يدين لتلمسا؛ وأنا سليمة الحواس الخمس الكفء الحيّة، أريد أن أتمتع بها علانيّة، دون وصاية كامرأة ملبّكة محتارة.

الكاتب : حرّة هذه المرأة ...

المحقّق : ومنطقي هذا الزّوج ؛ ولكنّه لا يستطيع أكثر يدخل جندي واثق الخطى وامرأته السيّدة غيومار .

غيومار : سبحان الله الذي حقّق لي أمل حضوري أمام سماحتكم لأتوسّل بكلّ جهدي كيما تنفضلوا وتحلّوا زواجي من هذا .

القاضي : أيّ شيء قولك من هذا؟ أليس له اسم آخر؟ لو قلت على الأقل : «من هذا الرجل؟» .

غيومار : لو كان رجلاً لما لجأت إلى الانفصال .

القاضي : إذن ماهو؟

غيومار : خشبة .

الجندي : «على حدة» والله كنتُ خشبة في السّكوت وفي تحمّل العذاب ، لربّما حقّ للقاضي أن يحكم عليَّ لاستكانتي وعدم التصدّي لهذه المرأة ، ويطلق سراحي من أسر كأعجوبة إطلاق سراح أسير من أنفاق سجون تطوان .

المحقق : تكلّمي أكثر اتزاناً سيّدتي واسردي قصتك دون ملابسات عن زوجك ، وسيقوم السيّد قاضي الطّلاق الماثل أمامنا بالنظر بكلّ نزاهة وإنصافك .

غيومار : إذن؟ لا يروق لحضرتكم أن تدْعوا تمثالاً لا يقوم بأي عمل بالخشبة؟

ماريانا : أنا وهذه دون شكّ نشكو المعاناة ذاتها .

غيومار: ختاماً سيّدي أقول لقد زوّجوني هذا الرجل، بما أن حضرتكم تريد أن أدعوه هكذا، ولكنّه ليس الرّجل الذي تزوّجته.

القاضي: ما هذا؟ أنا لا أفهمك.

غيومار: ما أريد قوله، اعتقدت بأنّي تزوجت رجلاً قادراً سويّاً، وخلال أيّام وجدتني متزوّجة خشبة كما سبق وقلت، لأنّه لا يعرف يمناه من يسراه، ولا وسائل لديه يجني من ورائها ما يقيم أود بيته وعائلته. يقضي الأصابيح في استماع صلاة وفي الوقوف عند باب yuadalajara متزنراً، مطّلعاً على الأخبار، وململماً الأكاذيب؛ وفي الأماسي بل والأصائل أيضاً يقضيها من بيت لعب لآخر، تكملة عدد حسبما قيل لي، هو كائن بشري يملّه اللاعبون. السّاعة الثانية بعد الظهر يأتي لتناول الغداء دون أن يعطوه ولو قرشاً واحداً، لأنَّ عادة العطاء تلاشت، ويذهب مجدّداً ليأتي منتصف الليل، يتناول العشاء إن كان متوفّراً، وإلاّ حوقل، تثاءب ونام ولا يهدأ طوال الليل يتقلّب من جنب لآخر؛ وإذا ما سألته عمّا به أجاب بأنّه يستذكر لحن سوناتا طلبها منه صديقه الشويعر، كما لو أنّها وظيفة تفي بالحاجة البشرية.

الجندي: سيّدتي السيّدة غيومار، لم تخرجي فيما قلته عن حدود المنطق؛ ولو لم أكن فيما أعمل كما هي فيما تقول لكنت فتّشت عن عمل ما ولو كان عصاً من كلّ واد، ولكنتَ رأيتني الآن كرجالٍ آخرين نحيلي الأجسام يصرخون والعصا بأيديهم، يركبون بغلة أجرة صغيرة عجفاء دون بغّال مرافق؛ لأنَّ تلك البغال لا تؤجّر

إلاّ لحاجة قصوى، وعندما لا تكون مشغولة؛ والخرج على المناكب، في أحد جيبيه قميص وياقة وفي الأخرى قطعته من الجبن وخبزه وحذاؤه، دون ثياب غيار للطّريق، فقط قبّعة ومهماز، وبهمّة وهمّ في الصّدر يخرج من جسر To ledaua جارّاً أذياله متجاوزاً كسله، وبعد أيام قلائل يرسل لبيته قطعة من اللحم المقدّد وبضعة اذرع من الخام العادي وبالإجمال تلك الأشياء الرخيصة في أماكن وجهته، وهكذا يقيم أود بيته كأحسن ما يستطيعه الخاطئ، وحيث إنّي بلا عمل ولا أمل، لا أدري ماذا أفعل ولا أحد يستخدمني لأنّي متزوج، تراني مجبراً أن أسأل حضرتكم سيّدي القاضي، بما أنَّ الفقر يهين الفرسان وامرأتي تطلب ذلك أن تفصلنا وتفرّق مابيننا.

غيومار: وهناك شيء آخر سيّدي القاضي، حيث أرى زوجي معدماً محتاجاً أضحّي بنفسي من أجل إغاثته وليتني أستطيع، أنا في النهاية امرأة صالحة ولست ممّن يعمل السيئات.

الجندي: من أجل هذا وحسب تستحقّ هذه المرأة التقدير؛ ولكن وراء هذا الموقف الشّريف تخبئ أسوأ حالة على الأرض، تغار دون سبب، تصرخ دون داعٍ، تسأل دون حاجة ولا تراعي فقري ولا تحترمني في حفل الملك Perieo والأسوأ سيّدي القاضي إنّها تريد مقايضة إخلاصها هذا بتعذيبي وتحمّل آلاف آلاف الإزعاجات والصعوبات.

غيومار: لِمَ لا؟ ولماذا لا تحفظ لي مكانتي واحترامي مادمتُ صالحة كما أنا؟

الجندي: اسمعي أيتها السيّدة الكريمة غيومار من هنا وأمام هؤلاء الأسياد أريد أن اقول لك: لماذا تفاخريني بكونك صالحة وأنتِ مجبرة أن تكوني كذلك كونك ابنة أبوين صالحين ولأنّك مسيحية، وبما هو واجب عليك ذاتيًا؟ من حقّ النساء احترام أزواجهن لهنَّ لأنّهن شريفات عفيفات كما لو أنّه بذلك وحسب يستوي كما لهنَّ، ولا يهمهّن تجاوزات تنتهك رقّة آلاف الشمائل التي تنقصهنّ! ما جدواي إذا كنت عفيفة وتهملين مايجب عليك، إذا كنت تسعين دائماً بوجه عبوس، غضبى، غيورة، مهمومة، مهملة، نؤوماً كسلى، اتّكالية، عاتبة وصفات أخرى بدءاً من الهندام، تكفي لتقضي على حياة مائتي زوج؟ ولكن مع كلّ هذا أقول سيّدي القاضي: إنّه لا شيء من ذلك لدى امرأتي السيّدة غيومار، وأعترف إنّي الحطبة العاجز، المهمل والكسول؛ وتماشياً مع قانون الدّولة الصّالح وليس لأمر آخر على حضرتكم أن تفسخوا زواجنا؛ وأعلنوا هنا بأن لا حجّة لديَّ ضدّ ماقالته امرأتي وأنهي الجدال بإقراري بمحكوميّتي، بالحكم عليَّ.

غيومار: من أين لك الحجّة ضدّ ما قلت؟ وأنت لا تزوّدنا بالطّعام، لا أنا ولا خادمتك الوحيدة وليست أكثر والحمد لله، وحتى الطفلة ذات السبعة أشهر لا تأكل ولو فتاتاً.

الكاتب: اهدؤوا؛ هناك محتجّون آخرون.

يدخل شخص بزيّ طبيب، وهو جرّاح؛ و«آلدونزامينهاكا» امرأته.

الجرّاح : لأسباب أربعة كافية ، جئت أسأل حضرتكم كيما تطلّقني من امرأتي السيّدة آلدونزا مينهاكا الماثلة أمامكم .

القاضي : أتيت جاهزاً! قل ماهي الأسباب الأربعة .

الجرّاح : الأولى لأنّي لا أستطيع رؤيتها أكثر من الشياطين ، الثانية هي تَعلَمها ، الثالثة أسْكتُ عنها والرّابعة لتأخذني الشياطين إذا ما استمرّت حياتي معها حتّى مماتي .

المحقّق : لقد أوفى مقصده البرهان بما فيه الكفاية .

فينهاكا : سيّدي القاضي ، لتسمعوني سماحتكم ، ولتعلموا أنّه إذا طلب زوجي الطلاق لأربعة أسباب ؛ فإنّي أطلبه لأربعمائة سبب . الأمر لي ، عندما أراه كأنّي أرى لوسيفر ، الثانية لأنّي خُدعت عندما تزوّجته ؛ حيث قال إنَّه طبيب نبض ، وإذا به جرّاح ، ورجل عمليات ، ويشفي أمراضاً أخرى ، مايقال عنه كطبيب نصف الثمن العادل ؛ الثالثة يغار من الشمس التي تلامسني ؛ الرّابعة بما أنّي لا أستطيع رؤيته أريد الابتعاد عنه مليوني فرسخ .

الكاتب : أيّة شياطين تتأكد من دقة هذه السّاعات ، ودورانها غير منتظم؟

ميناهاكا : الخامسة .

القاضي : إذا كنت تنوين سرد الأربعمائة سبب الآن فلن أسمعها ولا مكان لذلك ؛ سنبحث قضيتك ، والله معك ، هناك قضايا أخرى لتحلّ .

الجرّاح : أيّة براهين أكثر من إني لا أريد الموت معها كما لا تحبّ الحياة معي؟ ..

القاضي: لو كان هذا كافياً لانفصال الأزواج لنفض العديد من الرجال عن كواهلهم نير الزّواج. يدخل شخص يلبس ganapán وقبّعة مربّعة الشكل.

غاناباان: سيّدي القاضي: أنا غاناباان، لا أنكر ذلك، ولكنّي عجوز مسيحي ورجل صالح مستقيم؛ ولو لم أتناول الخمرة بعض الأحيان أو هي تتناولني، وهذه هي الحقيقة لكنت الآن رئيس جمعية أخوية ذات رسالة؛ ولكن لندع هذا جانباً، لأن هناك الكثير ممّا يقال عنه، لأنّي أودّ أن أخبر السيّد القاضي بأنّي عرضت ذات مرّة باضطراب Baeo، نذرت أن أتزوّج امرأة ضالّة، عدت لوعيي، شفيت ووفيت النذر بزواجي من امرأة انتشلتها من براثن الخطيئة، وعوضاً عن أن تنعم شكوراً تعجرفت بطريقة سيئة، فاقت كل مستوى من الشّكوى، آناً تشكو قلّة الاعتبار وأخرى تصلّ حتّى التين الأخضر، وكلّما دق الكوز بالجرّة تركب رأسها لتغتاب جاراتها الثرثارات، حتّى جيلهم الرابع دون أن تأخذ نفساً من راحة ودون كلل، وعليَّ أن أتسلّح يومياً برمح أكثر جاهزية من قنبلة، كي أدافع عنها؛ ونحن لا نملك لندفع مصاريف هذه المشاكل الفجّة ولا أحكام مشاحنات، وددت لو سماحتكم تتفضلون وتفصلوني عنها؛ أو على الأقل تحريك القضية المتسارعة الآن إلى حالة أكثر هدوءاً وليناً؛ وأعد سماحتكم بتأمين كلّ الفحم الذي سأشتريه هذا الصيف لكم، وهو متوفّر لديَّ من تجار إخوة ثقة.

الجرّاح: أنا أعرف امرأة هذا الرجل الطيّب وهي من السّوء مثلها مثل الدونزتي؛ التي لا أستطيع أن أقيِّمها أكثر.

القاضي: تأمّلوا أيّها الأسياد؛ بالرغم من أنَّ بعضكم قدّم بعض الأسباب المتشابهة لحكم الطّلاق، بالرغم من كل ذلك فالأفضل أن تُقدّم كتابة وموقّعة من شهود، وهكذا أستقبلكم لتقصّي الأمر. ولكن ما هذا؟ موسيقى وقيثارات في محكَمتي، خبر جديد كبير هذا!.

يدخل موسيقيان.

الموسيقيان: حضرة القاضي، الزوجان المختلفان اللذان حقّقت حضرتكم معهما وهوّنت عليهما وهدّأت من روعهما يومئذ، ينتظران حضرتكم لحضور الحفل الكبير في بيتهما ولقد أرسلانا لدعوتكم إليه وتشريفكم لهما.

القاضي: سأحضر بكل سرور وأسأل الله أن يمتثل الآخرون ويسالموا مثلهما.

المحقّق: في مثل هذه الحالة نموت جوعاً نحن الكتّاب والمحقّقين في هذه المحكمة؛ لا، لا، بل ليسعَ كلُّ النّاس للطلاق ولتبق الأُكثرية كما كانت ولنتمتّع بثمرة مشاحناتهم ونزواتهم.

الموسيقيان: الحقيقة إنّه علينا أن نبدأ الاحتفال من هنا، يأخذان بالغناء:

إذا ما بدعة نشبت تباعد بين زوجين

فأغنية لها أبقى من التطليق والبين

....

تذكّر مار يوحنّا سلاماً بعث أخلاق

ولا تعمه بخدعة ما يميت الذّوق والسّاقي

....

إذا ما بدعة نشبت تباعد بين زوجين.

فأغنية لها أبقى من التطليق والبين

إذا ما عرسكم غضبت تغار عليك من واه

فمن حبّ ومن ولهٍ وذا فضلٍ من الله

وتلك ثورة الوجد وحكم البارئ الزاهي

فلا تغضب وقدّرها وغضّ الطرف واعذرها

إذا ما بدعة نشبت تباعد بين زوجين

فغنِ لها وأبقى لها من التفريق والبين

❖❖من كتاب ... Entremeses «توابل» لميغيل سرفانتس 1547. 1610 مؤلّف كتاب «دون كيشوت دي لا مانشا»، منشورات وزارة الثقافة في فنزويلا، الطبعة الأولى عام 2001.

نشرت ترجمة هذه القصة في مجلة الأسبوع الأدبي – اتحاد الكتاب العرب تاريخ5/3/2011 عدد 236.

ترجمة رسالتي إلى شركة Traspatour السياحية في مدريد

بعد قيام الكاتبة المترجمة برحلة في ربوع الاندلس؛ رافقتها خلالها عدّة أدلاء أحسنوا الأداء ماعدا دليلة قرطبة أظهرت عداوتها للعرب واحتراماً من الكاتبة لمرافقتها هادئة المزاج ولأفراد الرّحلة وعدم إثارة القلاقل أغضت على مضض وبقي الجرح مفتوحاً ممّا اضطرها لإرسال هذه الرسالة وهذه ترجمتها من الإسبانية التي كتبتها بها آنئذ:

الأسياد المسؤولون المحترمون:

كثيراً ما يكون النسيان خطأ، بل خطيئة واسمحوا لي ومن أجل مصلحة وكالتكم التي لا مثيل لها في الأندلس أن أتوجّه إليكم برسالتي هذه: نسيت وكان عليَّ ألاّ أنسى أن أشير.. إنّه بين الأدّلاء الممتازين أدلاء إشبيلية، غرناطة، طليطلة... الخ أقول كان عليَّ أن أسجّل ملاحظاتي هذه في البطاقة التي وزّعتموها تطلبون منّا آراءنا حول هذا وذاك.

لم تؤدِّ السيدة إيلينا الدليلة في قرطبة واجبها بموضوعية بل كإعلامية عدوّة للعرب: اختلقت، نفتْ، افترضت كيفما شاء لها الهوى وتفادياً للتشويش واحتراماً لأفراد الرّحلة تركتُ مناقشتها.

من تخرّصانها :

إنّ العرب لا يعبدون الإله بل يعبدون الله ولفظتها" ALà " وكأنّه صنم ليتكم تقولون لي إذا لم يكن الله هو الإله مثله مثل Diós بالإسبانية وgod بالإنكليزية وDieu بالفرنسية... وماهمّها هي في هذا الموضوع. كما أنّها لم تستطع إخفاء كراهيتها للعرب ونحن في المسجد إذْ أنحت باللائمة على منظمة اليونسكو التي حافظت على هذه الرائعة ولولاها لكان أثراً بعد عين حسب تعبير الدليلة إيلينا ولا تنسى أن تحيطنا علماً بأنّ الشعب الإسباني لا يحمل نقطة دم عربية بل هو غاليي مئة بالمئة إلى الكثير من هذه التخرصات. السياحة فنّ تواصل إنساني تاريخي اجتماعي وليست ساحة مآرب سياسية دنيئة...

اقتل الحلزون

أنت وكائنات أخرى تنفجر من كل النّواحي بأسماء «خاصّة مبتدعة» وبحياة «خاصّة بديعة» تقاسمك وجودك (الخاص المبدع). أنت، أبتي، تعايشهم منافحاً عنهم آلام الجنون.

شللٌ دماغي: انحطاط عقلي، قال الطبيب:

- أهو مرض وراثي؟

أَقَدَرَنا أن نتقاسم الجنون؟

أطلّ على السيناريو وأكتشف أنّني شاركت في هذه المسألة لشدّ ما تقلقني أفكار الموت والشيخوخة.

وهي فقط الغرق.. الغوص في كرسيّ هزّاز. وحيداً مع الذكريات.

أحياناً أرى الظلال الذكريات حولي ولا أعلم يا أبي فيما إذا كانت كائنات تلاحظ ما نقوم به وتتابعنا. في تلك الأصائل الخاوية المشبعة بالنور الذهبي ينعكس على الجدران البيضاء لمسات مخضوضرة، أفكّر فيك وبهذه الظلال: لا شيء من الأشياء المفقودة الضائعة لا تؤثر فينا، فيما نعمل وما سوف نعمل غداً، لا أدري إذا ما كنتَ شخصاً بعد. لا أعلم

إذا كنتَ تسمعني وإن كنت أحدس في مكان ما شيئاً من الألحان...
طفلاً، عصفوراً، الموت.

عصفور حيادي بضراوة، أصباح وليال عديدة، أتساءل: «أتوجد الملائكة».

Mata El Caracol الطباعة الأولى 1992.
فنزويلا...

الملك بورجواز

صديقي، السّماء قاتمة، الهواء بارد ، والنّهار حزين.. إليك حكاية فرحة.. تزيل عنك الملل والكآبة:

كان هناك في مدينة كبيرة جميلة ملك قويّ جدّاً، لديه من الثياب الفاخرة والجواري العاريات، بيضاوات وسمراوات ومن الخيول طويلة الأعراف ، والأسلحة النارية ، والحرّاس اليقظين، والفرسان ذوي القرون البرونزية ما يملأ الأجواء لغطاً. أكان هذا الملك شاعراً؟

- لا يا صديقي.. لقد كان الملك البرجوازي..

وكان هذا المعظّم يحبّ الفنون كثيراً.. ولطالما آثر موسيقييه ومادحيه الشعراء، رسامين، نحّاتين حلاّقين ولاعبي السيف والترس باليد الطّولى...

عندما يذهب إلى الغابة برفقة الوعل أو الخنزير البرّي الجريح الدميّ، يسأل أساتذته السفسطائيين..

أن يغنّوا له مدائح سحريّة. فيملأ هؤلاء كؤوس النبيذ الذهبية المتلألئة، وتصطفق راحات النساء بتناغم إيقاعي، لقد كان هذا الملك شمساً في (بابل) حافلة بالموسيقى، بالقهقهات وضجيج الحفلات..

كلّما شعر بالملل من صخب المدنية، ذهب للصيّد متوّجاً الغابة بفصائل من الجند تجعل الطيور تهجر أعشاشها خائفة، والأصوات تتجاوب في حنايا الوديان، وكانت سيقان الكلاب المطاطية تخترق الحراج في الحلبة، والخيول تموَّج المعاطف القرمزية، وتحتفي بالوجوه الملتهبة، والشّعور المسترسلة إلى الريح..

لقد كان قصر الملك فخماً، كُرِّست فيه الأموال ومغنيات الفنّ الرائعة، تأتيه بين أكداس الليلك وخزّانات الماء التي تحمل تحيّات الإوز الأبيض قبل تلك التحيات من الجنود المشاة، ياللذوق الرفيع، راح يصعد درجاً محفوفاً بالأعمدة الرخامية الزمردية وعلى جانبيه أسود مرمرية كما لو أنها في عروش سليمانية، ياللنعيم.!

علاوة عن الإوز ولولعه بالنغم الشجيّ لديه الكثير من الأطيار المغرّدة وبالقرب منها يغذّي روحه بقراءة روايات (م.أونيه)، أو كتباً جميلة تبحث أموراً رياضية أو انتقادات بديعة. لا جدال، إنّه مدافع حقيقي عن النقد الأكاديمي للأدب وللأسلوب الرّاقي في الفنون؛ روح سامية شغوف بالأداء والتنقيح..

يابانية! صينية للفخفخة لا أكثر...

باستطاعتك أن تتمتع ببهو خليق بذوق غونكوري وملايين الثري كريسو؛ تماثيل أسطورية من البرونز بأفواه فاغرة وأذناب عقفاء.

مجموعات عجيبة لِ «كيوتو» مع تشكيلات أوراق وأغصان من حديثة أزهار عجائبية، وحيوانات من عالم حيواني مجهول؛ فراشات بمراوح نادرة

اتّحدتْ والحائط.. أسماك وديوك زاهية الألوان، أقنعة بملامح جهنمية وبعيونْ كما لو أنّها حيَّة؛ أسنّه من أوراق قديمة جدّاً و مقابض مع تنانين تلتهم أزهار اللوتس «النيلوفر»؛ في قشور بيض وستائر حريرية صفراء كما لو أنها نسيج خيوط العنكبوت؛ مزدانة بنوارس حمراء وشجيرات الرزّ الخضراء، أوانٍ بورصلان عمرها عدّة قرون وتحفل برسوم محاربين تتريين يلبسون جلوداً تغطّي أصلابهم ويحملون أقواساً شداداً وجعباً من السّهام.

بالإضافة إلى بهو يوناني مزدانٍ بالمرمر: من آلهة إلى ربّات، لغوانٍ ولعوبين، قاعة الأزمان المزدهرة بلوحات الفنّان الكبير «واطو» وشاردن: اثنان، ثلاثة، أربعة، ما أكثر عديدها..!

وكان أمير الفنون هذا يتنزه بينها جميعها بوجه مغمور بشيء من العظمة، بجسد نشوان وتاج على الرأس كملك ورق اللعب.

ذات يوم أتوه برجل غريب الأطوار وكان على عرشه محاطاً برجال البلاط من خطباء ومعلّمي فروسيّة ورقص..

- ما هذا؟!.. سأل.

- سيّدي، إنّه شاعر...

كان لدى الملك إوزّ في الخزّان، كنار وعصافير من كل نوع من مدجنة الطيور، والشّاعر.. شيء جديد وغريب:

- دعوه هنا..

والشّاعر:

ـ سيّدي، لم آكل بعد..

والملك:

ـ تكلّم وستأكل..

بدأ:

ـ سيّدي منذ زمن وأنا أنشد فعل المستقبل...

مددت جناحيّ للإعصار، وُلِدتُ مع الفجر أتطلّع لسلالة مختارة ترقب وهي تنشد والمعزف في يدها بزوغ الشمس العظمى، لقد هجرت أهواء المدينة الفاسدة، وغرفة النوم المفعمة بالعطور، وربّة الجسد التي تملأ الروح بالصغائر والوجه بغبار الأرز. كسرت الهارب: الضاجة بأوتارها الضّعيفة وقبيلها الكؤوس.. من بوهيميا والجرار المزبّدة بالنبيذ، تسكر ولا تعطي القوّة: نضيت ثوباً يجعلني أبدو كالبهلوان أو كامرأة، ولبست زيّاً بدائياً فضفاضاً، أسمالي من قرمز ملكي. عشت في البرية، أشعر القوّة وأعبّ الحليب الصّافي ومشروب حياة جديدة، وعلى شاطئ البحر العنيف، مطهّراً رأسي بالعاصفة القويّة السّوداء، كملاك جليل أو مثل ربّ أولومبي وقّعت على خاتمة القصيدة ورميت بالإبداع للنسيان.

داعبت الطبيعة العظيمة، مفتشاً عن الحرارة المثلى والقصيدة في الفلك، في آفاق السّماء، وفي اللؤلؤة في أعماق المحيط، أريد أن أكون الرائد حيث سيأتي عصر الثورات الكبرى ومسيح نوراني ثائر قويّ، وجدير بنا استقبال روحه بالشعر كقوس نصر مطالع حديدية صعبة ومقطوعات ذهبية من الحبّ.

«سيّدي لا يوجد الفنّ في المحافظ المرمرية الباردة ولا في اللوحات المزخرفة، ولا حتّى في السير الممتاز Ohmet يا سيّدي، لا يلبس الفنّ سروالاً ، ولا يتنطّع بالكلام ، ولا يضع النقاط على كلّ الحروف.. هو إمبراطور، معاطفه من ذهب، من لهب ، أو يمضي عرياناً ليعجن الرمل بالحمَّى ، ويرسم بالنور.. إنَّه لقويّ ينقضّ بالجناح كالنّسر، ويهجم كالأسود.

ـ سيّدي بين أبولو والبجعة عليك أن تؤثر أبولو ولوكان من طين والأخرى من عاج.

ـ أوه، ياللشعر...».

«حسناً! إنَّ الإيقاع ليتغاوى ، وشابات النساء تتغنّى ، ونسج المشارب الشعرية، وأكثر من ذلك سيّدي فحتّى الإسكافيّ ينتقد مقطوعاتي ، والسيد الصيدلي يضع النقطة والفاصلة أمام تطلعاتي. سيدي.. وحضرتكم تكفل لهم كلّ ذلك! .. المثال، المثال....».

قاطعه الملك:

ـ لقد سمعناك. ما المطلوب؟..

وتصدّى فيلسوف ما:

ـ إذا سمحتم سيّدي، يستطيع أن يربح الطعام من صندوق موسيقى؛ نضعه في الحديقة قريباً من الإوزّات من أجل جولاّتكم...

ـ أجل، قال الملك ملتفتا إلى الشاعر ـ أدر الآلة، ولتغلق فمك، دع صندوق الموسيقى يعزف الفالس، الحفلات والرقصات، بما أنّك لا تفضل الموت جوعاً، قطعة موسيقية بديل عن كسرة الخبز، دعك من السفسطة ومن المثاليات. اذهب.

ومنذ ذلك اليوم كنت ترى الشّاعر على ضفّة بحيرة الإوز، تريريرن تريرين خجولاً على مرأى من الشّمس العظيمة، لطالما مرّ الملك بالقرب منها!... تريرين، تيريريرين!... أعليه أن يملأ المعدة؟ تيريرين! أكل ذلك خلال استهزاء العصافير المنطلقة لتشرب ندى الليالك المزهرة، وبين طنين النّحلات التي تقرص وجهه وتملأ عينيه بالدمع... دموع مريرة تتدحرج على خدّيه وتسقط إلى الأرض السوّداء!...

جاء الشتاء واستشعر المسكين البرد في جسمه وفي روحه تجمّد دماغه ولفّ النسيان أناشيده العصماء، وشاعر الجبل المتوّج بالنّسور لم يكن سوى شيطان مسكين يدير الآلة: تريرين!...

وعندما سقط الثلج نسيه الملك ورجاله؛ بينما أمّن الدفء للعصافير تركه للجوّ الجليدي يلذع جسده ويصفع خدّه..

وذات ليلة والمطر الأبيض يتساقط بريشاته البلّورية، أقيمت في القصر حفلة تتضاحك فيها الأنوار العنكبوتية على المرمر وعلى الذهب وفوق مسوح الولاة على البورصلين القديم. وتعالى التصفيق الجنوني عند شرب كأس السيد الخطيب،....... بالأشعار اللاتينية، ثلاثيات، رباعيات؛ بينما تتلألأ الشمبانيا بزبدها الوضاء في الكؤوس الكريستالية ليلة شتوية، ليلة احتفال! والتعيس ملتحف بالثلج قرب الخزّان يدير الآلة ليستدفئ، تحت البياض الجمد الجليدي، يرتجف خائفاً ومحكوماً بالعاصفة في ليلة ليلاء، تتردّد بين الأشجار العارية موسيقى جنونية ترجّع الأشعار اليونانية، وقع ميّتاً وهو يفكر بإشراقة شمس مستقبل قريب ومعها

المثال.... وبأنَّ الفنّ لا يلبس سروالاً بل معطفاً من اللهب أو الذهب... إلى أن وجده الملك في اليوم التالي، وجده وحاشيته شيطان الشعر مسكين كالحسّون يقتل الجليد بابتسامة مرّة على شفتيه ولم تزل يده على الآلة...

آه يا صديقي السّماء دكناء، الجوّ بارد، والنهار حزين، حيث تسبح الكآبة الرمادية الربداء.

ولكن كم تدفئ الروح عبارةٌ ما، والشدّ على الأيدي في الوقت المناسب إلى اللقاء..

للكاتب الأرجنتيني روبين داريو من كتابه «أزرق» طباعة أطلس..
فنزويلا / 2001.



آخر الخارجين

جاء الجندي البرتغالي Custodio Hernàndez ، السّمين الأسمر والذي يشبه الشجر العتيد ليخبر «أغيري» :

ـ إنَّ «ألونسودي فيينا» يجيّش الجند ضدّ سماحتكم..

لم يفاجأ أغيري بسمعه ذلك. لقد فقد ثقته «بفيينا» منذ أيَّام، كان قد خلع عنه رتبة القائد ثمَّ أعادها له...

ـ وماذا يقول.؟

ـ يقول للجنود أن ينضموا إليه كيما يقتلوا سماحتكم، ويحوزوا غفران الملك. وإذا لم يقوموا بذلك سيلقون حتفهم بأيديكم أجمعين. ولا يتحفظ في تكراره. لطالما أعلنها بصوت عالٍ في بيت «آنا دي روهاس» حيث يستضاف.

فكّر أغيري مليّاً، لم يدخل في روعه كيف تجرّأ «فيينا» وأعلن مآربه ضدّه بتلك الطّريقة. أتُراهم فقدوا الخوف منه؟... وأصبح أيٌّ منهم يتجاسر ويهاجمه؟...

ثمّ ابتسم، وكأنّه يحدّث نفسه قال :

ـ هذا لن يقتلني ولن يجرؤ ، كلام فمٍ دون سواعد ، يريد كسب مغفرة الملك بحجّة محاولة قتلي ، متجاوزاً المحاذير ، مهما يكن من أمر عليَّ أن أعاجله كي لا يصل مبتغاه .

ونادى القائد «دييغو تيرادو» ، أمره بالخروج سريعاً مع كتيبة جنود ليفتشوا عن «فيينا» ويقتلوه .

ثمَّ أضاف :

ـ وأيضاً بنيّ لاحق تلك المرأة (آنادي بروهاس) حيث اجتمع العشاق! علّقها إلى عمود السّاحة وليأخذها أفضل المسلّحين ، وإيَّاكم نسيان العجوز زوجها وهو يعيش في مزرعة ، أرسل بعض الجند ليقبضوا عليه .

خرج القائد لينجز المهمّة وذهب أغيري إلى كتائب القلعة ليعاين الفرسان والعتاد وكان قد أوصى بإحصائها ..

حالما خرج أغيري من المركب : «Prior de Maraeapana» أسرع لتجهيز المسيرة بكلّ السّبل ، عزم على جمع وتوحيد السَّلاح والفرسان ، وإعداد العدّة للعبور ، الانتهاء من صنع المركب واثنين آخرين أعدَّهما ، وعاد يرهق الجنود بالتمارين والمناورات طوال النَّهار .

ـ علينا أن نكون مستعدّين لكلّ طارئ ، على الرغم من أنَّ حربهم لا تخيفنا هؤلاء الفنزولان «شعب فنزويلا» أكلة الذرة ..

التقى وهو يخرج من الثكنة شاباً متأنّقاً يكتسي الحرير ويحتذي النّعل اللّماع وبلحية لم يكد ينتهي من إحفائها ، وكما لو أنَّه لم يعرف القائد ، بادره السؤال بلهجة لا مبالية :

ـ مع من اتكلّم أيّها الطيّب لأستعيد حصاناً استلبه منّي بعض الجنود.

شزره أغيري بعين السخرية والازدراء وقال له:

ـ أسلبتم حضرتكم؟ أتريد أن تقول لي ما اسمك.؟

ـ اسمي «سانشو رودريغز» ومقامي رفيع.

واقترب جنود كانوا هناك يستطلعون مايجري.

ـ لشدَّ ما تشرّفنا زيارة سيّد مهمّ. قال أغيري بلباقة مصطنعة..

والتفت إلى الجنود وصرخ:

ـ ماذا تنتظرون لتأتوا بكرسي لهذا السّيد والاحتفاء به كما يجب.

أتى أحدهم بكرسي وجلس الشاب المنتفخ بكثير من العظمة. بدا له أن يقول شيئاً، غير أنَّ أغيري ابتدره وهو يتأمّله مليّاً.

ـ فات سما حتكم حلاقة هذه اللحية الفتية. تعالَ هنا روبيرتو سوزايا وأنت الخبير باللحى، ما الذي نستطيع أن تقدّمه لهذا السيد.

وككورس أخذ الجميع يراقبون الشّاب المسكين الذي ابتدأ يشعر بالخوف والاضطراب..

ـ باطل، باطل. قال سوزايا باستهزاء. ألا تعلمون حضرتكم بأنَّ لحية خفيفة حمراء أسوأ ما يوجد تحت قبّة السماء، ومن لحية المخرَّب يتعلّم التلميذ؟ وعندئذٍ أضاف أغيري بمرارة:

ـ خذه وليأتِ الحلاّق وليجزّ له هذه الشعيرات ببيلة متفسخة.

وبين قهقهات الجنود وصراخ استغاثة الشاب واحتجاجه، غادر إلى مكانٍ آخر، كثيراً ما تراءى لأغيري إنَّه تأخر في الانطلاق، لقد أدرك أنَّ كل يوم تأخير يقلّل من إمكانيات نجاحه، وأنَّه خسر فرصة المبادرة بعد أن ذهب الرئيس Prior وجهّز كل كتائبه.

لقد انتشر الارتباك والملل بين رجاله علناً. كل يوم تقريباً يأتي من يعلن له عن انشقاقات جديدة لم تجْدِ العقوبات القاسية نفعاً في ردع رغبة الذهاب والانفصال، حتَّى «بيدرو ا كونسو غالياس» وكان يبدو مخلصاً، أعلن الانشقاق.

كان قد قرَّر عند المغادرة بأنَّ المرضى سيبقون في الجزيرة، ومالبث أن وجد الكثير من المتظاهرين بالمرض من أجل البقاء.

لم يعد يثق بأحد، يودّ لو يعلم بأيّة وسيلة كانت ما يفكّر به الجند وما يخططون له. وكان يقترب أثناء الليل بحذر من فصائل الحراسة أو تحت أشجار السَّاحة مسترقاً السمع لشيء من أحاديثهم.

وكانت هذه الجولات الشّبحية تزيد خوف وعدم ثقة الرّجال، وكأنَّه يدعم القسوة والخوف أكثر.

عندما أتوا ليعلنوا له أنَّهم قتلوا آنادي روهاس وزوجها العاجز «كوستوديو هرناندز» كما أمرهم، أضافوا قائلين:

ـ لقد قمنا بتنفيذ قرار سعادتكم، ولكن عندما وصلنا وجدنا هناك الأب الخوري فقام أحد جنودنا بقتله بغتة.

أطرق وقال:

- إنّه لأمر سيئ، ولكن بما أنّكم قمتم بذلك ولكلّ أمر بداية، فاذهبوا أيضاً واقتلوا الخوري الآخر الذي قام بزيارتي هنا في القلعة مؤخراً، ذلك الطّويل العجوز كثيف الحاجبين.

- ذاك الذي أتى من أجل اعتراف سعادتكم..

- هو ذاك...

عندما استعدّ الجميع للخروج، انبثق حدث جديد أقلق الجميع، نزل من الباخرة هنديّ مولّد مع أعداد من الهنود الرماة وكمنوا في جبل يبعد عن القرية مسافة نصف فرسخ، لقد أصبحوا جنوداً لم يجرؤ أغيري على مجابهتهم خوفاً من انتشارهم...

وزّع أكثر الحرّاس ثقة على مداخل القرية ولجأ وجميع الجنود الآخرين إلى القلعة.

من خلال فتحاتها استبانوا من بعيد أصحاب «فاهاردو» فأخذوا يشتمونهم ويتحدّونهم.

لم يجرؤ الجيران أن يطلوا برؤوسهم خارج الباب. عانى الكثير منهم الجوع والعطش حيث بدأت الأغذية تنفد ولا أحد يبادر لجلبها. يوميًّا كانوا ينتظرون خروج أغيري وعندما يخيّم الليل دون أن يحدث ذلك، يتذمّرون ويصلّون بحرارة خشية أن يقع لهم في السّاعات الأخيرة مالم يكن بحسبانهم لأيّام طويلة.

غالباً ما يفاجئ أغيري بعضَ جنوده وهم يصلّون، فينحي عليهم باللائمة:

ـ السماء عند الإله لمن يخدم، والأرض لمن هو أكثر قدرة، كأنّكم قساوسة..

كانت المنطقة شبه صحراوية، لا جنود ولا جيران يخرجون إليها.

عندما استعد الجميع للمغادرة دون علم أصحاب Fajardo ولا حتّى الجيران، فُتحتْ بوابة أسفل القلعة تصل بالحصن، وبرفقة قائد مخلص ومسلّحين جاهزين راح يخرج الجنود من فوق فرقاً صغيرة لإبحارهم.

لم يبق إلاّ قلّة ليخرجوا وفجأة فتّشوا عن الأكليركي «contreras» وجدوه واقتادوه عنوة.

كان هو بالذات آخر من خرج.صعد أوّلاً في طريق دائري وشاهد المكان مقفراً ميّتاً. حتّى الأشجار لا تتحرّك. وكأنّه وحيد ومهجور من الجميع نزل مسرعاً لينضمَّ إلى الذين ينتظرونه في البوّابة.

لم يلاحظ أحد تحرّكهم وأخذت الآن الثلاث مراكب بالابتعاد في زرقة البحر المتلألئة. وحتّى الآن لم يجرؤ أحد أن يطلّ برأسه على الشّوارع الخالية السّاكنة.

❖❖من كتاب: El Camino del Dorado

لكاتب الفنزويلي: Arturo Uslar Pietri

طباعة كولومبيا 1985

فلسطين باقية على مدى الأيّام

ترجمة مقال صحفي للأديب المفكّر إبراهيم سلّوم بيطار، كاتب من بلدي، اشتهر في فنزويلا بأشعاره الإسبانية ومقالاته الفكرية، حمل العروبة في حناياه شوقاً وألماً لقضاياها.. الخ..

يوم 29 تشرين الثاني من كل عام تُستدعى الذاكرة الإنسانية للاحتفال بقدسيّة الذكرى. في هذا اليوم يجتمع رجال ونساء وأطفال العالم الذين يملكون وطناً ويعلمون أنّ وطنهم يولد يوميّاً وحدوده ذاتها وذات الأنهار والبحار، يجتمعون ليذكروا شعباً كان له وطن ونهر وبحر وابتسامة وتاريخ عريض، تاريخ طويل ومستمرّ. نتحدّث عن الفلسطينيين، نتحدّث عن فلسطين. اسم من بين أسماء البلدان عام 1948.

نتكلّم عن شعب تستحضره الذاكرة الإنسانية كل 29 نوفمبر لتخبرنا بوجوده ونضاله وآماله وأنّ هذا التاريخ سيكون يوميّاً من أجل المستقبل.

واليوم 29 نوفمبر نوجّه أنظارنا إلى الفلسطينيين ولن ننسى أبداً أنّ هذا الشعب يناضل لاسترداد ما كان يخصّه واسترجاع ما يخصّه ويثبت لنا صموده وعدم استسلامه بالرّغم من المحاولات لإبادته.

نوجّه نظرتنا للشعب الفلسطيني ومثله لن ندع يوماً يمرّ دون الاستمرار في البحث عن زمن الإنصاف لذوي الحقوق. لقد أرشدنا الفلسطينيون إلى الطريق، معهم نسير ومعهم سنسير دائماً حتّى لا يكون وجودهم فقط يوم 29 /نوفمبر/ بل على مدى الأيّام.

❖❖ للأديب إبراهيم سلّوم بيطار، سوري الأصل، اشتهر في فنزويلا... كتب أشعاره بالإسبانية.. وبمقالاته الفكرية الأدبية حمل العروبة في حناياه شوقاً وألماً للقضية الفلسطينية.

أذيعت الترجمة في إذاعة القدس في دمشق...

الأحداث في تشيلي:
وجهة نظر الشيوعيين

حرَّكت الضربة العسكرية الفاشيستية التي أطاحت في (11 أيلول عام 1973م)، الحكم الشعبي وعلى رأسه الرئيس سلفادور الليندي، حرَّكت أعماق الإنسانية التقدمية وماجت حملة قويّة من الصمود العالمي إلى جانب الشعب التشيلي المعتدى عليه بالمقارنة مع التصريحات العالمية خلال تاريخ الحركة العمّالية..

إن أحد عوامل هذه الاحتجاجات - دون شك - هو الضغط الوحشي البربري الذي يمارسه الفاشيون، لم تستطع عشرات الألوف من الموتى، عشرات الألوف من السّجناء ومئات الألوف من الملاحقين حصيلة هذا الضغط إلاَّ أن يجرحوا بحدّة ضمير الإنسانية الذي عبّر عن استنكاره بإجماع أصوات جميع الديموقراطيين.

على أنَّ عظم هذه الموجة الصلبة يشير إلى الأثر العميق الذي تركته التجربة التشيلية في العالم، ذلك الجهد المبدئي الناجح للحركة العمّالية والشعبية والذي أفسح مجالاً للحكم دون اللجوء لمواجهة مسلّحة مطلقة.

إن نجاح القضية الثورية التشيلية أثار اهتمام الطبقة العاملة العالمية والملايين من البشر بعمق بالغ الحقيقة إنَّه لم ينظر إلى هذه التجربة، وما

كان يجب أن ينظر إليها على أنَّها مثال أو نموذج. إنَّما أبانت هذه العملية أنَّه باستطاعة الطبقة العاملة والشعب في أوضاعنا الحالية أن يفتحوا طريقهم للحكم في أعقاب الجهاز البرجوازي الحاضر، وبخاصّة عندما تستخدم الحركة الثورية قوّتها ومقدرة حلفائها المكونة من قطاعات اجتماعية مختلفة في سبيل تطوير وتأمين الديموقراطية في الحياة السياسية حتى ولو تحت راية الحكم الرجعي، وخلق علاقات قوى متبادلة كفيلة بمنع تزايد قوى الرجعية المسلحة للحؤول بينها وبين الظفر.

لقد كان لهذه العملية الثورية التشيلية من الأهمية والاعتبار بين صفوف الثوريين والديموقراطيين في العالم أجمع وبخاصة في أمريكا اللاتينية، ما جعل الإمبريالية تبذل جهدها لإسقاطه وتصفيته.

وكان أن تلقت تشيلي من سلسلة الاعتداءات الامبريالية التي عمّت أمريكا اللاتينية لضمان مصالحها والتي يعتبرها الاحتكاريون اليانكي: «جبهتهم، دارهم الخلفية»، أكثرها وحشية وقسوة. لقد أقيمت «شرذمة عمل» في مجلس الأمن الوطني في واشنطن عام 1970 لترسم وتخطط بالتفصيل العدوان ضد شعبنا...

إن المساعدات القاطعة لتهيئة الانقلاب أو بالأحرى المحاولات الانقلابية المتتالية التي واجهها حكم الوحدة الشعبية من قبل الإمبريالية لها معناها عندما نحلّل حملتها الواسعة بعد عدوانها على الحكم الشعبي.

إن «الصحيفة اليومية المركوريو» صوت الإمبريالية والاحتكاريين الكبار تفسّر معنى الهزيمة الشعبية مصوّرة التفكير الرجعي الرهيب بعبارات كالتالية:

«للأحداث التي حصلت هنا لها وقعها العالمي، لقد تحقق في تشيلي قلب العملية الثورية الماركسية وهذا بشكل أساسي هو الصّواب». «لقد فشلت الشيوعية.. هزمت في استراتيجيتها الثانية: الطريق الشرعية وعانت السقوط في تشيلي بتاريخ 11 سبتمبر/أيلول». جدل غريب!.. المدافعون المزيفون عن «الشرعية والنظام» يتبجحون بتمزيقهم القانونية ويهلّلون لحمامات الدم التي مارسوها، ويخرجون بحكايات فرحة من مأساة سوداء.

كان ما حدث في تشيلي هزيمة نكراء فعلاً ولو أنّها عابرة، هزيمة تطرح بشكل طبيعي سلسلة من أسئلة تعترض جواب الثوريين.

ما الذي عمله الشعب والاتجاه الثوري للقضاء على الانقلاب؟

لماذا ثبتت الديكتاتورية الفاشية في أيّام قلائل ولم تطلب المقاومة المسلحة قوة أكبر ضرورة ومبرّرة في مثل هذه السّاعة؟ إن هزيمة الوحدة الشعبية تبطل بشكل عام مقولة إمكانية الحكم عن الطريق غير المسلح؟ أو على الأقلّ هكذا يحدث لتشيلي!.. هذه بعض الأسئلة. إنّ الجواب عليها لا يفترض تحمّل مسؤوليات الماضي وحسب، هذا الواجب الصريح للثوريين أمام شعبنا والحركة العمّالية العالمية، وإنّما يعني فوق كل ذلك الحصول من هذا التحليل على توجيهات تكمّل رسالة السّاعة الملحّة ألا وهي القضاء على الديكتاتورية الفاشية وخلق الأوضاع في بلدنا لاستئصال الفاشية للأبد.

ومن ناحية أخرى لن يكفي التحقيق النقدي مرّة واحدة، بل إنّ الزمن سيحمل بأشكال متعدّدة آراء ووجهات نظر جديدة. لذلك فنحن لا ندّعي بهذا التحليل إغلاق باب الجدل الشافي المكانة، لدى الحركة الثورية...

إنَّ الانتصار الشعبي في تشيلي عام 1970 كان تتويجاً لعملية نضال جماهير واسعة اجتاحت جميع جبهات المعركة الاجتماعية، وكان سبب انتصار الحركة الشعبية التفافها واتحادها حول خط مستقيم عرّف بدقة هويّة الثورة التشيلية وأوضح بالضبط الأعداء الأساسيين: الامبريالية والأوليغاركية الاحتكارية والإقطاعية وحدّد بهذا الاتجاه الانقلاب الرئيسي.

شكلت الطبقة العاملة جبهة سياسية واجتماعية . الوحدة الشعبية . واستطاعت بفضل سياستها المستقيمة العامّة (التي أتاحت لها في اللحظات الحاسمة معاضدة قطاعات اجتماعية أخرى، عملت مع الوحدة الشعبية لمقاومة مكايد الرجعيين) استطاعت الاستيلاء على حكومة البلاد وعلى قسم من النفوذ السياسي أكثر ديناميكية ومعنى.

إن التحولات التي حرّكتها الطبقة العاملة والشعب، حدّدها برنامج الوحدة الشعبية مع مايتفق وميزات المرحلة الثورية، تناول قضية القضاء على التخلف والفقر، واضعاً لها حدّاً للاستيلاء الأجنبي والأوليغاركية، إن تأدية هذا الرسالات تطلب أوسع وحدة بين صفوف الشعب وفي الوقت نفسه أفسحت مجالاً للمساهمة مع قوى لم تكن في الوحدة الشعبية للسير بها قدماً.

عرَّف السكرتير العام للحزب «لويس كورفالان» في تشرين ثاني عام 1970 ، هذه القضية بالعبارات التالية: «من أجل الميزة الخاصة للثورة التشيلية ومصالح الطبقات الشعبية ومن أجل عزل الرجعيين وإحباط أعمالهم الخدّاعة ومواجهة الضغوط الإمبريالية وإعطاء الحكومة أخيراً سنداً وطنياً، من أجل هذا كله نستطيع ويجب علينا تطوير وحدة الشعب

أكثر وأكثر وتحويلها لقوّة حقيقية لا تقهر» ، هذه هي المسألة التي يجب أن تحلّ في أيامنا الجاريّة.

إنّ القضايا المطروحة هي تأميم مناجم النحاس الكبيرة ، خلق سطح الملكية الاجتماعية فوق قاعدة تأميم الاحتكارات الكبيرة ، مركزية البنوك ، تحريك الإصلاح الزراعي ، إنشاء شركة خاصة للاستثمار لصالح العمّال ، الاتجاه لحلّ أزمات السكن ، الصحة والتربية ، تأسيس سياسة عالمية مستقلة ، وبشكل خاص التطوير العملاق لمشاركة الشعب في قيادة مصير البلاد عن طريق تقوية القطاعات والوحدة المركزية للشغيلة ، والهيئات المساعدة في الطباعة وهيئات التموين والأسعار .. الخ هذه الأعمال تشير إلى الصفة الوطنية العميقة والشعبية الثورية للحكومة التي ترأسها سلفادور الليندي . إن هذه الأهداف تشكل بغضّ النظر عن الهزيمة العابرة إرثاً للشعب التشيلي لا يقدّر بثمن . وإذا ما استطاعت الديكتاتورية أن تخبو أوارها وقتيّاً ، فإنّها ستبقى المثل التي تدفع الطبقة العاملة والقطاعات الواسعة من الشعب إلى النضال .

ولكن هذه العملية التي وحّدت موضوعياً الآمال ودافعت عن مصالح الأكثرية من الشعب هُزِمتْ . لماذا؟

بالدرجة الأولى لأن قضية من هذه النوعية تعني تحطيم القدرة الإمبريالية وغنى البرجوازية الكبيرة اللذين انفردا بالامتيازات لأكثر من مئة وخمسين عاماً الشيء الذي لا يحتمل بالنسبة لهم لذا قاتلوا بأظافرهم لتقويضها .

إن القضية التشيلية تثبت بما لا يقبل الجدل قيمة المفهوم الماركسي القائل بأن الطبقات القديمة لا تترك الحكم طواعية ، بل على العكس من ذلك

تدافع عنه بالأظافر والأنياب. إن استيلاء الطبقة العاملة والشعب على مواقع الحكم عن الطريق غير المسلّح لا ينقض مطلقاً هذه الحقيقة؛ لا بل تجبرنا أن نأخذ بعين الاعتبار تقييم لينين لسلوك الرجعية بعد هزيمتها، لقد تأكد صدق كلماته المكتوبة بعد قليل من ثورة أكتوبر في بلادنا، لقد هُزِمَ المستثمرون ولكنّهم لم يصفّوا. إن لهم قاعدة عالمية هو الرأسمال العالمي وهم فرع له، إن لديهم بعض الوسائل الإنتاجية، المال والصلات الاجتماعية الواسعة. إنَّ قوّة مقاومتهم تزداد بالضبط بسبب هزيمتهم مئات وآلاف المرّات، إنَّ «فنَّهم» في حكم البلاد، في قيادة الجيش، في توجيه الاقتصاد يحقق لهم تفوّقاً كبيراً على العموم وأهمية أكبر بما لا يقاس من تلك التي لا تناسب عددهم بين مجموع السكان. لقد كان هذا حميماً بالنسبة لنا مع الإشارة إلى أن الرجعيين لم يكن لديهم: «بعض الوسائل الإنتاجية.. الخ»، وحسب وإنّما أكثر من ذلك كان لهم مواقع هامة في الجهاز الحكومي، في البرلمان، في الهيئة القضائية وفي أوساط الاتصال الجماهيري.

أعلنت الرجعية حرب الموت مستخدمة كلَّ هذه الحصائل على الحكومة الشعبية، ولجأت لأشكال اتخذها شعبنا دروساً ولنا الثقة بأنَّها تخدم شعوباً أخرى من العالم، بعض هذه الأشكال هي:

إن معركة الرجعية ضد القوى الشعبية، ضد الشيوعية والاشتراكية باسم الحرية والديمقراطية، بيدَ أنَّه كلّما احتدم. وبشكل خاص. النضال الطبقي كلّما رمت الرجعية إلى الحافّة بأيّ شكل ديموقراطي حالما يتناقض مع مصالحها، وإذا ما سمحت هذه الأشكال الديموقراطية للشعب باستلام زمام القيادة أو جزءاً من الحكم هوجمت بشكل جنوني من قبل حماتها

المراوغين، وفي أوقات كهذه لا تتورّع البورجوازية عن اللجوء إلى الإرهاب والجريمة كأساليب سياسية، هذه الأساليب التي تدينها باسم «المبادئ» طالما هي على رأس الحكم.

إن التجربة التشيلية تبين بوضوح أن الأشكال الديموقراطية تحيا فقط وتتطور على يد الطبقة العاملة والشعب، إن القضايا الثورية والسير نحو الاشتراكية في مرحلتنا هما الضمان الحقيقي للديموقراطية السياسية؛ إذ أنَّ النضال في سبيل الديموقراطية يتآلف مع النضال في سبيل التطوّر الاجتماعي.

ومن ناحية أخرى عندما تسير عملية النضال بالطريقة اللامسلّحة فإن «الشرعية» بيد الطبقات المسيطرة تعطيها قوّة معتبرة في معركتها مع الثورة، يسوّغ وقتئذٍ الحكم الثوري أمام مراكز هامّة من المجتمع وتؤول مفرضة إلى عامل يساعد على التحوّل الثوري ويكدس القوّات. ولكن بما أن هذا التحوّل العابر يتضمن البديل المؤقت لبنية الحكم القديم فإنّه لا يغيب عن بال الحركة الثورية بأن محتوى النماذج الديموقراطية الموروثة من النظام القديم موسومة بسمة الطبقية للحكم وبأن تطوّر الديموقراطية يستلزم بالضرورة النضال لتغيير هذه السمة الطبقية للحكم، ضمان لا غنى عنه للتطور الثوري يحاول العدو أن يستفيد من هذا الظرف ويزيد في استعمال أشكال الحكم ذات الأثر الفعّال في تصفية المؤسسات التي لا تخدم جوره الطبقي.

لقد ارتكبت حكومتنا، بهذا المعنى أخطاءً أفسحت المجال لتجربة مهنية إذ سمحت للرجعيين بالمصادقة المهنية للهيئات الديموقراطية وهذا

ما ساعدهم في خلق الظروف من أجل تصفية الديموقراطية كلها على يد الانقلاب العسكري. إنَّ الذين تهاونوا أمام الأطراف الفاشية وسمحوا بتطوّرها أثّروا بشكل سلبي في المفاهيم المثالية للحرية وأقحموا المشاكل في ساحة النضال الطبقي.

إن النضال الطبقي يتطلب حنكة خاصّة في حالات النزاع من أجل الحكم السياسي وانتزاعه من الطبقة البرجوازية الحاكمة، لأنّه لم يزل لإيديولوجية الطبقات الكبير وزنها الكبير، وسيادتها القويّة. وإذا ما أضيف إلى ذلك سيطرة الرجعية على وسائل المواصلات الفكرية(طباعة، إذاعة، تلفزيون، سينما، مدارس، تبيّن لنا سلاحها القوي لتحقيق نواياها البرجوازية.

وبما أن الطبقة العاملة والحركة الشعبية أخذت على عاتقها مسؤوليات الحكم فإن واجباتها في حقل الاقتصاد الوطني تتحوّل إلى واجبات قطعية من أجل نجاحها السياسي وثبات وتطوير مواقفها في معركتها من أجل الحكم.

عندما تخسر الرجعية الحكم السياسي تسعى دون رحمة إلى دمار البلاد، ففي الوضع التشيلي لم يتورّع الاحتكاريون والإقطاعيون مثلاً عن التخريب الاقتصادي دون أيّ اعتبار للأذى الذي يلحقونه بالبلاد بما فيه مصالحهم الخاصّة (وهي بالنسبة لهم طبعاً أهم من مصلحة الوطن)، ماداموا يخلقون الصعوبات أمام الحكومة.

إن المقدرة الحكومية للبورجوازية تبدأ وتنتهي في البيروقراطية، وعلى العكس من ذلك نحن الثورويون نعتمد ما سمّاه لينين "عيناً مُعينة

مدهشة" لنضاعف قوانا وكفاءتنا. تلك هي مساهمة العمّال في مهمّات إدارة الدولة المختلفة ومشاركتهم في تشكيل تلك العين: "شبكة علاقات تنظيم جديدة، ممتازة، معقّدة وحسّاسة تشمل الإنتاج والتوزيع المدروس للمواد الضرورية من أجل الحفاظ على أرواح الملايين من البشر".

إنّ إنجاز هذه المهمّات التّام تطلّبت ثقة واسعة بالجماهير وصلابة في الطبقات. وللقضاء على البيروقراطية جهدنا نحن الشيوعيين لإبعادها عن ممارسة مسؤليات الحكم الممتازة، لتجديد رواتب متواضعة للمناصب وتعفّف الباقي عن الوظائف العادية. وشدّدنا على تأسيس قوانين قويّة لمنع أيّ شكل من أشكال الرّشوة والأنتهازية الشخصية في العمل. قدّمنا مئات العمّال لمناصب قيادية، وناضلنا بشدّة في سبيل المشاركة العمّالية والشعبية.

ومع ذلك لم تكن النتائج مرضية وارتكبنا أخطاء. وكمثال نأخذ: إنشاء جهاز يعمل موازياً لمنظّمة رفاقية أسستها نفس الكتلة العمّالية، غير أنّهما كانتا تعملان متباعدتين ولحدٍّ ما متناقضتين. لقد أضْعَفَتْ هذه الصّورة إخلاص العمال الحقيقي لإدارة النّشر وولّدت اتّجاهاً جديداً في الحياة الحزبية جعل منها أداة للانتقامية ودون أي تحمّل لمسؤليات إدارة الإنتاج، إن تصحيح هذا الخطأ ابتدأ بعدما ظهرت آثار ضرره.

وعلى وجه التحديد وقفت كلّ أشكال الانتهازية، يسارية كانت أو يمينية في وجه الحركة الشعبية ولو أن بعضها وقف بشكل أكثر حزماً لإضعاف مراكز القوّة في الحكم.

وكما أوضحنا في بياننا الأول بعد الانقلاب بأنّ :" الحزب الشيوعي متفق تماماً على أنّ مراكز دفاع الحكومة الشعبية الشاملة، وأهدافها الموجّهة لإيجاد تفاهم مع قطاعات ديمقراطية أخرى وخاصّة في القاعدة، وجهودها في سبيل ضمان الطبقة الوسطى من السكان، ومعركتها الدائمة ضدّ الأعداء الأساسيين الامبريالية والرجعية المتطرفة، واستمرارها في تعزيز الوحدة الاشتراكية الشيوعية ووحدة الطبقة العاملة والتّفاهم بين كل أحزاب الحكومة الشعبية واستهدافها زيادة الإنتاج والإنتاجية وإيجاد مالية خاصّة بالنّشر في الوسط الاجتماعي، والنظام الواسع في العمل، تشكّل سياسة عامّة كاملة وعادلة.

ومع ذلك فإنّها لا تنفي نقاط ضعف وأخطاء في مسيرة تنفيذها. على أيّة حال ومع أنّ هذه السياسة نالت سمعة طيّبة في أوساط الجماهير والقطاعات الواسعة من الشعب الذين كافحوا لإنجاز مهمّات الثورة، فإننا لم نصل لتوحيد والتفاف الحركة الشعبية بصلابة حول هذه السياسة.

ومن ثمّ لم تستطيع الوحدة الشعبية الحؤول بين الطبقة العاملة وبين العزلة، كما لم تستطع جذب اكثرية السكان الذين ترتبط مصالحهم العميقة بالتطوّر المبرمج ونجاح الحكومة الشعبية. وهذا ما ساعد على التفكك. كانت هزيمتنا نتيجة لعزلة الطبقة العاملة. وهذا ما أكّد فوز الثّورة المضادة في النزاع من أجل الحكم. وهذا يعني أننا هُزمنا سياسيّاً علاوة على هزيمتنا العسكرية. إنّ هزيمتنا العسكرية أصبحت ممكنة لأننا أصبحنا مهزومين سياسياً. إن حزبنا عمل جاهداً مع الرئيس سلفادور وسعى على مراحل للوصول إلى قوانين موّحدة لمجموع الحركة الشعبيّة، باذلاً جهده لحلّ مشكلة الحكم في بلادنا

دون اللجوء إلى النزاع المسلّح. كنا نرى أنّ تحريك الجماهير العملي هو السبيل الوحيد للوصول إلى الحكم. إنّ أحدث القضايا الثورية لا تفهم دون صراع. إنّ قوة الجماهير ضرورية لقهر قوة القمع الرجعية التي تقاوم تقدّم الشعب نحو أهدافه، كيما تحول دون تفكك جهاز الحكم الرجعي، الموجود دائماً على حقّ كان او بالقوّة. نؤيد إمكانية نجاح الطريقة اللا مسلحة المسمّاة أحياناً بالسلمية لضرب أيدي من يحاول تفكيك القوّة الرجعية بواسطة السلاح. إنّ هذه الإمكانية تفسح المجال للنّجاح في أوضاع تاريخية معيّنة بقدر ما تساعد القوى المنظمة الشعب وتعزل الرجعيين. لقد نلنا انتصارات هامّة ونحن نعمل على هذا الخطّ وكما هو معلوم منذ أن فاز الرئيس الليندي في الانتخابات والامبريالية تسعى مع الفوضوية للقضاء على هذه الرئاسة وحالما فشلت في هذا المسعى جعلت من انشقاق حكومته هدفاً لها. لقد واجه شعب تشيلي خلال ثلاثة أعوام وأحبط على التوالي: مؤامرة المخابرات الأمريكية CIA وأتباعها في تشرين أول عام 70 ومشروع الجنرال مارشال/في آذار علم71/ وحلف الجنرال كانالس، وإضراب المواصلات البرّية والتجارة الخاصّة والقطاعات الحرفية/تشرين أول عام72/ وانقلاب الكونيل سوبر/حزيران عام73/.

لقد انتصر الشعب على الانقلابين لأنّ القوّات الاجتماعية الملتحمة والمنظمة من قبل الحكومة والأحزاب والكتل الشعبية كانت إلى جانب الحكومة الشعبية وبالمقابل لقد نجح انقلاب 11أيلول لأنّ الامبريالية والرجعية الداخلية تمكّنت من إنشاء جبهة واسعة ضدّ الحكومة الشعبية. ومن وجهة نظر طبقية، شملت هذه الجبهة علاوة عن البرجوازية

الاحتكارية، والأوليغاركية الزراعية اللتان تشكّلان المحور الرجعي، أكثرية كبرى من البرجوازية الوسطى والصغيرة، وأكثرية القطاعات الوسطى والقطاعات المتخلّفة وطبقات أخرى من الشعب. أمّا من وجهة النظر السياسية فإن الانقلابين جرّوا إلى صفوفهم أكثرية الحزب الديموقراطي المسيحي وعلى رأسها السيد "فري" وقطاعات يمينية منسحبة من الحزب الراديكالي. ومن وجهة النظر العسكرية توصّل العدو لضمّ أكثرية الجنود والقوّات العسكرية المسرّحة إلى الانقلاب ومنع كل تحالف دفاعي عن الحكم الديمقراطي. بدتْ هذه الحالة واضحة بعد ساعات قليلة من بدء الانقلاب. لقد تشكّلت المقاومة الشعبية في أماكن عديدة خلال السّاعات الأولى. لقد استشهد الكثير من عساكر الوحدة الشعبية مناضلين ببطولة بكلّ ما ملكت أيديهم. غير أنّ الطبقة العاملة والشعب وإدارات الأحزاب الثورية والرئيس الليندي، رأت إنّه من الأفضل ألاّ نزجّ بقوّاتنا واحتياطيها في معركة غير متكافئة.

لقد توجّه الرئيس إلى الشعب باقتراحاته ومعاييره قائلاً: "بصفتي موجود في هذه الكبوة التاريخية، سأدفع حياتي ثمناً لإخلاص الشعب.. لديهم القوة ولسوف يغلبون. غير أنّ التقدم الاجتماعي لن يتوقف لا بالجريمة ولا بالقوّة..

على الشعب أن يدافع عن نفسه لا أن يضحّي بها. قد لا يستطيع الشعب أن يزود عن حقّه أحياناً ولكنّه من جهة ثانية لا يستطيع أن يرضى بالذل... ارتفع رجال آخرون في هذه اللحظة الركناء والمريرة... يقيني كامل بأنّ تضحيتي لن تذهب سدى."

ليس من الضروري أن نشير إلى قيمة هذه المفاهيم الوجيهة والاستسلام الثوري الذي يفيض منها. وإنما المهمّ أن نفهم أيضاً تقدير الرئيس المُقّام للموفق السياسي العسير الذي لم يكن لصالح القوّات الشعبية.

بهذا المعنى نعرّف هزيمتنا بالهزيمة السياسية قبل أن تكون عسكرية. إنّ عزلة الطبقة العاملة أفسحت المجال لتماسك القوّة الرجعية وفي نفس الوقت أضعفت قدرة الردّ المسلّح للطبقة العاملة والشّعب، تلك الضرورة التي نادينا بها علناً، خاصة وقد اتّسع الخرق الأكّال.

إنّ الانعزال المؤلم لهذه الطبقة الثورية التشيلية يتطلّب تحليلاً لمشكلة القوّات المسلّحة ودورنا بالنسبة لها.

ومع انقلاب 11أيلول سعت القوّات المسلّحة لتحطيم تقليد الرئاسة القديم والمنهاجية واحترام المؤسسات الديمقراطية.

لقد اعتمدت الحركة الشعبية على تقاليد كهذه لبناء طريقها الثوري. وأثناء الحكم ثابرنا على هذا ساعين لتحسين هذه التقاليد الديمقراطية. وتأكيد الصفة التنظيمية للقوّات المسلّحة كي تحبط النّوايا الفاشية في تحويلها لبؤر سرطانية رجعية. كما اعتمدنا سياسة احترام الروح المنهجية والحكم القائم، سياسة تستطيع أن تمنح القوّات المسلّحة فرص المشاركة في مسائل البناء الاقتصادي دون إلحاق الأذى بواجباتها الدفاعية عن البلاد. أثناء الأزمة أقمنا على قاعدة من هذه المبادئ تحالفاً مع القطاع الدستوري، المخلص والوطني والذي وقف بحزم لإحباط الهجوم الماكر في تشرين أول عام 1972 . وكان بمقدور هذا التحالف أن يتطوّر أكثر فيما لو لم يتعثر بالمفاهيم اليسارية المتطرّفة.

على أيّة حال لقد سار الانقلابيون بمؤامراتهم قدماً. مستهدفين مهمّات الحكومة الشعبية، الوطنية والمخلصة منحكمين في مواقعهم المسمارية. وحقّق نجاحهم قواعد معارضة: استهدفوا فرض حِيَلِهم بإثبات قدمهم في تشكيلات الايديولوجية الرجعية المعارضة للقوّات المسلّحة عن طريق نفوذ الامبريالية واستثمار نظامها الطبقي أيضاً، هذه مسألة ازدادت خطورتها مع عزلة الطبقة العاملة. إنّ عمل الجاسوسية طويلة العهد، والخطّة النّاجعة المبادرة عام 1972 حسب اعتراف "بينوشة" الجديد بلغت أوجها مع الانقلاب الفاشي.

من ناحيتنا لم ندعم كفاية الطبقة غير الرسمية وأفراد الجيش الذين يميلون بمنشئهم الطبقي لمساعدة الحكومة الشّعبية. لقد اعتُبر جهدنا للحفاظ على خطّ القوّات المسلّحة الخاصّ بها مخالفاً لعمل الحكومة التصفوي بين صفوف الجند. ولحدّ ما شاع الوهم حول أهمية المعارضة الخاصّة والروح التنظيمية بين صفوف القوّات المسلّحة.

إنّ أحد أخطائنا الحزبية هو المبالغة وبمظاهر مختلفة في تقدير سعة الجهاز الديمقراطي الحاكم في تشيلي وعدم سعينا في الوقت الناسب لتحويله إلى جانبنا، لقد حدث هكذا بالنّسبة للقوّات المسلّحة كما حدث بالنسبة لمسائل أخرى.

إنّ حزبنا يخوض معركة قاسية ضدّ ديكتاتورية فاشية أقامها الانقلاب العسكري. إن الديكتاتورية هي: حكم اليمين، والرجوع إلى الماضي وسيطرة الامبريالية، والأوليغاركية الاحتكارية والاقطاعية اللا

محدود بنظام أوقانون، بل مستخدمة قوّة وحشية مطلقة تعتمد السلاح وتتشبّع بروح انتقامية. إنّ السياسة التي تستخدمها هذه الطغمة هي التعبير الصادق عن روحها الطبقية وايديولوجيتها الفاشية.

اغتصبت الطغمة العسكرية الحكم كما أوضحنا معتمدة الوضع السياسي حيث أنّ تنظيم القوّات لم يكن لصالح الحركة الشعبية، وأكثرية لم تكن مستعدّة للدفاع عن الحكم الشرعي. لقد كسر نطاق هذا التحالف الاجتماعي الملتف بشكل أو بآخر حول أعداء شعب تشيلي الأساسيين خلال ستة أشهر فقط، نتيجة سياسة الطغمة.

لقد اشمأزت أكثرية التشيليين من معاييرهم التي جرحت مصالحهم وأحبطت آمالهم.

إنّ هذه الاتّجاهات تتمثل في المجال السياسي بتصفية كلّ ديمقراطية، بالاستخدام اللانهائي للقمع، بانتهاك الحقوق الإنسانية الأوّلية وإلغاء كل حق ديمقراطي بمعناه البسيط، لقد زُرعت تشيلي بالحشود العسكرية، ومراكز التعذيب. متنكرة بحالة الحرب الداخلية عملت الفاشية من الاغتيالات قانوناً يومياً مقدّرة إنها بهذه الطريقة تستطيع تصفية الثورة، فهي تقتل أشهر الزعماء. إنّ حياة الكثير من الوطنيين وبالدرجة الأولى حياة لويس كورفلان في خطر كبير.

ليس القمع الوحشي بحادث عرضي ولا حتّى محدّداً بضرورات الظروف التي رافقت التغيير الحكومي الضيف والمقاومة الشعبية التالية، بل إنها في جوهر الجهاز نفسه، الذي أقامته الرجعية التشيلية العلمية ويدّعون إنّه سيدوم في تشيلي.

إن المستشار الخاص، الأميرال المعارض لنا "ويرتا" أطلق العنان للسانه ووصفه بأنّه فاشي. لقد انتهى الانقلابيون مع اليمينية إلى إقامة حكم بوليسي. وكما أعلن حزبنا: "لقد قضى الانقلاب العسكري على الهيئات الشّرعية مبقياً فقط على القوّة القضائية المتحررة من القوانين واسمها الذي تستخدمه في المعارضة العامة للجمهورية". لقد قبل البعض بكراسي تحوّلهم إلى عناصر زخرفية ويقبل القضاء المنحرفون قرار محاكم الحرب وحتّى المعارضون يقبلون الشروط العسكرية كقوانين. وفي المجال الثقافي والإيديولوجي يدّعون التفوق على الماركسية وعلى" كلّ تلك العقائد التي تقرّ بها وتلعب دورها". مثل هذا الدور مثّله غيرهم آخرون ونعلم المكان الذي أقرّه التاريخ لهم. لكنّ الفاشية لا تستطيع بجرّة قلم أن تمحي تقاليد ديمقراطية حصيلة أعوام طويلة من نضال الطبقة العاملة والشعب. لا تستطيع أن تقتل محبة الحرية، ولا العادات الديمقراطية المتمثلة في الروح الوطنية على نطاقٍ كامل. لقد تعوّد الشعب عامة وأكثر منه الطبقة العاملة الواسعة والمناضلة المنظمة على ممارسة حقوقهم. إنّ لتشيلي تقاليد قوّية من التنظيم وحرّية التعبير الجماهيرية بطرقٍ مختلفة وحياة نيابية قوية ومؤسسات أحزاب سياسية، لها وزنها في الوقت الحاضر كعامل في توحيد الملايين في سبيل استئناف الديمقراطية. إن موقف الكنيسة أمام لا إنسانية القمع، من أكثر المعاني أهمية وتعبيراً عن ذاتها. لقد تكفّل كثير من الأساقفة والآباء الروحيين الدفاع عن المضطهدين، وشكّلوا لجاناً وطنية ذات فروع شاملة لمدّ يد المساعدة، مستثيرين الهمم لمساهمة آلاف المخلصين فيها.

إنّ السياسة الاقتصادية الرجعية الماكرة للطغمة الحالية تضرب بمصالح الأكثرية التشيلية عرض الحائط، وتحمّل العمّال وطبقات شعبية أخرى مسؤولية الأزمة الاقتصادية، هذه الأزمة التي أثارها الحصار الاقتصادي وخطط التخريب في المرحلة السّابقة للانقلاب والتي ازدادت خطورة جرّاء الأزمة الرأسمالية العالمية. لقد أثارث هذه السياسة موجة غلاء بلغت نسبة التضخم فيها700٪ سنوياً/760٪/ حسب تقديرات دوائر جامعية، رافقتها تنزيلات مأساوية في الأجور والرواتب أكثر من 40٪. إن هذا الازدياد المعلل بأسباب سياسية والذي يزداد حدّة مع الأزمة الاقتصادية يضرّ أيضاً بمصالح قطاعات واسعة من الطبقات الوسطى المهنية والبرجوازية الصغيرة مع اختلاف في الدرجة فقط. إنّ هذه السياسة تستهدف حشد القوى الاحتكارية التي تفرض الإسراع في تكديس الرساميل على حساب الاستغلال الجشع للعمل المخفّض الأجر، وبؤس الجماهير، الذي يترجم إلى معارضة قوية في السوق الداخلية. وبنفس الوقت تعتزم هذه السياسة القضاء غلى ما يسمى بالسّوق العاجزة، متخذة كمثال المستوى الإنتاجي للبلدان الرأسمالية المتطورة. ولدعم هذه العملية فإنها تصفي أشكال حماية الثروة الحيوانية وبشكل موازٍ تعمل على زرع بذور عدم الثقة لتفسح المجال "للمنافسة الحرة المطلقة" بما يعني جعل كامل الوطن تحت رحمة الرأسمال الاحتكاري الوطني والأجنبي. إن سياسة كهذه تضر بقسوة بالغة مصالح العمال. وكنتيجة مسايرة لها تستعمل وسائل القمع الدموية والإعدامات مع الحركة النقابية وتذيب وتنفي حق الاحتجاج والاضراب، وتسعى لتصفية حركة العمال الوحدوية. وتشكل هذه السياسة اعتداء على آلاف الفلاحين في سرقة ممتلكاتهم الأرضية وفي

بؤس الأجر الزراعي المنخفض. وتلعب هذه السياسة بمصالح الطبقة الوسطى لأنها تخفض أرباحها وتزيد الضرائب عليها بشكل يعمل الآن لزيادة تمويل الطبقة الاحتكارية. وتجعل أخيراً التناقضات بين البرجوازية اللااحتكارية أكثر حدة وعلى درجة قصوى. إنّ "التنافس الحرّ" يخرب أكثرية المالكين الصغار والوسط. لقد ازدادت الرساميل اللامرغوبة كثيراً في أشهر قلائل. إنّ السياسة التي تتبع في التشيلي لا تترك مكاناً للإصلاح البورجوازي، حيث يسيطر الاحتكاريون على كل شيء ولن يتنازلوا ليكونوا قاعدة اقتصادية لسياسة شعبية. كلّ ذلك يزداد خطورة مع الرشوة الفاسدة الساقطة للفضيحة الكامنة في اتفاقية البترول التي عقدتها الحكومة الشعبية مع وكالة "أسو" والتي أبان تمييعها عن خسارة (300) مليون دولار لتشيلي.

ومن جهة أخرى فإن وضع الطغمة المفسر بذاته والمقرر ضمن حملة ضدّ الأجانب لا يستطيع طمس أو إخفاء لا وطنية عملاء الامبريالية الأمريكية التي تسم سياسة ديكتاتورية العالمية ومعارضتها في تأميم ثرواتنا، إنّ الرصيد المالي العالمي عاد ليسيطر على قيادة الاقتصاد التشيلي، يخطط له المراقبون و "الوطنيون" ينفذون.

وهكذا وجدت الظروف لبناء أوسع جبهة ضدّ الفاشية حيث تجد مكاناً لها كل طبقات الشعب والفئات الاجتماعية. إن الطبقة العاملة حشدت الفلاحين والبورجوازية الوطنية الديمقراطية في جبهة قادرة على دحر الديكتاتورية واستئناف الديمقراطية، ومحو الفاشية للأبد، والعودة لمساندة الأغلبية من الشعب للسير في طريق التحولات الثورية التي تتطلبها البلاد.

يجب على الخطّ السياسي للحركة الثورية في أوضاع معركتنا القاسية في الوقت الحاضر أن يتمثل درساً من تجربة انتصاراتنا وأيضاً من تجربة أخطائنا السابقة. إن التناقض الرئيسي في سياسة الانقلاب الفاشيستي سبب من أسباب معارضة الشعب التشيلي لسيطرة الامبريالية والفوضوية الاحتكارية والاقطاعية. لم يتغير الأعداء الأساسيون، إنما تغير الأسلوب الذي يمارسون فيه سيطرتهم. إن عزمهم على تعويض الامتيازات والمراكز التي خسروها أثناء أعوام الحكومة الشعبية الثلاث وبأي ثمن كان قادهم إلى الفاشية كشكل وحيد لممارسة سيطرتهم الطبقية واستئثارهم بالحكم. وفي الأوضاع الجديدة تشكل الجبهة المضادة للإمبريالية والفوضوية، هيئات ضدّ الفاشية، مؤلفة من قوى التحقت بها من أجل الدفاع الحارّ عن القيم الديمقراطية، شعائر الوطن التشيلي والتي تمنعها الفاشية. ومن أجل مصالحها الاجتماعية والاقتصادية المتناقضة مع السياسة الفاشية في هذا المضمار. ولهذه الأسباب التاريخية الملموسة يتكاثف النضال الديمقراطي مع معركة التحولات الثورية. آخذين بعين الاعتبار كل هذا، فإننا لا نستطيع أن نتغاضى أو نفضي عن أخطاء القطاعات التي قلّصت قوّة تحالف الطبقة العاملة في الماضي القريب. وأكثر من ذلك فإن كلّ مفهوم مجزئ للشوط يعني تقديم يد العون للفاشيين. لقد أعلن حزبنا: أن وصفنا الحالي يتطلّب قوّة الوحدة الاشتراكية– الشيوعية رمز اتحاد الطبقة العاملة مع الوحدة الشعبية كتعبير وحدوي لقطاعات الشعب المخلصة، ولكنها تعارض في الوقت نفسه الذهاب أبعد في عملية الاتحاد مع فئات لم تكن إلى جانب الحكومة الشعبية. إنّ الخطّ الجوهري الفاصل ليس ذاك الذي أوقع الخلاف بين أحزاب الحكومة، أو في صفوف المعارضة للانقلاب

وإنما هو الخطّ الذي يفصل الفاشيين ومغتصبي الحكم عن أولئك الذين يجاهدون من أجل استئناف الديمقراطية، والتحولات الاشتراكية والاستقلال الوطني. ومن الواضح أنه لأداء هذا الدور، يجب على الجبهة الشعبية أن تقرّ مستوى جديداً من التفاهم، يقوم على أساس الحوار الخوي المبدئي، يضمن اتجاهاً استراتيجياً تكتيكياً وإدارة موحدة للفصائل الثورية تتجاوز نقائص الماضي. هذا واجب. يظهر في الوحدة الشعبية اتجاه لتقوية التفاهم على أساس سياسة مبدئية. إن البيانات الفكرية التي أصدرتها الأحزاب كلّ على حدة، تظهر مدى الاتفاق البعيد في مجال تركيز الجهود للتنظيم ولتوحيد معركة الجماهير كأساس وحيد صلب لتطوّر القضية. ومن المسائل الهامة في المضمار السياسي مشاركة الحزب الديمقراطي المسيحي الفعّالة في الجبهة ضدّ الفاشية: إنّ في هذا الحزب موقفين متلاقيين. موقف ينتقد في الغالب سياسة الطغمة الحالية ولكنّه يسعى فقط لتحويل هذه السياسة لصالحه وإفساح المجال لنشاطه ومشاركته في السيادة البورجوازية، هو موقف الفئة التي يترأسها السيد "فري"، وآخر هو ميل الفئات الديمقراطية والشعبية لليسار والموافقة على مبادئه الحرّة والمخلصة للتّحولات الاجتماعية. خلاف كهذا على الديموقراطيين المسيحيين أنفسهم تسويته. إنّ المشاكل الداخلية القائمة ليست عقبة مباشرة في وجهنا، غير أنه من واجبنا تجنّب الانقسام الذي يدعم دور المرجعيين وإيضاح قرارنا التوحيدي كي يعمل الحزب الديمقراطي المسيحي على نطاق واسع وعلى قدم المساواة في الجبهة ضدّ الفاشية. نستطيع أن نحقق هذا الاتحاد إذا ما وضعنا نصب أعيننا المعارضة المتزايدة لصالح العدو العام.

كما تستطيع المنظمات اليسارية أيضاً والتي لم تشكّل جزءاً من الوحدة الشعبية، المشاركة في الجبهة ضد الفاشية، على أساس الاتفاق حول برنامج وأساليب النضال وعن طريق العلاقات الأخوية المحترمة في العمل المشترك. لن نستطيع استئناف الحياة الديمقراطية دون صراع.

لقد بدأت تظهر بوادر المقاومة الفعّالة المتميّزة بنشاط الجماهير الشعبية ومؤسساتها ضدّ الديكتاتورية. إنها تظهر في استئناف التنظيم العمالي والشعبي، في نضال فئات الطبقة العاملة من أجل حقوقها، لم تزل هذه المقاومة ضعيفة حقاً ولكنها ذات معنى كبير إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الظروف القاسية التي خلقها الانقلاب، كما تظهر أيضاً مع المضطهدين ومواقفهم الصّلبة التي عرّفها مدير الفاشيين كأربطة جديدة تحبك وحدة الشعب. إن موقف الفاشيين اللاشرعي والمنعزل ضد الحزب الديمقراطي المسيحي ومحاولته تصفية الصحيفة اليومية التي يصدرها، عن طريق الضغط الاقتصادي والرقابة، هو قبل كل شيء نتيجة مجابهة فئات كبيرة من هذا الحزب للطغمة التي تحاول خنقها بكل وسائل القمع. إن قيام هذه الجبهة ليس بالمهمة السهلة إذا أنه من الواجب تحديد فكرة عامة بالنسبة لها وإيجاد حلول عملية للمشاكل القائمة بشكل تتطور فيه الجبهة ضدّ الفاشية وتتقن برنامجاً حكومياً لكلّ قوى الشعب. إن الغاية النهائية للجبهة ضدّ الفاشية والتي نستهدفها نحن القوى الشعبية هي هزيمة الديكتاتورية، وتدمير حكمها الإجمالي والبوليسي، ثمّ إقامة حكم جديد عادل وديمقراطي مضاد للفاشية، ووطن شعبي جماعي يضمن استئناف الديمقراطية، والقضاء الكامل على الفاشية، كما يضمن القوّة الدافعة للتبدّلات الثورية والاستقلال الوطني.

لقد حددنا في الوثيقة التي أذاعها حزبنا بعد وقت قصير من الانقلاب بأن :"الشعب سيعود لحكم ذاته بذاته ولن يجبر أبداً على توطيد مؤسسات البارحة ولسوف يشكل بديمقراطية تامة دستوره الجديد، وقوانينه الجديدة وشرائعه الجديدة كما أنه سينشئ مؤسسات حكم جديدة عادلة سامية.

إن الطبقة العاملة تستطيع فعلاً أن تمثل دورها الممتاز عندما تحكم وتشارك الأكثرية في الحكم وهذا ما يفرض التحالف مع قطاعات اجتماعية واسعة، والعمل وفق أسس مشتركة. عندما تغدو إمكانيات الاتفاق أوفر تصبح الطبقة العاملة أقوى ونشاطها الثوري أوسع. إن الثوروية هي إبراز التناقضات ولكن دون تطرّف إلا ما كان في سبيل تحديد التناقض الأصلي. وبالسير على هذا المنوال يتأكد انصار النضال من أجل الديمقراطية والتبدلات الثورية في سبيل اتحاد القوى الضروري والواسع ودور الطبقة العاملة المركزي في الوحدة والوصول إلى تنفيذ التّحولات الثورية التي تؤكد على عمق القضية. ومسألة رئيسية أخرى على الجبهة ضدّ الفاشية أن تحلها، ألا وهي إجراء تحوّل عميق بين صفوف القوات المسلحة والجيش. إن قيام ودوام الحكم الديمقراطي الذي ننشره مكفول بحل هذه المسألة.

نعلن وثيقة حزبنا آنفة الذكر: "بعد الذي حدث، يحق للشعب أن يجهد أيضاً لتشكيل قواته المسلحة والبوليسية من طراز آخر أو على الأقل لاستبعاد العناصر الرجعية من الجيش والمؤسسات العسكرية وهيئات التحقيق" المباحث" بشكل يكفل لتشيلي عدم تكرار ما حدث بالأمس القريب. لقد وضعت القوات المسلحة في خدمة الامبريالية والفوضوية،

وفرضوا الرجوع إلى الماضي بالدم والنّار، وقد زجّت بهم المناصب الفاشية في تجارب المباحث العقيمة.

ومع تغطية عدائها وجعله عملياً دون الإعلان عنه كسياسة رسمية، أخذت تحاول تقوية إمكانيات رجعية جماهيرية وطنية. لقد استخلصت الامبريالية دروساً من تجاربها السّابقة في هذا المجال مثل تجربتها مع كوبا وبلدان أخرى، حيث عاد الإلزام المقرّر في الحقل الاقتصادي بردود جماهيرية ضد الامبريالية، ممّا ساعد في توطيد العمليات الثورية أو التقدّمية عوضاً عن تأخيرها.

إن المشاكل الاقتصادية الموروثة (ديون خارجية باهظة، تأخّر زراعي حيواني، أجهزة جامدة فقيرة) زادت خطورة الوضع في تشيلي بأعمال كهذه.

علاوة على ذلك فقد ازدادت الطلبات الاجتماعية نتيجة التقدم الثوري وبقيت محدّدة بالعلاقات الرأسمالية القديمة ومساهمتها في الاستيراد، كي تكون ملزمة بالدرجة الأولى بالحاجات الاجتماعية الحقيقية وبخاصة المواد الضرورية.

إنّ المهمّات التي تقود إلى توليد حقيقي لأوضاع معاشية أفضل بالنسبة للشعب العامل هي: زيادة الإنتاج والإنتاجية، نظام العمل الأمين للطبقة العاملة المحرّرة من الاستثمار، هذه أهداف ضرورية على الإدارة الثورية أن تحققها.

إنّ تحقيق هذه الأهداف كافٍ لإحباط أذى الحصار الاقتصادي، والتّخريب والتّجسس والسّوق السّوداء... الخ ردفاء المقاومة الرجعية والأهم من ذلك هو تحسين أوضاع المعيشة للجماهير.

تبرز هذه المسائل بمظهر أكثر حدّة في بلد متخلّف اقتصادياً كتشيلي، لذا لم تستطع حلّها بالشكل المناسبة. وحقّقت الرجعية الداخلية والخارجية نجاحاً في إثارة الوضع وخلق أزمة اقتصادية حادّة تفاقم خطرها مع أخطائنا ونقاط ضعفنا وكان لها الأثر الكبير في هزيمتنا.

وبالإجمال استخدمت الرجعية كلّ وسائل الحكم الباقية في يدها لإنضاج معارضة تقف بالمرصاد للحكم الشعبي. لقد تهاون فعلاً مركزا الحكم المخصصّان لجبهات النضال الطبقي في المعركة.

إنّ حلّ هذا النزاع لصالح الشّعب تطلّب رفع الحركة الثورية للطبقة العاملة وفي نفس الوقت زيادة قوّتها التحالفية. إنّ حكم أكثرية متماسك قادر على عزل الأعداء الأساسيين هو واجب هامّ على كل هيئة سياسية أن تعتمده وتِصمّم له بقوّة، هذا ما أثبتته تجارب الانتصار.

ليس لنا أن نفهم انتصار عام 1970 أو نفسّره بشكل خاصّ على أنّه فوز انتخابي في انتخابات أيلول ومع أنّها ترمز دون أدنى شكّ لقوّة اجتماعية كبرى إذا ما أخذنا بعين الاعتبار قيود الديمقراطية البرجوازية الملازمة والتي تخفض إمكانيات التعبير السياسية للطبقة العاملة والشعب، فإنّها تحتلّ أكثرية نسبية.

إن متانة الفوز الانتخابي وإقامة سلفادور الليندي الحائز على أول أكثرية في رئاسة الجمهورية تحققت في معارك جماهيرية جديدة وقاسية في أيلول/تشرين الأوّل 1970 معتمدة على تقاليد البلاد الديموقراطية ومتصديّة لتناقضات تفرق أجزاء ديمقراطية مختلفة ولدت وحدة العمل

للوحدة الشعبية مع قطاعات ديمقراطية أخرى، وبشكل خاص قطاعات من حزب الديمقراطية المسيحية أنشأت الحركة الشعبية في هذه المعارك علاقات قوى متبادلة مفيدة للقضية الثورية، ووحدت الأكثرية في البلاد ضد مكائد الأعداء الأساسيين. وهكذا أحبطت محاولة الانقلاب في 22 تشرين الأول من ذلك العام والذي انتهى باغتيال الجنرال شنيدر رئيس أركان الجيش على يد المتآمرين الرجعيين.

كان فوز عام 1970 فوز الأكثرية، ليس لأنّ الحركة الشعبية تمثل وتدافع عن مصالحها، هذه الغاية تنجزها كل حركة عمالية وشعبية عامة، بل لأنّ هذه الأكثرية وحدت أنظمتها السياسية تحت راية الحركة الشعبية لتدفع بها قدماً إلى الظفر. وبدون هذه المقدمة لم يكن هناك إمكانيات للنصر ولضمان نجاح الثورة التشيلية افترض حكم الأكثرية ويفترض حاجة ضمّ الطبقة العاملة إلى شبكة واسعة من القطاعات الاجتماعية وككل عملية ثورية وجب عليها وتجب مهمة توحيد العمال والفلاحين وحتى عندما أحرز تطور الإصلاح الزراعي الطبقي خطوات مهمة في هذا المجال فإن مثواه التقليدي الضعيف في تاريخ نضال الطبقات في تشيلي لم يكن كافياً أمام متطلبات الحكم المطروحة من قبل كما كان على الوحدة العمالية في أوضاعنا أن تضمن بدورها أيضاً قطاعات واسعة من الطبقة الوسطى وتمتدّ بشكل أو بآخر لقطاعات من البورجوازية الاحتكارية خاصة الوسطى والصغيرة منها وكلما استطعنا أن نوجه وحدة هذه القطاعات أو الأغلبية منها جهة الأمانة والأعمال المشتركة كلما أفسح المجال للحكم الثوري وكانت التجربة الأولى على وجه الدقة إقامة الوحدة الشعبية.

ولكن ظهرت في صدد الحركة الشعبية اختلافات وجهات نظر أحرجت إدارة الحركة الشعبية المستقيمة. وكانت بعدئذ عاملاً حاسماً في هزيمة 11 أيلول تعترف الحركة الشعبية بإجماع الأحزاب وحركات الوحدة الشعبية النزيهة بأن أحد مسامير هزيمتنا هو عدم وجود إدارة واحدة للقضية الثورية، قادرة على توجيه سياسة مبدئية تصنف أخطار التحريضية الانتهازية يسارية كانت أو يمينية، كانت المسألة المهمة في هذا المجال وهي الآن كائنة في توطيد وحدة اشتراكية شيوعية تضمن الوحدة الحديدية للطبقة العاملة ومعها وحدة الجبهة السياسية بمجموعها.

يرجع تاريخ الوحدة الاشتراكية الشيوعية لحوالي 20 عام تقريباً ولها أثر واسع اليوم أكبر منه فيما مضى، غير أنه من الواضح أنها لم تكن خالية من الصعوبات، خاصّة عندما أخذت تتزايد باطّراد وفي نفس الوقت خلال أعوام الحكومة الشعبية الثلاث، إذ ولّدت الأشكال الباقية أثراً أكبر في تقوية نزاع الطبقات المفككة بعد الفوز الشعبي، ذلك أن واجباتنا ازدادت ولأن العدو استثمر على نطاق واسع اختلافاتنا.

إن مسؤولية تقصير وحدتنا تقع علينا جميعاً نحن الشيوعيين لا ننكر أخطاءنا من أمثال وجود متعالمين محدودين بين صفوفنا أربكوا الحوار الأخوي للوصول إلى اتفاقات ممكنة في كل ظرف قياساً على مستوى القاعدة وأكثر من ذلك ما توجبه علينا صفة حزبنا الطبقية كفاءتنا العضوية الكبرى من فرض مسؤوليات جسيمة عند تحري آراء قطاعات الجهة الأخرى.

إن الحزب الشيوعي في تشيلي هو حزب الطبقة العاملة ولكن عملنا في إدارة البروليتاريا وإرادة الشعب عامة ، والشكل الذي نؤدي به واجبنا الطليعي يتسم بالتعاون مع الحزب الاشتراكي الذي يملك مراكز هامة بين العمال أيضاً. هذا الاتجاه العام الصائب قوى بشكل جوهري وحدات القوات الثورية للبروليتاريا والبورجوازية الصغيرة التي أثبتت الأحداث إنصافها غير أنه لم يكن عليه أن يستغني عن آراء السياسة المبدئية للطبقة العاملة مفتوحة كثيراً أو قليلاً حسب الضرورات لقد استخدمنا الحوار وتبيان مواقفنا الطبقية في المستويات القيادية دون أن ننضجه كفاية في القاعدة في صدد الشعب لنمنع الامتداد الانقلابي البورجوازي الصغير الذي أضر بالوحدة الاشتراكية الشيوعية والقضية الثورية.

إن أحد العوامل التي زادت مشاكل الإدارة الوحيدة حدة هو عمل الجاسوسية المتواصل ضد الوحدة الاشتراكية الشيوعية وعمل (الوحدة الشعبية) التي شكلها اليساريون المتطرفون مهتمة فوق كل شيء بخلق "قطب ثوري" تحت شعار المقاومة الشيوعية التي قصدت إنشاء مركز إداري يزاحم "الإدارة الإصلاحية" المؤسسة من قبل حزبنا طبعاً. أحدثت هذه المواقف صداها في قلب الحزب الاشتراكي. تبنت بعض قطاعات البورجوازية الصغيرة الثورة الشكلية مفهوماً عقائدياً يحول كل من لم يكن بروليتارياً أو قريباً منه إلى خصم واستقطبت كل البرجوازية دون استثناء في مفهوم "الطبقة المسيطرة" غافلة عن الوضع الحقيقي وهو أن البورجوازية الكبيرة الاحتكارية منها والزراعية مدعومة من الامبريالية، كانت تلعب دور المسيطر في المجتمع التشيلي، فارضة أيضاً حملاً ثقيلاً

على أجزاء بورجوازية أخرى وعلى قطاعات واسعة من الطبقة الوسطى في المدينة والريف وليس على البروليتاريا وحدها . لم يقرر مفهوم كهذا ولن يقرر طبيعة الرأسمالية التشيلية الخاصة ولا شكل التمركز الرأسمالي، كلتا الميزتين للرأسمال الامبريالي واللتان تولدان تناقضات اجتماعية من نوع خاص، وعلى الحركة العمالية أن تأخذها بعين الاعتبار كي تحدد خطها السياسي ومجالات التحالف الضرورية والممكنة. لقد أضرت هذه المفاهيم اليسارية المتطرفة بالحركة الشعبية كثيراً وعملاً بالاتفاق مع هذه الوقائع أقيمت خلال حكمنا سياسة مواجهة بدائية للمالكين الصغار والوسط في كل مكان، من تأمين المعامل والممتلكات دون الالتفات إلى حجمها ومعناه الاقتصادي، إلى تواصل جزئي محدود مع قطاعات الطبقة الوسطى مما أدى بالطبقة العامة إلى العزلة تدريجياً وحول هذه القطاعات الاجتماعية المفككة نتيجة هذه السياسة إلى حلفاء للأعداء الرئيسيين. لقد أدان اليساريون المتطرفون أي اتفاق أو تحالف في المجال السياسي وكانت إحدى المفاهيم المماثلة وجهة النظر المشوهة عن الحزب الديمقراطي المسيحي هذا الحزب الجماهيري الذي نال في عام 1973 حوالي 30٪ من الأصوات الانتخابية من التعداد الانتخابي الذي شمل أصوات 85٪ من السكان في البلاد . إن الحزب الديمقراطي المسيحي حزب جماعي شمل نفوذه قطاعات البروليتاريا والريفيين إلى مراكز بورجوازية احتكارية، كما أن له نفوذ قوي في مواقع الأوساط الوسطى، ومع ذلك عومل كما لو أنه كتلة رجعية. إن مثل هذه السياسة سهلت إلى أبعد الحدود عمل القطاع البورجوازي الرجعي وعلى رأسه نائب الرئيس "فري" ليلف حوله ذلك الحزب في

معارضة عمياء للحكومة الشعبية مما يسّر عمل الانقلابيين الذين قدم لهم السيد "فري" وجماعته مساعدة كبيرة على أمل العودة ليلعب دوره في الحكم. لقد عبرت عن هذه المفاهيم المحدودة أيضاً معارضة اليساريين المتطرفين الدائمة لتحالف الحركة الشعبية مع القطاع المنظم الوطني للقوات المسلحة، مما أضعف مراكز هذه القوات في مؤسساتها وسهل عمل الفاشية في جمع أكثرية ذوي المناصب الرسمية وتطويق كل مقاومة داخلية للانقلاب. أما في المجال الايديولوجي فقد تحولت المقاييس العقائدية إلى احتقار كامل تقريباً لمعنى حكم الحركة الشعبية ولقد واجهت الحكومة الشعبية بصفتها إصلاحية معارك جماهيرية جذبت قطاعات متخلفة من العمال إلى قاعدة خليط تأخذ بأذيال السطحية والثورية اللفظية. وفي نفس الوقت برزت بشكل خاطئ مغلوط مسائل فكرية كتلك التي تتعلق بالتربية التي عقدت علاقات الحكومة اعتمد أولئك الموظفون المسؤولون بمساعدة الحكومة الشعبية عملية مفتوحة للتغيرات الاجتماعية وتخلوا عن قضية الرئاسة الحزبية، حدث ذو معنى تاريخي كبير. وكما حدث تاريخياً أينعت ثمار هذه الأعمال وحان نشر الفاشية المناسبة بين صفوف البرجوازية الصغيرة والأوساط الأخرى الوسطى، وإثارة الحقد المعارض. تثبت التجربة التشيلية مرة أخرى لأن الامبريالية والرجعية تفيدان كثيراً من اليسارية المتطرفة وتحركها وتساندها بشكل منظم وبطرق مختلفة كيما تنتصر على الشعوب.

لقد كشف النقاب أيضاً في تشيلي عن الطبيعة الانتهازية "ليسارية بكين" إذ انتهت بوضع يدها في يد المغتصبين الفاشيين. ثم إن عجز الإدارة

الملحوظ لم يفسح المجال لليسار المتطرف وحسب بل وإنما أيضاً لتصريحات الانتهازية اليمينية وكثيراً ما تقاسمت هاتان التحريفيتان نفس المركز الاجتماعي والسياسي. إن الاقتصادية التي تغلغلت في بعض قطاعات العمال المتخلفة سياسياً كانت أحد أخطار التحريضية اليمينية. لقد أوضح حزبنا عن طريق أمينه العام "بأن مصالح العمال في أوضاع الحكومة الشعبية لا تتوقف على انتصارها في المعارك الانتقامية وحسب، بل على نجاح حكومة الوحدة الشعبية في إنجاز الأهداف المبرمجة.

بقصد قلب وإثارة القاعدة الشعبية للحكومة فإن الأحزاب البورجوازية مستثمرة نفوذها بين الجماهير حركت المنتقمين المتهورين، والأهم من ذلك فقد ثار في هذا الاتجاه ممثلو اليسار المتطرف وقطاعات الوحدة الشعبية المتأثرة بهذا المنحى وهيجوا الثورة الانتقامية بعبارات ثورية رامين من وراء ذلك إلى تقوية مراكز حزبية ومستثمرين في إقامة قطاعات عمالية ضد الحكومة لتحقيق لعبة الانقلاب بذلك.

لقد رفضت تلك القطاعات واجب إخضاع الثورة الحاقدة للحكم. وكما هو معلوم فإن مثل هذه الخطط الفجة رجحت كفتها في أوساط العمال حديثي العهد بالنضال. تلك كانت حالة هيئات النشر الصغيرة والوسطى مع ما ساهمت به هذه الأشكال الاقتصادية من عزل لهذه الطبقات المتوسطة عن الحكومة الشعبية وانعكاساً لهذه الاتجاهات ذاتها تصرفت هذه الهيئات ضد ثورة الإنتاج والإنتاجية، هذه المعركة التي كان على الحكومة الشعبية أن تربحها كي تقوي مراكزها وتحل بها مشكلة الحكم لصالحها. لقد أعلن القادة اليساريون المتطرفون بأن مسائل الاقتصاد والإنتاج ليست متعلقة بالصراع

الطبقي، كي يستنتجوا ان زيادة الإنتاج تقع على عاتق الراسماليين الكبار. هذا وأثناء الحصار الاقتصادي والاعتداء المعلنين، اقترحوا على الجماهير أن تتحرر من مسؤولياتها في المجال المقرر وخاصة في مجال التطور الاجتماعي. إن اليسارية المتطرفة والانتهازية اليمينية تلاقتا على إكبار الجماهير الغافلة عن واجباتها كي تربح زيادة سهلة.

كما تأثرت العملية الثورية التشيلية أيضاً بتصريحات بيروقراطية تعكس مفهوم الجهاد الحكومي اللاطبقي وعدم الثقة في الجماهير الشعبية وفي ذلك الجانب من الحكم والذي وضع بين أيدينا فوز عام 1970 ظهرت بعض الاتجاهات لتعديلها، ذلك الانعكاس الصوري في استخدام الأساليب الجامدة لمقاومة الجهود وتحويلها من أجل الانتفاع المتزايد بالانقلاب العسكري.

لسوف تحترم تحت راية هذا الحكم العادل كل المعتقدات الدينية كما ستعيش ايديولوجية جماعية هي فكرة الإنسانية ولكن لن يكون هناك موطئ قدم للفاشية أو للتأخر الاقتصادي أو للنشاطات الخداعة. لن تذهب التجربة المؤلمة التي تعيشها البلاد عبثاً. لقد راحت القيم المزيفة لتستقر في براميل القمامة. من يستطيع غداً الدفاع عن حكم قضائي كالحالي أو حماية شكل برلماني احتمى ببطالته الخاصة أمام الانقلاب العسكري.

إن استئناف الحياة الديمقراطية المضادة للفاشية لا يعني العودة المطلقة لأوضاع ما قبل 11 أيلول، إنما يعني تطور ديمقراطي شامل. يجب على مؤسسات الحكم الجديد أن تضمن حقاً ممارسة هذا الحكم عن طريق الأكثرية وأن تتأكد من استئصال شأفة الفاشية من البلاد مدنية كانت أو

عسكرية في الوقت الذي تعدم فيه وسائل سحقه إذا ما سولت له نفسه ان يرفع رأسه، وفي سبيل أداء واجباته والحفاظ على نظامه سيؤكد هذا الحكم الصادر عن نضال الجبهة الشعبية الجماعية للأحزاب الديمقراطية. أما بالنسبة للحكومة فلسوف تمثلنا حكومة شعبية جامعة للأحزاب أوسع من الحكومة الشعبية السابقة، ثورية وقوية توطد في البلاد أركان الديمقراطية والتقدم الاجتماعي السريع. إن المعركة في سبيل ديمقراطية أكثر شمولاً تتآزر كما قلنا آنفاً مع انتصارات التغيرات الثورية ليس بين الغايتين من حد فاصل ولن يكون ما دامت تزاول حكمها نخبة الطبقة العاملة من الجبهة ضد الفاشية.

على الحكم المخلص الطبقة العاملة أن يقوم على أسس وحدوية ومع أن كل عملية جبهوية هي عملية وحدة ونضال فإن الثورة لن توطد انتصارها ما لم تسري الطبقة العاملة وبشكل عام وفق سياستها المستقلة والمبنية على أسس الوفاق مع قطاعات اجتماعية أخرى لا في طريق المعارضة.

بقلم رينيه كاستيو عضو إدارة الحزب الشيوعي التشيلي

قمت بترجمة ما تيسّر من المقال الذي قدمته رئيسة الحكومة اللينيدية بعد أن عملت ترجماناً بينها وبين المغفور له الرئيس حافظ الأسد في القصر الجمهورية عام 1974

هذا هو الطريق إلى بالانكي

ظهيرة يوم من تشرين الثاني وكان يوم أحدٍ على وجه التحديد، وقفتْ في أورتيز حافلة. لقد خالج سكان القرية القلائل الشكُّ منذ الصّباح، حالما تبينوا حضور الكولونيل «كوبيّوس» صعب الاستيقاظ..

لقد عكّر صراخ الرئيس المدني اللا محدود الفجر مما جعل الديكة تتصايح قبل الأوان. لقد سمعوا طلق أ مشاط غير عادي، ثلاثة أمشاط ألقيت منسيّة في زاوية المخفر، ورشقات مسدّسات غير مستعملة، ثلاثة مسدّسات لا يعلم أحد من أين خرجت. السّاعة السّادسة صباحاً تواجد الشرطيان المتبنيان البائسان في أورتيز يحملان مشطاً مجهّزاً ومسدساً وحارسين على باب المخفر، تزايد الفضول والخوف، تحاشى الكولونيل «كفريسوسي» بحذّر وسرّية إيضاح أسباب تحفظاته العسكرية، حتى الشرطة تجهل سبب إيقاظهم بالمسدّس وإطلاق الرّصاص، راحت الأمور تفترض همساً خلف أبواب مغلقة..

. هناك انتفاضة في Calabozo كانت الهمسة الأولى، انبثقت معاً مبعثرة السيدة Socosso مارّة في مدرسة الآنسة Bernice وقفت في دارة كنيسة ثم انتشرت تتقافز بصوت «هيرميلينرا» من ضربة لأخرى ومن حارة لحارة.

. إنه «اريغالو سيدينو» من اجتاح «الميتا» لقد جهز هذه المرة عددًا من الناس لم يسبق له مثيل ويهاجم هذه المرَّة. الآن «سان فرناندو»..

أما الإشاعة الثانية المؤكدة أ كثر ولدت في حانة أبيفانيوس، حملها Pericote لبيت «بانتشينو» ومن هناك اصطفّت في الكنيسة لتنتشر بصوت «هير ميلينرا» من زاوية لزاوية في القرية، مصحّحة مقالتها السّابقة.

ولكنَّ السيد «كارتايا» مرَّ صدفة على البريد، وتبيّن الحقيقة التي أوصلها «لسبستيان» و«بانتشيتو» والخوري «بيرنيا»، طلاّب من كاراكاس معتقلون منذ عدّة أسابيع في مخيّم قرب العاصمة وسيساقون هذا الأحد للأعمال الشّاقة في «بالانلي». وبما أنَّ «اورتيز» تقع على الطريق فلقد استلم الكولونيل «أربيوس» برقية حملت النّبأ البارحة وفسّرت اضطراب هذا النهار.

لم يكتف الباص بالمرور في أورتيز بل وقف أمام بقالية «أبيغانيو». لقد كان الموقف الأوّل له منذ البارحة حيث خرج من «غواتيري» البعيدة عن كاراكاس وحمولته السّجناء، لقد عبر ليلاً وبسرعة قصوى شوارع العاصمة المقفرة الخرساء. ثمّ اتجه نحو وديان «آراغوا» إلى أن يلقى السّهوب متهادياً بأسرع ما يستطيع المحرّك. وصفّ العربات العائلية التي جاولت تتبّعه أوقفته سريّة من الجند بقساوة.

كان الطلاب داخل الباص المصفّر المارق. بجنون يجهلون وجهتهم، كان الجنود الحرّاس كلّ على طرف من المقاعد يراقبون بصمت صخري مطبق. حتّى الرئيس الجالس قرب السّائق لم يعرهم أيَّ التفاتة وقليلاً ما

يعطي الكولونيل الأعور ذو الزيّ المدني فاريلا إشارة حيّة وتحت رقابته يسير السفْر مع زعقات صارمة بين الحين و الآخر.

لم يستبينوا قدرهم إلاّ عندما ترك الباص الشارع المؤدي إلى البحر وانعطف فجأة نحو السّهوب عندئذٍ قال أحدهم ببساطة:

ـ هذه هي الطريق إلى «بالانكي».

هذي هي الطريق إلى بالانكي..

هذي هي الطريق إلى بالانكي.. الخ..

لقد فهم الآخرون وسكتوا ومع وقع العجلات في حفر الطريق واهتزاز المحرك المأزوم مع نبضات القلب، نغّموا لبرهة طويلة مع رجع تلك الكلمات..(هذه هي الطريق إلى بالانكي)

عبرت القافلة مع بزوغ الفجر، قرى حيّة وحقولاً مزروعة وراحت تتقدم طوال الصّباح عبرَ سهبٍ قاسٍ مقفرٍ دون بيوتٍ ودون أناس. إلى أن افتتحت ظلّة «أورتيز» ووقفت أمام حانوت أبيغانيو.

نزل الجميع بسيقان حذرة من المركبة المغبّرة: الطّلاب الستة عشر المعتقلون، الاثنا عشر جندي بقبّعاتهم المتكلّسة والكابيتان والمسدّس بيده والكولونيل الأعور بلباسه المدني والسّائق.

ـ ادخلوا الحانوت. صرخ فاريلا..

دخلوا غير مستعجلين، لقد عانى من الإعياء و الظمأ كلّ من الحرّاس والسجناء سواء بسواء وصل كوبيّوس مع شرطيَّيْن لينفذوا أمر الكولونيل فاريلا..

قدَّم أبيغانيو مشروباتٍ غازية باهتة الألوان وفتح علباً قديمةً من السَّردين، وبصوتٍ أخنّ لهنديّ سكران جأرت سمّاعة الحاكي الخضراء بقطعة خاصة لأزمنة خالية: تتهاوى الأغنية بإيقاع مملّ في أحداث حرب الـ 14 من انتصارات الألمان إلى المدفع 42 إلى القيصر، وفي المقاطع الأخيرة خرج الإمبراطور مهزوماً.

لقد كان الطّلاب الستة عشر المعتقلون في أوج شبابهم، أكبرهم ذو لحية الراهب الإسباني الكثيفة السّوداء لم يبلغ الخامسة والعشرين عاماً. ولكنَّ الآخرين، ذا العينين الهادئتين، وذا الأنف الحادّ العبراني وصاحب الجبهة الصلعاء الشاحبة، والكثيف الحاجبين معقودهما والسّمين ذو النظارتين الكبيرتين والهجين ذو القبّعة لم يكمّلوا بعد العشرين راح ثلاثة رجال بائسين فقراء يتأمّلونهم بفضول...

اقترب من شرفة السّاحة صغيران مبطونان بأنفهما السّائلين وأقدامهم الحافية من باب الحانة وأمعنا النظر إلى الداخل بعيون الدهشة، ثمَّ تقارب السيد كارثايا وسباستيان ودخلا الحانة بحيويّة طبيعية، اشتريا سجائر وتحدّثّا مع أبيغانيو بأشياء محلّية. وفي غفلة من الحرّاس الرقباء أخرج السيد كارتايا من جيبه زجاجة كينا وقدّمها للطالب الملتحي ذلك الذي يناديه رفاقه باسم كليمنتين.

- قد تنفعك- قال الشيخ الماسوني..

أمّا سباستيان فقد اقترب من الطالب المولّد ذي القبّعة الباسكية.

- هذه القبعة الصغيرة لا تتحمل الشمس- همس ومتحرر من قبّعته الخاصّة.

ـ من الأفضل أن تأخذ قبّعتي ـ أنت لا تعلم قسوة شمس السَّهب ـ

واقترب الكولونيل كوبيوس بسحنة متجهّمة وملامح ازدراء . . .

ـ ممنوع التكلّم مع المعتقلين ـ صرخ سباستيان . .

ـ لم أكن أعلم ـ أجاب هذا معتذراً . . .

ـ والآن خذ علماً ـ انفجر كوبيوس متحدّياً . .

ـ سامحني ـ داخل كارتايا بخضوع ـ حتّى إني لم أدرِ أنَّ هؤلاء الشّباب سجناء .

وخرج الاثنان على مهل من الخانة ، ملاحقين بنظراتِ الرئيس المدني الملتهبة ، وضع الطالب قبّعة سباستيان كتانيّة الشعر ، كما لو كانت قبّعته طوال حياته .

تابعت الحافلة المصفّرة بطلاّبها الستة عشر وجنودها الاثني عشر وقائدهم بزيّه الرسمي مع كولونيل بزيّ مدني أعور ، طريقها عبر السهوب ، متقافزة خلال الحفر ، مثيرة سحائب غبار جافّ وحار . لقد بقيت آثارها تمتد في أورتيز لساعات طوال ، لم يتحدث أحد بشيء آخر لا في حانة ابيغانيوس ولا في بيت الرهبان ولا في ساحة Viggewa ولا في مدرسة «بيرينيسي» أو في مركز الشرطة .

ـ مساكين ـ شهقت هيرميليندا بين سعف أحد الشّعانين الذابلة وشموع أطفئت في منتصفها ، إنّهم أطفال تقريباً ، أبناه بيرنيا . لترافقهم القدّيسة روزا . . .

ـ ليرافقهم الله بالذات ـ أجاب الأب بيرنيا قلقاً ـ لم يبقَ أمامهم سوى بالانكي وهو الموت .

ـ الموت؟.. تلك كانت المسألة، الموت. لم يعد من حكم الأشغال الشاقة قاتل الثوّار في «بالانكي» إلاّ القليلون وهؤلاء العائدونه يمشون ظلالاً باهتة، هياكل عظمية والموت داخلها.

ـ لن يعودوا صراخ كارتايا غ ضباً في با حة «الفينيا».

ـ سيقتلونهم ضرباً وسيدفنونهم في «السّافانا».

ـ يجب القيام بعمل ما ـ أضاف سباستيان وهو يلوّح بقبضته وجعاً من نقل واقع لا يستطيعون معه شيئاً..

أشار «بانتشيتو» لما يعلمه من وقائع شبيهة: بالانكي، الصين، الكوكو، وبكت زوجه عند اصغائها له. كانت مرتا حاملاً ولم تزل جميلة مع بطينها ،ومشيتها المتهادية وبكائها على الطلاب المعتقلين.

ـ سيلقونهم أرضاً للنّوم وستعقر أرجلهم القيود، سيسوقونهم للعمل فجراً، وسيوسعونهم ضرباً إذا ما حاولوا استراحة ما، سيقتلونهم جوعاً، سيصابون بالملاريا وتحرقهم الشمس. عدّد «بانثيشيتو» بحرقة.

ومريتا ترقأ دمعها بطرف كمِّها، كالبارحة عندما وَجَدَ جمجمة في مثاوي المقبرة..

ـ يجب أن تكون الأمور في كاراكاس على درجة من السّوء، وإلاّ وإلاّ لما أرسلوا الطلاب ليموتوا في «بالانكي»، فكّر «إبيريكوثي» في حانوت أبيغانيو.

ـ من الأفضل ألاّ نتنطّع بسخافات. نصحه الحانوتي. إذ هكذا يعاملون الطلاب، ماذا يتركون لنا؟..

وراح الاثنان ينظران بصمت طيران ذبابة كبيرة خضراء جذبتها رائحة السّردين النتنة..

ـ ماذا يفكّر هؤلاء السّفلة؟.. ـ ساءل الكولونيل «كوبيّوس» في المركز السكريتار والشّرطة وكأنّهم الجمهور ـ هل سيسقطون الجنرال «غوميز» بوريقات؟.. سيعلمون في الشّارع كيف يذوّب النحاس.

ـ أجل كولونيل ـ تمتم السكرتير على الأثر..

ـ كان يجب على الجنرال «غوميز» إطلاق الرصاص عليهم كي يقضي على الفتنة، يلحقهم بالجامعة ويتكفّل بمصاريفهم ويخرجون الآن باحتجاجات. إنّهم لناكروا الجميل!..

ـ أجل كولونيل ـ عاد السكرتير ليقول.

ثمّ التفت الكولونيل لأحد الشرطة:

ـ ألاحظتَ يا حنّا حبيب الله، سباستيانيتو ذاك، من Parapaera؟ يتهامس والسّجناء بوجه جهم، كما لو أنّه لا يحبّذ أخذهم وكأنّه لا يعلم من هو الكولونيل «كابيوس». إذا ما أعاد الكرّة، لأعصبّنه عصب السّلمة ولأرسلنّه مقيّداً إلى بالانكي كي يتعلّم الاحترام. تماماً كما يساوي الاثنان والاثنان أربعة..

ـ أجل كولونيل ـ كرّر السكرتير..

في الحافلة حائلة اللون والمهرولة في السّهوب لم يتحدّثوا عن مصيبتهم بل عن بؤس «أورثيز» المريع وعن شعبها، وما أن تاهوا في غبار الخرائب الأخيرة، حتّى صاح أحد الطلاّب، ذاك السّمين ذو النظارة الكبيرة...

ـ ياله من منظر قرية! مسكونة بالأشباح . .

وذو الوجه المدوّر البريء . .

ـ والبيوت؟ . . موجعة أكثر تلك البيوت . كأنها مدينة قضى عليها الجراد . .

ـ والمولّد السمين طالب الطبّ :

ـ أرجال الأنوفيليس . . . خربتها الملاريا . .

أمّا ذو الأنف الأشم والعينين الهازئتين :

ـ مساكين ويلاحظ أنّهم طيّبون . .

وحامل قبّعة سباستعيان :

ـ الناس دائماً طيّبون في هذه الأرض . السيئون ليسوا بشراً . . .

صمتوا لبرهة لأنّ فاريلا رمقهم شزراً بعد هذه العبارة . كانت الحافلة تعبر ذراع سهب أصفر مقفرٍ قاسٍ ، وكان المنظر مجروحاً بشجرة شوكية مغبّرة ، وظلّ بقرة عجفاء تضمّ أضلاعها قطع من الجلد .

ثم استأنف الملتحي :

ـ وأطفال تلك القرية . بلون التراب الذي يأكلونه . . .

ـ والسمين ذو الصّوت الجهوري . . .

ـ إنّهم أكياس من الهزال

وذو اللحية الشمّاء :

ـ يعيشون حفاة تأكل أرجلهم البراغيث . .

وقال ذو السمنة المقتدرة :

ـ اللعنة على المجرمين المسببين . . .

عاد فاريلا ينظر إليهم بغضب فصمتوا من جديد ..

كانت الحافلة تقطع مجرّى نهر جافٍ، متقافزة بين الحجارة ومتجرجرة بصعوبة في أرض رملية.

راحت حمامة بريّة ترجّع هديلها النّواح بين جماعات النخيل على الشّاطئ..

ثمّ قال ذو الحاجبين الخفيفين :

. كم هي جميلة هذه البيوت لو أنّها حيّة ترزق!.. وذو العينين القلقتين تحت نظارته الطبيّة :

. لو كانت مبنيّة بحسّ معماري معقول ومتين ..

وذو العينين الزرقاوين الهادئتين :

. بيت بلا سقف ولا أبواب أكثر إيلاماً من جثة ميت ..

والمولّد ذو الشّارب الخفيف والهيئة الرصينة :

. من الضروري إقامتها من جديد .

انطلقوا في حارة صغيرة ثم el sobrezo مدينة أخرى غبراء، أمام باب دار خالية نبح كلب نحاسيّ هزيل. من على جافّة الطريق تطلّع إليهم فارس حزين يمتطي فرساً، مكسالاً. غربت الشّمس بتثاقل في سماء مكفهرّة كئيبة، تنوّم السجناء تعباً ...

وقال ذو النظرة السوداء الثاقبة على حين غرّة :

. لم أر المنازل ولا الخرائب، فقط تجليّت بؤس النّاس ..

وذو الجبهة الحائلة الصّلعاء..

ـ يتهاوون كالبيوت، كما بلدنا مسقط رأسنا... والعبراني ذو الأنف الحادّ..

ـ «Plurima mortis I mago»...

ترجرج «فاريلا» بغضب من اللاتينية البعيدة عن إدراكه..

ـ اخرسوا ـ صرخ بصوت جهوري..

صمتوا هذه المرّة لفترة طويلة، تناقصت سرعة الحافلة بشكل ملحوظ... والآن راحوا يتدرّجون لاستقبال الليل بصمت، يستشرفون في السقف أنوار الفرج الأولى..

❖ من كتاب «بيوت ميّتة» ـ «CASAS MUERTAS» ـ للكاتب الفنزويلي ميغيل أوتيرو سيلفا MIGUEL OTERO Silva.

طباعة فنزويلا 1995.

بنات آوى وعرب

كنّا قدْ خيّمنا في الواحة، نام رفاقي، يمرّ جانبي رجل عربيّ طويل أبيض البشرة، فرغ من رعايته الإبل ويتوجّه إلى مكان استراحته.

تمدّدت وظهري على العشب، حاولت النوم ولم أستطع؛ لقد أخذ ابن آوى بالعواء من بعيد، عاودت الجلوس وسرعان ما أصبح قريباً ما كان بعيداً. أحاط بيَ الكثير من الثعالب بعيون تتلألأ كالذهب الخالص لتعود وتنطفئ وبأجسام رشيقة تتحرّك بخفّة وإيقاع كما لو أنّها تساير وقع المضراب.

اقترب منّي أحد هذه الثعالب، مرق تحت ذراعي واحتك بي وكأنّه يستدرّ حرارتي ثمّ انتصب وشرع يحدثني وعيناه تحدثان إلى عينيّ:

أنا أكبر الثعالب عمراً. يسرّني كثيراً أن أحيّيك أخيراً. أوشكت أن أفقد الأمل؛ ننتظرك منذ أمد طويل...

لقد انتظرتك والدتي ووالدتها وكلُّ أمّهاتها واحدة بعد الأخرى إلى أن تصل إلى أمّ جميع بنات آوى! صدّقني!

ـ يا للغرابة ـ قلت ونسيت أن أشعل حطبة لتهريب الثعالب ـ يدهشني كثيراً ما تقول. لقد أتيتَ من الشمال البعيد بمحض الصّدفة وأنا في طريقي هنا، ماذا تريدين منّي أيتها الثعالب؟

وكما لو أنّ هذه الكلمات أثارتها بطريقة ودّية، ضيّقت الدائرة حولي و تشدّقت فاغرة الأفواه. نعلم. بادر المسنّ يقول: بأنّك أتيت من الشمال، لقد بنينا آمالنا على ذلك. هناك نجد تفاهماً أكثر ممّا لدى العرب. تعلم جيداً أنّك لا تستطيع أن تلقى القليل من التّفاهم مع مبالاتهم الباردة. يقتلون الحيوانات ليأكلوها وينكرون الحدث.

. اخفض صوتك. قلتُ. هناك عرب نائمون بالقرب منا.

. حقّاً، إنّك لغريب. قال الجقل. ألا تعرف أنّه ما من ثعلب خاف يوماً من عربي. لماذا علينا أن نخافهم؟ أليست مصيبة كبرى حياة اللجوء بين أناس كهؤلاء؟

. ربّما. قلت. لا أستطيع الحكم في قضية تخرج عن نطاق المقارنة؛ يبدو أنّها عداوة جدّ قديمة، كأنّها تجري في الدماء ولا تنتهي إلا بالدم.

. إنّك لحاذق جداً. قال الجفل المسنّ؛ وتلبّس جمعهم باستثارة جديدة، مضطربين على الرغم من بقائهم دون حراك؛ واضطّرتني رائحة قويّة صدرت عن فتحات أن أطبق فمي وأشدّ على أسناني. ما انتهيتَ إلى قوله يتفق مع تراثنا القديم. هكذا سنهدر دمكم وتنتهي المعركة.

. كلاّ. قلت وربما بعصبية شديدة. سيدافعون عن أنفسهم وسيقتلونكم بأسلحتهم النّارية.

. إنّك لا تعلم. قال. فهناك على ما أرى سوء تفاهم بشري حتّى في الشمال أيضاً. نحن لا نريد قتلهم. لن نجد الماء الكافي في النّيل لتطهيرنا. حسبنا أن نراهم خارجين مهرولين إلى الهواء الطلق، إلى الصحراء وهذا منتهى غايتنا.

وكل ثعالب الحلقة وأخرى كثر تجمّعن من بعيد. وضعت أعناقها بين قوائمها الأمامية وأخذت تحكّها وكأنها تنظّف نفسها، وبدت كأنّها تريد التعبير عن اشمئزاز مفاجئ ما جعلني أرغب بالهرب من هناك قافزاً فوق أجسامها.

ـ والآن ما الذي تودّين فعله؟ سألت وأنا أحاول الوقوف، غير أني لم أستطع؛ ذلك أنّ ثعلبين فتيين نهشا بأسنانهما سترتي وقميصي من الخلف ما جعلني أبقى جالساً.

ـ يدعمون مؤخرتك. علّق الثعلب المسنّ بهدوء. إنها علامة احترام.

ـ دعوني. صرخت ملتفتاً بالتناوب إلى المسنّ والفتيين.

ـ لا شكّ إنها ستتركك. قال المسنّ. إذا ما كنت تريد ذلك. ولكنّها ستتأخّر قليلاً لأنّها عضّت بقسوة كعادتها وعليها الآن أن تفلت فريستها ببطء. وفي هذه الأثناء أصغ لمسألتنا.

ـ إنّ أسلوبك لا يجعلني أرتاح للإصغاء إليك. قلت.

ـ اغفر لنا قسوتنا. قال ولأوّل مرة تكلم بلهجة الأسف الخاصة بجنسه. نحن حيوانات مسكينة لا نملك سوى أنيابنا لكلّ ما نريد القيام بفعله سيئاً كان أو حسناً، نعتمد فقط على أسناننا.

ـ حسناً، ماذا تريد. سألته بشي من الحساسية؟

ـ سيدي، صرخ وعوى كورس الثعالب بطريقة تذكّر خطأً بسمفونية. عليك أن تضع نهاية لهذه المعركة التي تقسم العالم معسكرين. لقد وصف

أسلافنا الإنسان حامل رسالة، وأنت متّفق تماماً مع هذا الوصف. حبّذا لو يتركنا العرب بسلام، نريد هواء لنتنفس وأفقاً يتحرر النظر فيه من حضورهم ومن سماع شكوى النّعجة التي يزعجها العربي؛ نريد لكل الحيوانات الموت بسلام وإمكانية تطهيرنا لها دونما أيّ دخيل غريب إلى أن نفرغ محتواها ونكشط عظامها. ما نريده نقاء فقط نقاء. وانتحبت الجماعة. كيف تستطيع تحمّل هذا العالم أيها القلب النبيل؟ بياضهم قذارة، سوادهم قذارة، فظيعة لحاهم تكفي رؤية عيونهم ليتقيأ المرء وعندما يرفعون الذارع نرى أن أباطهم فم الجحيم. لذلك، سيدي المحبوب! اذبحهم بيديك المقتدرتين بهذه المقصّات.

مع حركة من رأسه ظهر جقل علقت أنيابه بشفرتي مقصّ قديمتين صدئتين.

. انظر، لقد أشرعوا المقصات... وهذا كاف! أعلن القائد الدليل العربي لقافلتنا، منتحياً وجهتنا معاكساً الريح وهو يلوّح بعصاه.

أسرعت الثعالب بالهرب ولكنّها وقفت عند مسافة ما. متزاحمة متلاصقة، اجتمعت متّحدة كقطيع فزع من الحريق.

. وهكذا أنت أيها السيد رأيتَ وسمعت هذه العبثية. قال العربي وضحك ملء فمه بقدر ما تسمح له سلالته المحافظة.

. وأنت أيضاً تعرف ماذا تريد هذه الحيوانات؟ سألتُ.

. كيف لا. أجاب. كل العالم يعرف؛ طالما وُجِد عرب، ؟؟؟ هذه المقصات الصحاري وتتابع مسيرتها معنا إلى أبد الآبدين. يقدّمونها لجميع الأوروبيين كيما ينفذوا الرسالة العظمى؛ كل أوروبي مرسل على وجه

التحديد من القدر حسبما يعتقدون. هذه نظريتهم. يا لهم من حمقى!
لذلك نحبّهم؛ إنّهم كلابنا أجمل من كلابكم. انظر هذه الليلة نفق جملٌ وجلبته إلى هنا.

ظهر أربعة رجال، رموا أمامنا الجثة الثقيلة. ما أن تركوها على الأرض حتى هرعت الثعالب مهتاجة. وكما لو أنّها مدفوعة بأمراس لا تقاوم، اقتربتْ متكئة وكأنها تزحف. لقد نسيت العرب وكراهيتهم، وأخذت الجثّة المتفسّخة بألبابهم، وحَمَتْ كل شيء. لقد استهدف أحدها الرقبة ومزّقها بعضّة. وكقنبلة مائية صغيرة. تريد بكل قواها غير القادرة إطفاء حريق كبير. كل عضلة من جسمها تهتزّ وتتشنّج بفعل الجهد الذي تبذله.. وبسرعة كانت جميعها متكوّمه على الجثّة، مأخوذة بمهمّتها.

هشّ القائد عليها بعصاه مرّات عدة. رفعت رؤوسها بشيء من الدهشة، نظرت إلى العرب وشعرت بالصّفعات على أقفيتها، قفزت إلى الخلف وأسرعت تتراجع لمسافة ما. ولكنّ دم الجمل شكّل الآن جداول تتبخر على الأرض وتمزّق الجسد في أماكن عديدة؛ عاودت؛ ومن جديد رفع القائد عصاه، أمسكتُ ذراعه.. حسناً. قال. لندعها تكمل مهمّتها، ولا ننسى أنه آن لنا أن ننصب الخيمة. إنّها لحيوانات عجيبة. أليس كذلك؟ وكم تكرهنا!!

2013/08/28م.

من كتاب Metamorfosis لفرانز كافكا
earvajal s.a printehir colombia1985

- الاعتراف -

البهو معتم. لقد أغلقت الآنسة النافذة كي تحول دون دخول المطر وحديقة الدّار تتراقص مع الريح وتتشبّع مطراً. مطر غزير يتساقط حبّات كبيرة على الأرض.

الفتيات صامتات إنّه اليوم الأوّل للاعتصام، أوّل يوم للاعتراف! كيف استيقظت آنا إيزابيل في ذلك اليوم الأوّل للاعتراف. استيقظت، وهي تقريباً لم تنم. فطوال الليل والكلب "تشوكو" ينبح بألم وآنا إيزابيل ترتجف في الفراش وعيناها مشدوهتان، وما أن بزغت الشمس تضيء الدار بخجل استسلمت للنوم. غير أن صوت أمّها أجفلها:

- انهضي آنا إيزابيل، عليك أن تكوني في المعهد الساعة السابعة. اليوم يبدأ الاعتصام ألا تتذكرين؟

- ألا تتذكّر؟ ألم تقضي الليل كلّه تفكّر بذلك. ثلاثة أيام! ثلاثة أيام وعليها أن تصل المعهد السابعة صباحاً وستبقى هناك حتى السابعة مساءً، وتسري البرودة في يديها لحرارة المشاعر. لقد تكلّم الأب مايوركا مطوّلاً عن العصمة، لقد تكلّم الأب مايوركا كثيراً عن الاعتكاف.

- ثلاثة أيام اعتكاف، صلوات والتواصل الحميم مع السيّد.

هذا ما قاله الأب مايوركا وآنا إيزابيل تخشى هذا التّماس مع السيّد الذي يتكلّم عنه الأب مايوركا. من المؤكّد أنه لا يسمح للمرء بالكلام ولا الغناء أو الضّحك.

- انهضي آنا إيزابيل! حسناً لن أكرّر ستصلين متأخرة. يا لها من طفلة عصيّة.

- عصيّة؟

إنّ العصيان خطيئة، خطيئة مميتة يقول الأب مايوركا.

خطيئة مميتة!! عليها إذن أن تقولها للأب.. يا لهول ما تشعر به آنا إيزابيل من خوف تجاه الاعتراف. على الرغم ممّا أملته الآنسة على الفتيات. وهي تجلس على كرسي واطئ وتقوم بدور الخوري أركعت آنا إيزابيل إلى جانبها:

- قولي أنا الخاطئة....

- أنا الخاطئة أعترف لله وصوت آنا إيزابيل النحيل يكاد يكون همساً.

- والآن عدّدي لي ذنوبك!

ولكن! أمِنَ الضروري أن تتفوّه بتلك الأشياء المريعة للآنسة؟

لا ليس بمقدور آنا إيزابيل، كم فكّرت بأمور سيئة ألصقتها الآنسة وكم من المرّات كذبت؟... ولماذا عليها أن تقول أيضاً ما حدّثتها به كونتازا؟

ذلك السّر الكبير الذي تحتفظ به في أعماقها، منذ ذلك اليوم الذي أخبرتها به جوستينا: إنه لا يؤتى بالأطفال من باريس. وأقسمت لجوشينا ألا تفشي هذا السّر لأحد أي أحد كان ولا لأحد. وقالت آنا إيزابيل وهي ترسم إشارة الصليب بجديّة: أقسم! والرغبات التي تثيرها سيسيليا دائماً في نفس آنا إيزابيل وهي تقص عليها أشياء سيّئة وتحدثها عن قبلات أختها آماليا "لبيدرو لاديرا" عريسها. أعليها أن تقول كل ذلك؟ وما حدّثها به ابن عمّها لويس أيضاً؟ وأخذت آنا إيزابيل رعدة، ما قاله لها ابن عمّها لا ولن تبوح به لأحد، فكيف بالأحرى للأب مايوركا حينما تخضع للاعتراف.

- إخفاء الذنب من أكبر الذنوب، من يتناول وهو يخفي خطيئة ما يقترف ذنباً.

آنا إيزابيل لا تعلم ما هو الذنب! غير أنّ الأب مايوركا أعلن أنّ من يجترحه يذهب إلى جهنّم الجحيم إلى الأبد. الأبد! كيف سيكون الأبد؟ هل هو أيّام وأيّام أكثر وليالٍ وزيادة ليالٍ. ستذبل أشجار وتنبت أشجار أخرى، ستهدم بيوت وستبنى أخرى وتفرخ طيور أخرى وتزهر الورود من جديد. سَتمُتْنَ كل رفيقاتها وستأتين فتيات أخريات يتناولن مناولتهنّ الأولى أيضاً وستكون سماوات أخرى وكواكب جديدة. سيكون "تشوكو" قد مات وسيأتي جروٌ آخر قد لا يسمى على الأغلب تشوكو. ولن يكون هناك "بيريكو وَكارمنسيتا". وسيكون الفحّام فحّاماً آخر وسيكون برج كانديلاريا آخر وأجراس أخرى. غير أن البحر سيبقى هناك دائماً البحر! واللهب تلعق أقدام آنا إيزابيل التي سيقت إلى جهنّم لاقترافها أحد الذنوب.

تحتسي آنا إيزابيل فنجان القهوة برشفة واحدة وتجرّ العجوز أستفانيا التي لا تستطيع مجاراتها. تركض آنا إيزابيل في الشّوارع الحجرية، تقف فجأة وتعاود الركض من جديد.

بارد هذا الصباح. صباح قارس من كانون أوّل. يباع البرتقال في دوّار القدّيسة بربارة: الاثنتان بسنتيم وبعض الأطفال يأكلونه ويرمون القشور على قارعة الطريقة تلمع مبعثرة.

ستحتفل آنا إيزابيل بالمناولة الأولى، ليست المناولة الجدّية فلا طرحة طويلة ولا إكليل ورد. ستصلح لها أمّها فستانها الأبيض ذا الأزهار. لقد زيّنته بياقة جديدة وستشتري له الزنّار. ستحتفل بالمناولة الجديّة العام القادم، لقد وعدتها أمّها، حيث كما قالت الآنسة يستطيع المرء الاحتفال بالمناولة الأولى مرّتين قد يكون ذلك من أجل فتيات مثلها. أتراه من أجل فتيات مثلها كي يتمكن من وضع الطرحة على جباههن والتاج على رؤوسهن ويبْدين جميلات ولو لمرة واحدة. فتيات فقيرات ولسن جميلات مثلهنّ مثل آنا إيزابيل. لماذا لم تكن جميلة؟ عيناها كبيرتان جداً، لكنّهما صافيتان. وهي نحيلة وممتقعة اللون! لماذا لم تكن مثل أخيها؟ كم هو جميل أخوها؟ عندما يخرجان ترى الناس يوقفونهما في الشارع ويسألون:

- لمن هذا الصّبي! يا له من طفل جميل!

وتتقدّم آنا إيزابيل منتصبة القامة في انتظار من يقول لها أيضاً:

- يا للطفل الجميل، ليحفظه الله!

وتضطرب عينا آنا إيزابيل... لماذا لم تكن كأخيها، ولكن هذا أيضاً خطيئة: أن تتمنى أن تكون جميلة مثل أخيها. لقد قالت الآنسة أنّ ذلك يسمّى حسد وهو أسوأ الخطايا.

تفكّر آنا إيزابيل في الخطيئة. هذه خطيئة، تِلكُمْ خطيئة، كل شيء خطيئة، وعليك أن تدلي بكلّ خطاياك للأب مايوركا وأنت تعترف أثناء المناولة الأولى.

يتساقط المطر على وقع رتيب ويدخل البهو عبق الأرض البلاد والأزهار المتناثرة. تُداعب الآنسة سبحتها، مسبحة من أعدادٍ سوداء سميكة، وتسجد الفتيات وهنّ يرسمن الصليب ويمتلئ البهو بأصوات طفولية.

- يا أمّ الله أيّتها القديسة مريم.

- صلّي من أجلنا، صلّي من أجلنا

وتتلو الآنسة المدائح.

- ملكة الملائكة، نجمة الصّباح.

قد تكون نجمة الصّباح تلك النجيمة الزرقاء تقريباً التي شاهدتها آنا إيزابيل ذاك صباح باكراً، متلألئة بين غيومٍ رمادية.

- برج من عاج...

من عاج! إذن لن يكون بها أجراس، سيكون لها ألف نافذة وستكون مثل تخاريم ترتفع إلى السماء وعند غياب الشّمس تعود زاهية كأزهار "الأموبولا".

ـ صلّي من أجلنا ، صلّي من أجلنا .

تفتح الآنسة الشبّاك لقد انقطع المطر وتتساقط على الأرض نقاط الماء التي تحرّكها الأغصانeha guaramo . وتغرغر الأرض glu glu وهي تمتصّ حبّات المطر الكثيفة. تتمنّى آنا إيزابيل لو تخلع نعليها وتركض حافية القدمين على الأرض البلل، تحبّ آنا إيزابيل الشّمس والمطر أيضاً وتشعر برغبات جامحة للركض عارية حافية تحت وابل المطر. لطالما علّقت العمّة كلارا بقسوة عند سماعها ذلك أن آنا إيزابيل ذات غرائز امرأة سيئة، امرأة شارع. امرأة شارع؟ هل هي Trinidad التي تبيع خبز الفرن أو Do mtilia من تبيع أقراص الذرة. ولكنّها لم ترَ أبداً لا ترينيداد ولا دوميتيليا تركض عارية تحت المطر. لقد قالت العمّة كلارا: إن ذلك خطيئة، خطيئة تجاه الحياء، خطيئة مجلجلة...

ـ لا يجب محبّة الجسد تكرر العمّة كلارا دائماً، الجسد قصاص الرّوح غير أن آنا إيزابيل تحبّ جسدها. تحبّ ذراعيها التي ترفعهما عالياً جداً، تحبّ ساقيها اللتين تركض بهما، وعينيها اللتين تريا... كما أنها تحب يديها. خلال الأصيل وعندما يقترب الليل وتتأمل من باحة الدار النجوم وحيدة بمفردها تلثم يديها؛ هكذا يجب على الأمير أن يفعل؛ الأمير الذي تحلم به آنا إيزابيل.

ـ لقد انقشع المطر، تقول الآنسة. تهيأن للذهاب من أجل الاعتراف. محاسبة الضمير.

تراجع الفتيات كتاباً صغيراً لعلاج مرير. كلّما قرأت آنا إيزابيل ذلك الكتاب تشعر بالرعب لكثرة الخطايا التي لا تستطيع تذكّرها كلّها.

هناك ذنوب في ذلك الكتاب لا تعلم آنا إيزابيل معناها! "لا تزنِ". تسأل آنا إيزابيل الآنسة عنها وتبقى هذه صامتة ثمّ تعلن أنها خطيئة لا تستطيع الصغيرات اقترافها. ولكن لدى آنا إيزابيل الكثير من الخطايا. الحسد فهي تودّ أن تكون جميلة، خطيئة الجشع والنّهم فهي شغوفة بالمأكولات وعندما تحضر الحفلات تلتهم الحلويات والسكريات البرّاقة. تقول الآنسة أنّ لدى آنا إيزابيل طبيعة فائقة الحساسية لا يعلم أحد إلى أين ستقودها. الحسيّة فتّشت عنها في المعجم. الحسيّة قدرة زائدة للتمتع بالحواس الخمس: النظر، الشمّ، السّمع، الذوق واللمس.

من الطبيعي أن تكون حسيّة إذا كانت تتمتع بالنظر: رؤية كلّ شيء وبالسماع والتذوق ولو أخطأت متطرّفة وبالشمّ ويشهد لها عطر الماغنوليا والناردين. إنّها لتشعر بالعطر يسري في جسمها كلّه، في فمها، في عينيها، وفي يديها.

دون شكّ ستتهم من قبل الأب مايوركا بأنها حسيّة، بأن لديها خطايا مخجلة، تحبّ جسدها وهو قصاص الروح. وأيضاً ما قاله ابن عمّها لويس. عليها أن تقول كل شيء لأنّ آنا إيزابيل لا تريد أن تحاكم.

بزغت الشمس بعد المطر. شمس صفراء، صفاء شمسٍ ذهبية تتمرأى في الشوارع المبتلّة. حيث تذهب البنات اثنتين اثنتين بقبّعاتهن البيضاء وكتبهنّ.. "العلاج المرير".

على واجهة الكنيسة الزجاجية يتصدّر يسوع أشقر جداً لوحة جبال زرقاء. الأب مايروكا داخل الهيكل. تتدافع البنات الواحدة للأخرى، ولا

واحدة تريد أن تكون الأولى. تتقدّم لويسا فيغوروا قائلة إنها لا تخشى الاعتراف، لأنها قامت به عدّة مرات ودائماً يضعون لها إشارة صغيرة تؤكد أن لا خطايا عندها.

تأمر الآنسة بالصمتَ. تصالب الصغيرات أذرعهنّ ويركعن صفّاً.

الخامسة. آنا إيزابيل هي الخامسة بعد لويسا فيغوروا التي تركع الآن أمام كرسي الاعتراف تأتي اسبرانزا كالديرا، ثمّ جوستينا ثمّ سيسيليا وَ.... آنا إيزابيل.

. إلهي اجعلني طيبة وأنا السيئة إلهي اجعلني صالحة.

تشدّ آنا إيزابيل يديها المتصالبتين على صدرها.

. اجعلني صالحة أنا السيئة.

في المذبح الكبير تتلألأ الشموع التي أُشعلت من أجل عذراء الآلام، العذراء رحمة الرحمات... كيف استطاعت العمل لتكون دائماً صالحة؟

. ربّاه اجعلني صالحة، اجعلني صالحة.

ينادي بائع اليانصيب هناك في الشّارع.

. السبعمائة ألف وخمسمائة وسبعة! بقي معي أربعة. الثمانية نفقت. أحملها كاملة!

يرنّ صوت بعيد هناك تحت القبّة الواسعة بين الشّموع التي تذوب متأوهة.

جاء دورك الآن.

تتكلّم سيسيليا ممتقعة وتصطنع ابتسامة

- تقدمي آنا إيزابيل، لقد جاء دورك...

لا تعلم آنا إيزابيل كيف لها أن تصل ولا كيف ستركع دون أن تقع.

- قولي أنا الخاطئة بنيّتي...

ووجه آنا إيزابيل المرتجف قريب من الحاجز، وللحاجز رائحة معدنية كنَفَس أبيها، إنّما هو نَفَس الأب مايوركا، الذي يداهم وجنتي آنا إيزابيل وهي تدير رأسها إلى الخلف لأنّها تشعر بشيء من الغثيان.

- أسرعي بنيّتي، قولي أنا الخاطئة...

- أنا الخاطئة أعترف لله... وَ... من هناك سيأتي ليدين الأحياء والأموات... لا لا أعترف لله. أعترف لله.

مهما بذلت آنا إيزابيل من جهد لا تستطيع تذكّر بقية التلاوة. وإذا لم تكرّر الـ أنا الخاطئة لن تغفر لها خطاياها.

- أعترف لله..

- أعلني خطاياك يا ابنتي...

- أبتِ، أنا....

- تشجّعي، قولي خطاياك لقد تأخرنا وهناك الكثيرات بعد. لنباشر، سأساعدك...

ويسأل الأب مايوركا آنا إيزابيل، يسألها عن كثير من الأمور، وتجيب آنا إيزابيل عنها جميعها بالإيجاب، لأنّ لديها كل الخطايا التي يفترضها الأب مايوركا. لكن آنا إيزابيل لا تفهم عمّا يسألها الآن الأب مايوركا....

- هيّا ابنتي لا تخجلي من الاعتراف، عليك أن تقولي كي تغفر لكِ خطايا وتغسل بماء طقس الاعتراف كثير القدسية... هيّا ابنتي قليل من الجهد...

لم تزل الشموع تذوب شاكية وبائع اليانصيب في الشارع يصرخ "الثمانية وحسب".

من وراء الحاجز. ينغّم الأب مايوركا كلامه وأنفاسه الثقيلة تهاجم وجه آنا إيزابيل!

- هيّا يا ابنتي لا تخجلي فالله واسع الرحمة مع الخطايا.

القداسة! الخلود كل الخلود!

وتنخرط آنا إيزابيل في البكاء ويداها متشابكتان مشدودتان إلى صدرها.

من كتاب آنا إيزابيل "الفتاة المهذبة"
للكاتبة الفنزولانية "أنطونيا بالاسيوس"

ذكرى مؤلمة

دعيني أختاه أترجم لكِ بعض الأشعار الإسبانية لشاعر حزين مثلي قضى حياته منفيّاً عن بلاده يتلوّى أسىً وحسرة وشوقاً لها، وكل ذنبه أنّه نادى بصوت الحقّ والحرية. ذلك إنّي أرى في هذه الأشعار صورة ترتاح لها نفسي، على أنّي لا أرتاح لصورة تبعثها نفسي رسول أحزانها ومشاعرها إذ مهما أفتنّت في تزويقها وإخراجها تبقى ناقصة مبهمة عاجزة أن تأتي بمرادي فاقبلي أختاه كلاماً لا أرى في كلامي ما يقاربه على إنّي أحمل في صدري ما لم يحتمله قبلي شاعر منفيّ ولا محرّر مظلوم. هاكِ قطعة "ذكرى مؤلمة":

"آهٍ من يستطيع العودة إلى تلك الأيّام، التي كانت تجري كحلمٍ من ذهب، من شبابٍ نشيط وسرور لا حدّ له، حيث أن الألم نفسه كان يبتسم. آهٍ كم مرّة في هذه الأرض البعيدة البعيدة عن مسقط رأسي؛ أفكّر فيكم في تلك الساعات السعيدة الساذجة. عندئذ تنهمر الدموع من عيني وأصرخ من أعماق صدري الجريح. آه من يستطيع العودة إلى تلك الأيّام. من يستطيع العودة إلى مفقوده الثمين."

لا أشك أن انتزاعها من موسيقاها وقافيتها تذهب بالكثير من جمالها وقد لا تقع منك مكانها منّي. ومهما يكن من أمر فاسمحي لي أن

أتمّ واعلمي أن الصّداقة بيني وبينك وحّدت قلبينا حتى لا تحدثني روحي بشيء إلا وأحسبها تحدّث روحك وأرجو أن تقرئي معي بعض الأبيات من قصيدة "ابداً" :

"عندما يأتيني طيفك يا أختاه في الحلم مقترباً من وسادتي مبتسماً بوداد مثل ماضينا أستفيق بشوق عظيم، انفجر باكية لأنّه عندئذٍ أقيس لا نهاية شقائي وفي قرارة روحي المظلمة تمرّ متوالية ذكريات سعادة هيهات لنا أن تعود وتكرّ الواحدة تلو الأخرى من البداية حتّى النهاية. وعبثاً أحاول أريد إبعادها عنّي لأنّ ذكريات الروح عندما تأتي لا تروح. أذكر ساعتئذٍ يوماً، يوماً سعيداً حيث ما بكينا ولا عرفنا البكاء. أتذكّر ألماً حاداً يجرح صدري بعيداً في أرض غريبة بعيداً عنكم وعن موطني. عندما شاء القدر ففرّقنا دونما شفقة لم يعلم مقدار ألمنا عظيم شوقنا ومدى شقائنا إذن لرحمنا. أذكر أيضاً اليومٍ الذي مرّت به في سمائنا غيمة دكناء تعلن العاصفة. الفراق، رحمتك إلهي خفّف من بؤسي، أتذكّر لا شيء أتذكر ولا أريد الذكريات".

ألا توافقيني أختاه إن شاعرنا هذا عظيم يجرف من قلبه هذه اللآلئ وينثرها بين أيدينا دون تعقيد ولا تزويق؛ إنّه يصوّر عواطف المهاجرين دون إجهاد أو تصنّع؛ إنّما يحدثنا بقلبه لا ببيانه وهو على ذلك رائع البيان والموسيقى. أتسمحين لي أن أترجم لكِ هذه القطعة بعنوان "رسالة" هاكِ هي :

إلى أين تذهبين سحابة بيضاء؟ سحابة بيضاء إلى أين تذهبين؟ عمّ تفتّشين في صدر هذه اللانهاية الزرقاء؟ تراك تفتّشين عن الكوكب حيث تحكم الروح ليغسلك بأشعته وصفائه الخالد ثمّ تعودين إلى الأرض. يا رسول

إلهي من ضوءٍ وصدقٍ وسلام. إذا كانت الحكمة هي التي إذا كانت الحكمة هي التي تدفعكِ إلى هناك فوق قلّة الجبل عبر بخار البحر. طيري طيري سحابة بيضاء رجّي القناعِ الزجاجي للمنطقة الأثيرية. لنصلّي للكوكب الأعلى الحافل بالصدق الأعظم بالجمال الفائق الخيال بالعدالة الخالدة. حيث يعيشون حياة لا تنتهي أبداً والتي لا تستطيع خيالات ابن آدم تصوّرها. أو لا ربّما تمرّين بحبيبة حبّي، بقبلة أمانيّ التي آمل مرآها كل ساعة والذي قد لا يتحقق أملي هذا أبداً. إذن اذهبي وفتّشي عنها سُحَيبتي، فتّشي عنها بصدق ولا تعودي إلا إذا قلتِ لي: إنّك وجدتها. فتّشي فتّشي عن معبودتي وعندما تلقينها صفي لها أحزاني وآلامي، شقائي وإيماني، ستصفين لها أنفاسي الحرّى لصورتها التّامة في باصرتي. طيري سحابة بيضاء وعند رجوعكِ اجلبي لي السلام مع شعاع من طيفك أو نفحة من علاكِ.

ربّما يقصد الشاعر بقصيدته حبيبته أو أي شخص آخر كان خيالياً كان أو واقعياً، غير أنّي أترجمها وأعني الحبيبة فيها موطني سوريا.

هذا قليل من كثير أسرني من شعر هذا الشاعر وله من هذا القبيل قصائد لا أملّ قراءتها ومنها: العودة إلى الوطن، حلم، أمنيتي، سنّي الثمان.... إلخ.

لئن قال هيجل بتجاذب الأضداد فلقد نادى غوته بتجاذب التشابه الطبيعي والمسألة نسبيّة سجال نختار فيها ما يوافق هوانا.

أطلت عليك وإنه لقليل من كثير فإلى لقاء قريب ولو على صفحات الورق مع أطيب الأمنيات.

عام/ 1953م

مخطوط قديم

لنقل أن منظومة الدفاع عن بلادنا ليست بالكفاءة التي نتمناها. لست مهتّماً بهذا الشأن حتى الآن بل بأموري الجوهرية؛ غير أنّ بعض الحوادث أقلقتني.

أعمل إسكافياً وحانوتي يشرف على باحة القصر الإمبراطوري. ما أن أفتح نوافذي صباحاً حتى أرى جنوداً مسلمين متمركزين في كلّ الشوارع المؤدية إلى الباحة. غير أنّهم ليسوا جنودنا؛ من الواضح إنّهم بدو من الشمال. لقد وصلوا العاصمة بطريقة لا أستطيع فهمها، وهي ما هي عليه من بعد عن الحدود. على أية حال هم هناك وكأنّهم يزدادون عدداً يوماً بعد يوم.

يخيّمون كعادتهم في الهواء الطلق ويتحاشون البيوت، دأبهم سنّ الرماح وشحذ السهام، وتمارينهم المكلفة. لقد حوّلوا هذه الباحة الهادئة والنظيفة دائماً، إلى مزبلة. كثيراً ما نحاول الخروج من محلاّتنا لننظف على الأقل الأوساخ أكثر إيذاء؛ غير أن هذه المحاولات تصبح أقلّ مرّة بعد أخرى فهي عمل غير مجدي ناهيك عمّا تباغتنا به الخيول الوحشية أو ما يلوّح لن به من الضربات.

لا نستطيع التكلم مع البدو. لا يفهمون لغتنا وتقريباً ليس لهم لغة خاصّة بهم. يتفاهمون فيما بينهم كالجداء. يُسمع ثغاؤهم باستمرار. تبدو لهم عاداتنا وبديهياتنا غير مفهومة وقليلة الأهمية. حتّى ولا يحاولون فهم إشاراتنا. يقوم المرء بتحريك اليد والمعصم بإشارات. لا يفهمونها ولن يفهمونها مطلقاً. غالباً ما يأتون بمظاهر؛ يقلبون عيونهم بيضاء ويخرج الزّبد من أفواههم ومع ذلك فهم لا يقصدون قول شيء ما ولا حتّى الإخافة، يفعلون ذلك بحكم العادة. إذا ما احتاطوا شيئاً يسرقونه، لا تستطيع القول إنّهم يستخدمون القوّة. يستولون على الأشياء بسهولة ويتمنّى الآخر مستسلماً.

لقد أخذوا من محلّي أدوات ممتازة. غير أنّي لا أستطيع التذمّر وأنا أرى مثلاً الحظّ الذي انتاب اللحّام. ما أن تصل بضاعته حتى يحملها البدو حالاً يأكلونها. وخيولهم أيضاً تأكل اللحوم، غالباً ما ترى الفارس يأكل وحصانه سوياً ذات القطعة من اللحم. ترى اللحّام خائفاً لا يجرؤ على ردّ طلباتهم. لكننا نعمل ما بوسعنا متّحدين من أجل انضباطهم. من يعلم ماذا يفعل هؤلاء البدائيون إن مكثوا دون لحم ومن جهة أخرى، من يعلم ما هُمْ مؤهّلون لفعله حتّى ولو أكلوا اللحم يومياً.

منذ فترة وجيزة بدا للحّام أن يوفّر على نفسه مشقّة ذبح العجول. وصبيحة ذات يوم أتى بثور حيّ. ولم يجرؤ على فعلها ثانية، أمضيت ساعة كاملة متمدّداً أرضاً في عقر حانوتي متدثراً كلّ ثيابي، أغطية وسائد، كي لا أسمع خوار الثّور والبدائيون يغيرون عليه وينهشون قطع اللحم بأسنانهم. لم أجرؤ على الظهور إلا بعد أن هدأت الضجة بوقت طويل.

وكما لو أنّهم سكارى حول نفق من الخمر كانوا قد ارتموا على الأرض مختنقين مستميتين حول فضلات الثور.

ثم ما لبث أن ظهر الإمبراطور ذاته مطلاً على إحدى نوافذ القصر؛ إنه يداوم العيش في الحديثة الداخلية ولا يطلّ مطلقاً للمساكن الخارجية، غير إني رأيته في تلك المناسبة أو على الأقلّ بدا لي إنّي رأيته قبالة أحد الشبابيك متأمّلاً وهو خافض الرأس ما يجري في قلعته.

كيف سينتهي كل ذلك؟ تساءلنا جميعاً، حتى متى نتحمّل هذا العبث وهذه الإزعاجات؟ لقد أتى القصر الإمبراطوري بالبدائيين ولا يعلم كيفيّة الخلاص منهم. تبقى البّوابة مغلقة والحراس المعتادون سابقاً على الدخول والخروج بخطًى عسكرية محبوسون الآن خلف شباك النوافذ. إنّ خلاص الوطن هو مسؤوليتنا نحن الفنّانين والتّجار، غير أننا لسنا مؤهّلين لرسالة كهذه؛ ولا حتى نستطيع تقدير إمكانية مواجهتها، هناك مجهلة ما وهذه الجهالة سبب هلاكنا.

من كتاب Metamorfosis لفرانز كافكا Prinse in cafcorsfia Seise B arral 1984

أمام القانون

هناك حارس أمام القانون.يأتي قرويٌّ إلى هذا الحارس ويسأل الدخول. لكنّ الحارس يجيبه أنّه لا يستطيع السّماح له بالمرور الآن. يتجاوب الرجل ويستفهم فيما إذا كان سيسمح له بعد قليل.

ـ من الممكن ـ أجاب الحارس ـ أمّا الآن فلا.

وكالعادة كان باب القانون مفتوحاً؛ وعندما يتمنّى الحارس جانباً ينحني القروي ليستطلع الداخل. ما أن يراه الحارس، يضحك ويقول له:

ـ إذا كنت شديد الرغبة، حاول الدخول رغم ما نعني. مر لكن تذكّر إنّني رجل مقتدر. وحسبي إنّي آخر الحرّاس. هناك بين البهو والبهو حرّاس أخر كنز. كل واحد منهم أكثر فورة من سابقه.ولتعلم أنّ الحارس الثالث مرعب جداً لا أقوى على احتمال نظرته.

لم يكن للقرويّ أن يتخيّل مثل تلك الصعوبات، غير أنّ منظر الحارس المتجبّر، بلمّته وأنفه الحادّ الكبير ولحيته التترية الشمطاء، السوداء، بقنعه بأفضلية الانتظار. يقدّم له الحارس مقعداً ويسمح له بالجلوس إلى جانب الباب. هناك ينتظر أيّاماً وأعواماً. يحاول الدخول مرّات لا نهائية مترجّياً الحارس باستمرار. غالباً ما يعقد الحارس معه محادثات موجزة،

يسأله عن بلاده وعن أشياء أخرى كثيرة؛ لكنّها أسئلة لا طعم لها، كتلك الخاصّة بالأشخاص العظام، وفي النهاية يجزم أنه حتّى الآن لا يستطيع السّماح له بالدخول. يقدّم له القروي كل ما كان قد حمله معه حتى أكثرها قيمة كيما يرضي الحارس. وهذا يقبل الهدايا، وهو يقول له:

ـ أقبلها كي لا يدور بخلدك أنّك قصّرت في بذل المجهود.

خلال تلك الأعوام الطويلة، يراقب الرجل باستمرار تقريباً الحارس: ينسى الآخرين فيما يبدو له إنّه العقبة الوحيدة التي تحول فيه وبين القانون. يلعن خطّه السيء بطلاقة وبصوتٍ عالٍ في البداية ثم مع الوقت والشيخوخة خلال الهمسات فقط. لقد عاد كطفل، وأثناء مراقبته الطويلة للحارس توصّل لمعرفة براغيث رقبته الجلدية، يترجّى البراغيث مساعدته في إقناع الحارس. أخيراً غشي بصره وأصبح الآن لا يعلم حقيقة ما إذا كان قد خبا النّور أم أنّ عينيه تخدعانه فقط. يميّز خلال الظلمة شعاعاً يشعّ متوهجاً من باب القانون. والآن لقد بقي له الوقت القصير من الحياة. قبل الممات تتشابك كل تجارب سنينه الطويلة في عقله لتشكّل سؤالاً واحداً لم يتّضح بعد. يشير إلى الحارس كي يقترب منه، حيث أنّ حمام الموت أقعد جسده. وكان على الحارس أن يجلس القرفصاء ليحدّثه وقد ازداد الفرق بين القامتين مع الزمن.

ـ ماذا تريد الآن. يسأل الحارس. إنّك للجوج.

ـ يجهد الكلّ للوصول إلى القانون. يقول الرجل. كيف تفسّر عدم محاولة أحد سواي الدخول طوال هذه الأعوام العديدة؟

إنّ الرجل يشارف على الموت . يعلم ذلك الحارس . وليتأكّد من سماعه كلماته يدلي في مسمعه بصوته الراعد :

. لم يكن باستطاعة أحد محاولة ذلك، لأنّ هذا الباب كان محفوظاً لك فقط . والآن سأغلقه .

من كتاب Metamorfosis لفرانز كافكا Seie Barral, colombia

شرفات

ـ 1 ـ من نكون؟!...

من كتاب "eomo somos" . للكاتب إبراهيم سلّوم بيطار، طباعة فنزويلا

الفكاهة هي الواقعية التي بلغت حافّة حدودها . باستثناء بعض الآداب الكوميدية، كل ما يعمله الإنسان مضحكٌ أو فكاهي. وفي الحروب غير ذلك. لقد قال "إدوارد ثوثريز" : "لم يكفِ الإنسان كونه أكثر الحيوانات غفلة؛ بل ازداد فخراً بكونه الأحمق الوحيد" .

أوغست مونتيروسو .

ـ 2 ـ عدالة إلهية

تساءل الحَملُ، لماذا ارتأى الله هذه المبادلة؟ كلّما خطر ببال أحد أتباعه أن يضحّي بتابع آخر، يسرع الخالق ليحول دون الضربة القاضية، وعوضاً عن هذه التضحية المتعادلة على الأقلّ، يضحّون بي كائناً نباتياً، هادئاً، متواضعاً . ما هو ذنبي الأصلي أو الفرعي لأستحقّ هذا الحكم الجائر لأبد الآبدين أم أن ذنبي أنَّ لي طبعاً مسالماً مطيعاً؟ أمن أجل ذلك يضحّون بي؟ أم لأني لا أدين أحداً، أصبح المدان الأبدي الوحيد .

وهو يتأمّل ذلك، تنتظره التضحية مكمّلاً برضوخ سلْماً كثيراً ما تكرّره كنيسة المسيح حتّى قبل تأسيسها : حمل الله يمحو خطايا العالم. ترنيمة الكنسيين، الذين يرمون الحجر ويخفون يدهم، يتذكّرون، يمارسون ويضحّون بكثير من الحماس.

. 3. كيف نكون

الحقيقة. قال الرجل ساهماً. دون أن يفارق نظره اللهيب المشعشع في المدخنة تلك الليلة الشّاتية؛ يوجد في الفردوس أصدقاء، موسيقى وبعض الكتب؛ الألم الوحيد لدخول السّماء: أن لا سماء هناك تُرى.

أوغست مونتيروسو من كتاب "La obeeja NECRA y

Deamas Fabulas

. 4. العثرة الأبدية

منذ الأزل تنتظر الأفعى عودتها إلى الفردوس، ليس كمن يخطئ الظن لإعادة القصّة التي يرويها كتاب التفاسير، بل على العكس تماماً، لن يحدث لأيّة أفعى أن تعثر مرّتين في ذات الحكاية، أو تنزع عن الإنسان تلك الميّزة التي استحقّها وحده.

. 5. لا تضايقني

لقد كلّف الله القيّوم الجملَ بمهمة إن لم تكن مستحيلة، فهي على الأقل ليست بوثيقة كلّما أراد غنيّ أن يدخل باب السّماوات، يراها الصّبور المخلص ذو السّنام كما يقال، مع قايين. كي يحول بين الغنيّ

ومشروعه الجاهز، على الجمل أن يجد كالعادة إبره في كومة قشّ، وغرسها عمودياً للعبور في ثقبها الوحيد الضيّق. وبذلك يكتمل القول: "أن ترى جملاً يدخل ثقب إبرة أهون من دخول غنيّ الجنّة".

6. احكي لي حكاية أخرى

يحكون الأطفال حكاية، يستخرج منها أيّ جنائي كأحرفه الأولى: أن لا جريمة كاملة. الحكاية هي: "ليلى والذئب"، حيث يتنكّر الذئب المحتال بالجدّة تنتظر غذاءها ويأمل افتراس الشهية ليلى. فجأة يهرع صيّاد ذئاب لمساعدة الطفلة الحمراء ويبقى الذئب ولعابه السّائل دون بلوغ الغاية.

غير أنّ "هوبز" الفيلسوف الإنكليزي، شرّع لنا حكاية أخرى، يمثّل بها الذئب مرّة أخرى أسوأ دور: الإنسان ذئب الإنسان.

Coms somos

7. ثلاثة حقوق

بما أننا نعيش زمناً يقول فيه التشخيص ما لا تقوله آلاف الكلمات، يسأل المرء بعناد حقّه بالتقرب من الألوهية المرجوّة: التشابه. يعمل على إضفاء صورته وتبيان مشابهته. راجياً الرب الصّالح الواعد بعودة الابن وقيامة الجسد، أن يذكر يومئذٍ أنّ المساواة ليست فقط أنّنا من طين خلقنا، ولا أنّ العدالة عمياء ولا الحرية مهمّة إشكالية خرساء

من كتاب ANTologia PAETIEA للكاتب إبراهيم سلّوم بيطار

8. المثال

ثمّة قلعة من عاج، وردة عجيبة ونجمة تستحقّ الحبّ.. مرّت بي، رأيتها كمن يرى الفجر، مسرعة عجلى واثقة الخطى.

إنّها أحد التماثيل القديمة بروح أشرقت من عينين، عينين ملائكيتين، كلّها حنان، كلّها سماء زرقاء، كلّها رمزية.

شعرتُ بأنّي لثمتها بنظراتي فعاقبتني بكبرياء جمالها، ولمحتني كملكة وكحمامة. لكنّها مرّت مثيرة، ظافرة، كرؤيا مذهلة، وأنا، رسّامُ الطبيعة والنّفس، المسكين صانع التناغم والقصور الهوائية، رأيت رداء الجنيّة المنير، ونجمة تاجها وفكّرت بموعود الحبّ المأمول الجليل. علاوة على ذلك الشعاع السّامي القَدَريّ، بقي في قرارة نفسي فقط وجه امرأة كحلم أزرق.

روبين داريو Ruben Dario من كتابه: Azul

9. الخوف. إدواردو كاليانو[0]

ذات صبحية أُهْديَ إلينا أرنب من الهند. وصل البيت في قفص. عند الظهر فتحت باب القفص.

عدت إلى البيت مساءً لأجده كما تركتُه داخل القفص ملتصقاً بقضبان القفص يرتجف خوفاً من الحرية.

10 ـ بكاء

هناك في الغابة في الأمازون الأكوادوري. كان أهل "الشوار" يبكون جدّة لهم تحتضر. جالسين حولها يبكون وصولاً حدّ الاختناق. سألهم شاهد من عوالم أخرى:

ـ لماذا تبكون أمامها وهي لم تزل حيّة ترزق وأجاب الباكون:

ـ كيما تعلم أنّنا نحبّها كثيراً

11 ـ الجبل ـ ماكس آوب()

خرج جان ذات صبيحة ساكنة إلى البرّ ولم يكن هناك الجبل؛ امتدّ السّهل جديداً عتيداً واسعاً تحت أشعة الشمس الذهبية المشرقة.

كان هناك على ما يذكر جبل أسطوانيّ الشكل أصلع، مخيف قذر ضخم دونما أيّة فائدة، كان بشعاً والآن ومع انبثاق الفجر قد اختفي.

سرّ جان بذلك كثيراً، أخيراً تحقق أمر هام يتّفق وآراءه.

ـ كنت قد حدّثتك بذلك. قال لامرأته.

ـ أجل إنّها الحقيقة. نستطيع الآن الوصول إلى بيت أختي بسرعة أكبر.

12ـ ضربة حذاء

واتّجه الحذاء نحوي يغير حقّ أو ظلماً.

وراح يصرخ عالياً بفمه الكبير المفتوح حتّى اللانهاية.

حذاء قديم، قديم جداً، أصبح لونه دون لون مفلطح وممزّق كبلد
ممثل اجتيح ومتجّه إليّ كما لو أن لي رغبة أرغب في رؤية لونه، أو نعله أو
صاحبه. يغلب عليّ الضحك عند سماعي عويله الجبان على الجبين وحتّى
تقريباً على الأضلاع هذا العفريت الدنيء.

كما لو أن القدم في النهاية لا تستطيع أن تسير حرّة. حذاء لعين.

13 ـ الاحتفال بالضحك Eduardo gabano

خوسيه لويس كاسترو نجّار المنطقة borrio ذو يد فنّية. يتعامل مع
الخشب الذي يحبّ.

كان والد خوسيه لويس قد أتى "نهر لابلاتا" ضيعة بونتيفيدر يذكر
لابن أباه بوجنتيه المتوردّتين تحت القبّعة "زي باناما"، ربطة الحرس في ياقة
منامته السّماوية اللون ودائماً، دائماً يروي قصصاً مضحكة أينما وجد يكون
الضحك. من كل جهة يأتون ليضحكوا ويتجمهر النّاس حوله وهو يحكي لهم.
وفي أماسي وداع الموتى كان عليهم أن يرفعوا التابوت ليستوعبوا جميعاً.
وهكذا كان الميت يقف ليسمع باحترام واجب، تلك الحكايات البهيجة
Gaeiaa الظريفة والشيء الرئيسي من بين كل ما تعلّمه خوسيه لويس من
والده هذا المهمّ هو الضّحك. علّمه العجوز. والضحك جماعة.

14 ـ عصفور آخر أزرق. فرانسيسكو آيالا[0]

"انظر أي عصفور بديع بهذا الشّكل، هناك فوق الشّجرة، أيّة ألوان"!
صرخت مهرولة إلى النافذة تناديني إليها.

قضينا برهة صامتين نصغي لتغريد العصافير خارجاً في ذلك الضباب مع ذلك الرياح. هذه المساكين الحمراء الصغيرة نصرّ على الغناء. علّقت قائلاً. "تغنّي تنشد الربيع الموعود رغم المطر والعاصفة الباردة". هذا ما حدث عندما رأيت هناك في المدى البعيد ذلك العصفور الأزرق الكبير يرفرف أعلى الغصن، ذلك العصفور نادر الجمال وجئت بي كي أشاركك إعجابك وغبطتك به، لكن سرعان ما انتبهنا إلى أنّ ذلك لم يكن عصفوراً. ما كان يتحرك على الشجرة منتشراً ومرفرفاً بجنون زرقته الداكنة، لم يكن عصفوراً، بل كان على الأغلب خرقة، قطعة قماش علّقتها الريح على الأغصان.

كيما أبعث السّرور في نفسك، قلت لكِ بما كنت قد أحسست به: "عزيزتي إنّه لأجمل وأحبّ إلى قلبي ممّا لو كان حقيقيّاً، لأنّ هذا العصفور من خيالك واكتشافك، إنّه صنعتك". وفي الوقت ذاته وأنا أقول لك خطرت ببالي هذه الفكرة. إذا ما كنت أنا أيضاً من اختراع عينيك السّاحرتين، ويوماً ما، في وقت ما....

15. ولا بيان sinliteratura

قمت اليوم بزيارة المتحف الشّرقي لجامعة أوكسفورد التي سأغادرها خلال ثلاثة أسابيع، وربّما للأبد. خلال الست أو السبع السنوات التي قضيتها هنا، لا أحد يعلم كم من المرّات مررت أمام باب هذا المتحف دون أن أدخله. والآن وأنا أغادر شيكاغو وقد لا أعود إليها، أحببت رؤيته قبل ذهابي.

إنّه متحف صغير وممتاز، جدير بشهرته، يحتوي آثاراً أشورية ومصرية. أطوف به: أتأمّل خزائنه الزجاجية وأعجب بالمجوهرات والتماثيل. وأخيراً

أقف أمام مومياء امرأة عارية. وبقيت أتملاّها طويلاً. قدماها الصغيرتان، يداها المضمومتان أسفل، بين العضلات. وجنتاها. والرأس جميل الشّكل جدّاً. نحرها... لا أستطيع ألاّ أتأمّل جسم هذه الامرأة التي عاشت منذ سبع وعشرين قرناً. تجتاحني عاطفة عميقة. عاطفة لا معقولة هوجاء. عاشت هذه الامرأة قبل سبع وعشرين قرناً، وأنا الآن أشعر انفعالاً، ألماً، كما لو وجدتني فجأة أمام محتضر لم يزل في مقتبل عمره. ليس ما أشعر به احتراماً ولا تقديراً أركيولوجيا، ولا خوفاً ولا شيء من هذا القبيل: إنّما هو إحساس لا شعوري يصل بي تقريباً حافّة البكاء (إن الحديث العجيب عن لقاء جديد عبر الأزمان يقرع باب الأدب. أعلم ذلك جيّداً. وكفى بذلك).

قبل خروجي ألقي نظرة أخيرة على الرأس الكامل البديع والعنق الجميل الرفيع.

16. المظلةJose martinez Ruizالكاتب الإسباني

"يا للهول، جدّتي هذا لا يجوز. لا حقيقة لما هو غير واقعي". والدوقة العجوز من بلدة برانديلانس تضع مرّة أخرى شفتيها على مسمع الطفلة، حفيدتها، لبرهة تتلفّظ كلمات غريبة؟ لا يجوز لي أتعرفين الحياة؟ ماذا تعرفين عن العالم! لا يا ابنتي، لا تستخدمي المظلة، المظلة أداة بائسة. لقد حدث لي مع المظلّة ما أرويه لك". غريب، جدّتي! كيف لمظلّة أن تسبب مصيبة؟ أجل، بسبب المظلّة؛ المظلة مفهوم قاتل. كان عمري يومئذ ثمانية عشر عام وكنت أمشي في الشّارع والمطر ينهمر والريح العاصفة خلعت المظلّة وفي تلك اللحظة.... لا أريد التفكير بذلك". وشفتاها مرّة

أخرى على مسمع الطّفلة. ترفع الطفلة يديها إلى وجنتيها النضرتين المحمرّتين وتنتفخ عيناها.

منذ ذلك اليوم يطيب للدّوقة العجوز من براند يلانس القول. لم أعد لاستخدام المظلة؛ وتضيف بعد استراحة قصيرة. "ومن الطبيعي جدّاً إنّي دائماً أذهب بسيّارة".

- صرخة الجبل. الكاتب الأرجنتيني Miguel Bravo

ذات صباح باكر شرع الجبل يطلق صرخات صغيرة.

خافت الطّيور وتركت بعض الأبقار اجترارها، نظرتْ إلى الجبل باستغراب ثم تابعت واستعادت الطبيعة نبضها وتابعت الحيوانات أكلها وركضها. غير أنّ الجبل واظب على صراخه. في اليوم التالي فوجئت بقرات وحيوانات بصرخات أقوى وحتى أنّ قروياً أصيب بالدهشة بعض الشيء. رفع رأسه، نزع قبّعة القشّ وحكّ رأسه. ثمّ عاد إلى عمله.

لم يكن صراخ الجبل أغرب ما في الأمر، بل اقتفاء جبال أخرى بحذر في البداية؛ متناغمة متجاوبة بحماس أطلقت صرخات صغيرة. والآن لا أحد، لا بقرة، لا قروي ولا حيوانات تعيرها الاهتمام.

ومع الزّمن لم تعد مجموعة الجبال هذه الملتهبة حماساً تصرخ، بل أصبحت تغنّي، إنّه عملياً إنّه لانتصار أن نسمع في الأماسي، عندما تغرب الشمس بهدوء، كورس الجبال تغنّي فرحة.

17 ـ الهيكلان العظميّان Javrier Tomeo كاتب إسباني

كان الهيكلان العظميّان بعظامهما المبيضّة من الشمس يتحدّثان جالسين على حافة حائط المقبرة.

الهيكل العظمي آ اسمع.

الهيكل العظمي ب قل لي.

الهيكل العظمي آ أسوأ ما نستطيع فعله هو تقاعسنا

الهيكل العظمي ب أجل. هذا أسوأ ما يكون

الهيكل العظمي آ ستأتي أيّام أفضل، أنا متأكّد من ذلك.

الهيكل العظمي ب أوه، لا شكّ! ستأتي أيّام أفضل

الهيكل العظمي آ علينا أن نتعلّم الصّبر

الهيكل العظمي ب أجل، علينا.

الهيكل العظمي آ ستعود الأشجار خضراء من جديد.

الهيكل العظمي ب نعم: خضراء، وستغني الطيور مرّة أخرى.

الهيكل العظمي آ كم هي ممتعة حينئذ عودتنا للحياة!

الهيكل العظمي ب أتعتقد أنّنا سنعود أيضاً للحياة.

الهيكل العظمي آ لا شك في ذلك.

الهيكل العظمي ب	(متأملاً) سيكون ذلك رائعاً.
الهيكل العظمي آ	(بعد استراحة قصيرة) بماذا كانوا ينادونك سابقاً؟
الهيكل العظمي ب	خوانيتو
الهيكل العظمي آ	هيّا خوانيتو أيقظ القلب!
الهيكل العظمي ب	(متفحّصاً أضلاعه) أيّ قلب؟
الهيكل العظمي آ	(مستعيداً اعتبار الموقف، وبلهجة مفاجئة يائسة). الحقيقة إنّنا أخطأنا بموتنا.
الهيكل العظمي ب	أجل لقد أخطأنا.
الهيكل العظمي آ	فقدنا القلب.
الهيكل العظمي ب	بلى، لقد فقدناه.
الهيكل العظمي آ	وكان ذلك أسوأ ما في الأمر دون شكّ.

صمت الهيكل العظمي ب. ينفخ في عظم ساقه ويخرج لحناً ناعماً يداعب تقريباً رأس المريدين. وعلى سحر الموسيقى تحاول الأفاعي منذ مائة عام. التي تكاد تشكل سبحة من لوحات يشوعية مشؤومة ـ أن تنتصب كما في العهود القديمة السامّة القاتلة.

18 ـ الحزين Arturo del Hoyo كاتب إسباني

أكلت من الخوخ، حيث لم يقولوا كانوا يضحكون وأنا أيضاً أخذت أضحك ولو أن قلبي الطفولي كان حزيناً، قفزت، هم كانوا يقفزون، رميت أشياء من علٍ لأنّهم كانوا يحبّون أن أفعل ذلك، ثمّ لعبنا في الممرّ، لكم أذكر رؤية كيف يلعب الآخرون. بعد قليل قالوا: "هيّا بنا نلعب لعبة الحظّ". ما أن جلست وكانت الكرسي التي جلست عليها مكسورة حتّى رحت أتدحرج على الأرض.

أضحكتم النكتة كثيراً وراحوا يلاحقونني بعيون دامعة من ذلك الظّفر. أنا وعلى الأرض ضحكت مثلهم مع أنّ قلبي الطفولي كان حزيناً.

19 ـ بطيء انبثاق الفجر في المطارات المحرّمة Antonia Perira أنطونيو بيريرا كاتب إسباني

ذات مرّة كان الشاعر الملهم في سوق تدعى "Senado" جالساً إلى طاولة الفنّ يؤدّي رسالته كشاعر موهوب. كلّ منّا يحترمه جدّاً لانتظاره الصّوت العجائبي، ولو أنّك لم تر له صفحة مكتملة أبداً. أتى قرويّ من السّوق ببهجته الواضحة من الكؤوس الأولى ودقّق في السطر الذي خيّم على الصفحة:

بطيء نور الصباح في المطارات الممنوعة.

المقطع جميل، لم يزل وحيداً للإقلاع بالقصيدة.

تنهّد القرويّ وقال:

ـ إنهّا لبداية حسنة Pepin ولكن ماذا بعد؟

20 ـ الكلب José Moreno كاتب إسباني

عندما أرى هذه الشعلة النبيهة وأعني بها الكلب، عندما أراه يلاحقني بنظراته ويحييني بذراعيه الممتدتين لي، يتجسس ينبح مدافعاً عني، يوصوص بذيله فرحاً بعودتي، مرتمياً على قدميّ متكوّماً بودّ تام، تتفتّق ذاكرتي حالاً عن هيئة رجل يحوّل بملء إرادته، كل الكائنات حوله كلاباً، امرأة، ولداً أم السلطة الدنيا. ثمّ أعود للكلب وأقول له بكلّ ما لديّ من قدرة:

"اسمع، كلبي، لن أضربك أبداً، ولن أنقص عليك طعاماً ولن أطردك من البيت ولن أقلّل من تعاطفي معك. لا تخفني؛ لن أكون الأعلى أبداً. تصرّف كما تتصرّف أثناء غيابي. لا أريد عبيداً ولا عبدة".

واعتبرني الكلب أحمقاً.

21 ـ سياحة داخلية Pere Gimferrer ـ كاتب إسباني

كان لدى تلك الهيئة الجديدة للمؤسسة السياحية الكبرى، ذلك السرّ الذي يغلّف حركاتها. ما جعلها تحكم الكثير ممّن حولي. آثرت الانضمام إلى قائمة المكتتبين.

عصر اليوم التالي ودون سابق إنذار، اقتحم مبعوثان من المؤسسة بيتي. وبكل أدب أخذوني بسيّارتهم حتّى ساحة الـ Duque.

بعد قليل وقفنا أمام البوّابة الثانية بمغلاقها الحديدي المتقن.

ـ البيت رقم 23 في شارع كونزاكا، بين ساحة دوكي وجادّة القدّيس متّى باب كبير بمغلاق حديدي فنّي.

تفحصتها للحظات وتأكدت وأنا أداعب المغلاق بيدي، فتمتمت:

ـ شارع كونزاكا 23. مغلاق تاريخي.

أمسى النّهار. كانت أشجار الكستناء مكتئبة جدّاً.

ـ أمسينا ـ قالوا لي ـ حان وقت العودة للبيت.

وبعد قليل.

ـ انظر، هذا هو بيتك.

ـ أكيد، معلوم.

المصعد فوق. وهناك

ـ الكرسي التي تجلس عليها كلّ مساء.

ـ الصحيفة التي تقرأ!

ـ أيّة غرفة هذه! كم هي حلوة!

ـ طاولتك الليلية الصغيرة.

ـ مرآتك.

ـ أنت.

ودّعوا وذهبوا. قليلاً ما أعطي دراهم لمثل هذا العمل الجيّد. على أيّة حال كثيراً ما أحلم في لياليّ بتلك الرحلة.

ص 62 ـ 63.

22 ـ الطاحونة الصغيرة - مانويل باتشيكو- كاتب إسباني

كان يطحن البنّ كل صباح. منذ سنين عديدة والرجل يملأ فمها بحبّات البنّ وبكلّ قوته يدير الآلة، وعلى هذه الطاحونة الصغيرة ـ أن تطحن الحبوب وتحيلها مسحوقاً.

كان الرجل يأخذ المسحوق ويضعه في ماء يكاد يغلي في ركوة، ثم يحتسيه متلذّذاً.

لم يكن الرجل يؤمن بأنّ للأشياء حياة. لطالما احتقر عبودية الأشياء الميكانيكية، ويسخر من صديقه الشّاعر الذي ينصحه بالحفاظ على الأشياء لأنّها تخدمنا وعلينا أن نحبّها: قنديلاً كان، سكيناً، باباً، أيّ فرش في نادي، حاجز زجاجي تستطيع أن توقطنا من سبات عبودي؛ نستطيع الكرسي أن تميل فلا تليق بالجلوس عليها ويكسر الرجل المغفّل رأسه.

وذات صباح قفزت الطاحونة، أمسكت أصبح الرجل، عضّت بحنق رأس البنصر وانتفض الرجل يلعن ويسبّ، سال الدم ثمّ اسودّ الظفر، فالإصبع فالمعصم والذراع؛ واضطرّ لنقله إلى عيادة الإسعاف قبل أن يحوّل إلى المشفى حيث قطعوا الذراع.

ولم تعد الطّاحونة لطحن البنّ. رموها في حاوية القمامة، وهناك عاشت سعيدة، تلعب مع أطفال الضاحية.

23. الأطيار Jwan Perucho كاتب إسباني

من الطبيعي أنّ الأشياء لم تكن هكذا في السّابق.

عليّ القول أوّلاً إنّها منطقة قاحلة جافّة، ذات كآبة عميقة مطلقة، حيث يجد المرء نفسه وحيداً ووجهه إلى الأرض أو متّجهاً إلى السّماء. لقد أثبتُ ذلك مرّات عديدة، كما هو واضح.

ومع ذلك هناك الطّيور وأغلبها الكنار، صغيرة ولكنّها قوية شجاعة جدّاً تعيش بين أشجار الزيتون نهمة لا ترتوي. حاولنا القضاء عليها بأيّة طريقة، بغضب أعمى وعنيد، ولهذا كنّا قد تضرّرنا مرّات عدّة.

ذهبت الحرب بها كما ذهبت بأشياء أخرى غيرها. انظر القرية مهجورة وصورة والدي على الحائط. لا أريد التفكير بذلك. من المحتمل جدّاً أن تعود الطّيور.

ص: 98 ـ 99

24. أسطورة تونفورباو. eiro Alegria كاتب إسباني

أتأمّل ماراتيون معجباً بتيّاره العنيف، وأعتقد أنّ النّهر العظيم، يستطيع أن يحدثنا عن "تونفورباو". أشاهد الكتيب "يوريبي"، ألمح واجهته الصّخرية الضائعة بين الغيوم وأعلم أنها ستحدّثنا أيضاً عن تونفوربَاو. تلك الصّخور من "شاكراتوك" والتي بنى منها بيته، تستطيع أن تقص علينا الكثير من تونبو غاو. الحارات الأرستقراطية، الأشجار، الممرّات، الأعشاب، الأشذاء، كل ذرّة تراب تعرف تونفورباو.

إنّ الحيوانات الأهلية والبرّية تعرف عن تونفورباو وأقول البريّه للقول فقط. تونفورباو تؤهلها بحضورها وحسب. الفهد الحذر، الحجل الطّائر عالياً، دبّ الأغوار، الأفعى ذات المفاجأة الخادعة، الطنان يراوح في الجوّ وحتّى الحباحب أو الصرصور العابر؛ كانت جميعها أصدقاء تونفوباو.

كل الكائنات والأشياء التي نظنّها لا تتكلم، تستطيع أن تروي لنا تاريخ تونفوباو وبطريقة ذكيّة صادقة. لكننا لم نصب فهم ما تقول. خوارها، صراخها، غناؤها، صغيرها صخبها وهمسها، أقلّ بكثير ممّا تقول خلال صمتها.

لنعلم تاريخ تونفوباو، علينا أن نأخذ أن كلام الإنسان ليس دائماً صحيحاً، أو مدروساً.

لذلك ترى الكثير من القصص عن تونفورباو، يردّدها النّاس مجزّأة ودون تحقيق. يعتقد البعض أن تونفورباو مثال الخير، ويعتقد البعض الآخر أنّه مثال السّوء. والأكثرية تعتبره رجل "شاكراتوك" العجيب، لقد اتفق جميعهم على أنّه ساحر غريب.

وأنا أصغي لما يحكي عن تونفوباو، والناس يتحدثون عنه بشغف، أسأل عن قصد، غارقاً في جهلي الكثير وفي معرفتي عنه حدّ الاستغراب والبكاء، قرّرت جمع قصص تونفورباو العديدة. من يعلم إذا كان بالإمكان روايتها تامّة...

في ليال مقمرة كهذه تزدهر الأفكار ويسعى العقل للتحرّير. أتكلّم عن تونفورباو بحذر من يجذّف في مياه هائجة.

انظروا الشعلة الذهبية التي توحّد القمر والمارانيون... "واليوريبي" تشع الغيوم من أمامه... اسمعوا كيف وصلت الريح وتحدّث الأشجار... إذا كانت هذه إشارات من تونفورباو... فليساعدني على السرد.

25 ـ آوثروي. Juan José Arreola كاتب إسباني

الاثنين، إنّ الملاحقة المبدئية لذلك المجهول لم تزل مستمرّة. أعتقد أن اسمه آرترووي. لا أعلم متى بدأ يأسرني. ربّما منذ بداية حياتي، دون أن أنتبه وهذا أسوأ بكثير.

الثلاثاء. كنت أمشي هذا اليوم بهدوء في الشوارع والسّاحات. لاحظت فجأة أنّ خطواتي تقودني لأماكن مجهولة. حيث شكلّت الشوارع عقدة على ما وصف آرترووي. في النهاية وجدتني في شارع دون مخرج.

الأربعاء. حياتي محصورة في منطقة ضيّقة، داخل حارة بائسة. دون جدوى لتطلّع للبعيد. آرترووي يراقبني من جميع الزوايا مقرّراً سرّ الطرق الكبيرة في وجهي.

الخميس. كثيراً ما أخشى مواجهتي العدوّ منفرداً. وأنا أرتمي على السّرير في غرفتي المغلقة، أشعر بنظرة آرترووي تعرّيني.

الجمعة. قضيت اليوم بكامله في البيت، غير قادر على القيام بأدنى حركة. وفي الليل ظهرت حولي حلقة صغيرة بشكل ما كخاتم تقريباً أكثر خطراً من حلقة برميل.

السّبت. استيقظت الآن في علبة ضيّقة، ليست أكبر من جسمي، ودون أن أجرؤ على ملامسة الجدران حدستُ أن خلفها أعداء جدداً يتربّصون بي. هذه الصورة. دون شك. هي من صنع آرتروي.

الأحد. محشور في زنزانتي. يداخلني ببطء تشويش في عقلي. أفرز سائلاً كثيفاً، مائل الصفرة بانعكاسات خادعة. لا أنصح أحداً أن يعتبرني عسلاً.. لا أحد أبداً.. من الطبيعي أن استثني آرتروي.

26. الإيمان والجبال. Augusto Mouterrose كاتب مكسيكي

في البدء حرّك الإيمان الجبال، فقط عندما كان ذلك ضرورياً بشكل عامّ، حيث يبقى المنظر ذاته لآلاف السّنين.

لكن عندما أخذ الإيمان ينتشر وبدت فكرة تحريك الجبال مضحكة، راحت تبدّل أماكنها، حتّى أصبح من الصِعّوبة من المكان أن تجدها حيث تركتها ليلة الأمس، ومن البديهي أنّ ذلك عقّد الأمور أكثر ممّا ساعد في حلّها.

ولهذا أثر الشّعب الطيّب التخلي عن الإيمان والآن نرى الجبال بشكل ما ثابتة في أماكنها.

عندما يحدث في الشارع هزّة تودي بحياة العديد من المسافرين، يكون شخص ما بعيد جدّاً أو قريب، قد تملّكه شعاع من إيمان.

27ـ الستّة الآخرون.

يقول معتقد فولكلوري، إنّه منذ سنين كان هناك في بلد بعيد بومة أجهدت نفسها في التأمّل وأحرقت أهدابها في الدراسة، في التفكير، في الترجمة، في إقامة المؤتمرات، في كتابة الشّعر والسّير الذاتية والوقائع السينمائية والخطابات والمقالات الأدبية وأشياء أخرى كثيرة؛ إلى أن وصل لمعرفة ومعالجة كلّ أنواع المعرفة الإنسانية، بشكل ملحوظ جعل معاصريه المعجبين به يعلنونه أحد حكماء بلدهم السبعة، وحتّى الآن لم يستطيعوا إثبات من هم السّتة الآخرون.

28ـ حوار. كارلوس كاستانيوس بارينتوس، كاتب مكسيكي

كان ذاك الرجل غريب الأطوار، لن أنسى حواراً دار بيني وبينه ذات مرّة لفينة يبكي بصمت.

ـ لماذا تبكي سألته متأثراً.

ـ لا شيء أبكي. أجابني بعد قليل.

ـ أتبكي من الأباطيل.

ـ أباطيل الدنيا تجعلني أبتسم بشكل ما. أنا لا أبتسم الآن، أنا أبكي.

ـ إذن أنت تبكي لأنّك تتألمّ. تابعت أقول.

ـ لا يبكيني الألم. يصيبني أحياناً باليأس، وفي كلّ الأحوال يرغمني على النّضال لقهره.

لست يائساً الآن ، أنا لا أناضل ، أبكي .

. ربّما كانت سعادة طاغية استدرت دموعك. قلت له متفائلاً .

أجابني محدّقاً في عينيّ :

. كلاّ إنّ أفراحي عادة خرساء . أبكي لركضي وراء وهم جميل ، وهذا الوهم استحال للاشيء . أبكي للاشيء .

29 الإطفائية Mario Benedetti الكاتب المكسيكي

لم يكن أوليفاريو أسّ الحدس وحسب بل وكان جدّ فخور بمقدرته هذه. كثيراً ما يتأمّل بعض الشيء ثم يقول: "غداً ستمطر". وتمطر. وأحياناً أخرى يحكّ قذاله ويعلن : "الثلاثاء سيخرج ال57 إلى الرأس. ويوم الثلاثاء يخرج ال 57 إلى الرأس. وكان يتمتّع لدى رفاقه بإعجاب لا محدود .

يذكر البعض منهم أشهر توقّعاته صحّة. كانوا يمشون معه أمام الجامعة ، عندما اخترق نذير الإطفائية وهيجانها ، النسيم الصباحي بشكل مفاجئ وقال : "من المحتمل أن بيتي يحترق" .

استوقفوا سيّارة وسألوا السّائق اللّحاق بالإطفائية . أخذوا طريق الـ Riviera وأوليفاركيو يقول : "أؤكّد تقريباً أن بيتي يحترق" . واحتسب أصدقاؤه الصّمت المذهب المهيب على قدر ما يعجبون به .

تابعت الإطفائية سيرها إلى PEREYRA وبلغ السّيل الزبى . لقد انعطفت إلى شارع بيت أوليفاركيو ، وجمد الأصدقاء انتظاراً . أخيراً

وقفت سيارة الإطفاء أمام بيت أوليفاركيو المشتعل وبادرت بسرعة وجدّية إجراءاتها المعهودة. وبين الفينة والأخرى تتطاير الشظايا من نوافذ الطابق الأعلى.

وبكلّ رزانة نزل أوليفاركيو من السيارة. أصلح عقدة ربطته وبهيئة المنتصر المتواضع استعدّ لاستقبال التّهاني وعناق أصدقائه الطيّبين.

30. الأبواب. الكاتب الإسباني Manuel Paehe

يفتتح الأبواب ويغلقها. إنّه يحبّ فتح الأبواب، وإغلاقها وهكذا يتحرّر من سجنٍ ماء في غرفة ومن وحدة لا يُرى بها من قبل أحد ولا يفتح لها باب ينطلق منه إلى العالم. أخذوه إلى الصّحراء ولم يمت من ظمأ أو شدّة حرّ أو جوع، مات لأنّه لم يكن هناك أيّ باب ليغلقه.

المنجم الذهبي Julio Ramon Ribeya كاتب إسباني

ما أن يسأل المغامرون الطماعون ذلك الرائد البيرواني القروي المسن: أين يمكن أن نجد "باييني" أو بكلمة أخرى، المنجم الذهبي، حتّى يجيب: "لن تجد "البايتيني" ما لم تنزع من عينيك بريق الجشع.

31 مدائن. Mauuel Varga كاتب من بوليفيا

عدت إلى المدينة بعد إقامة قصيرة في المرتفعات. وصلت إلى شارع عريض مليء بأقنية حجرية وفي كل مكان جدران وحفر تغشاها الضّباب.

لا تظهر الأبواب المفتوحة دخيلة بيت بل إنّها لتدلّ على اقتراب الليل : في أحد هذه الأبواب شاهدت وجهاً متغضّناً .

ـ قل لي ، من أين استطيع النزول إلى المركز؟

تفاجئني يد على شعري .

ـ مركز ماذا؟

ـ إلى المركز سيّدي ـ قلت رافعاً صوتي ـ نحن في مدينة لاباز ، أليس كذلك؟

ـ آه . والآن رأيت ا ليدين ومقدّمة الذراعين والمشلح ذا الألوان المتعددة القاتمة .. أنت تريد الذهاب إلى "لاباز" .

ضاعت الابتسامة في الظلام . خطىً . أصوات ناعمة لأشياء تحرّكها الأيدي ومرّة أخرى الصّوت :

ـ انتظر ، قليلاً سأرافقك ـ وخرج العجوز ذو المشلح والقبّعة السّوداء ـ ما رأيك لو إنّنا نصعد؟

ـ نصعد؟ أنا أريد النزول .

ـ تماماً ـ ابتسم العجوز ـ ولكن علينا أوّلاً أن نصعد قليلاً .

وأوضح لي أن هذه المدينة ليست واحدة بل عدّة ، وعلاوة هناك وادٍ ونهر ، ومزرعة بطاطا ، ومنجم ذهب ، طريق و معْبد وفوضى .

رحنا نعبر أزقّة ومتاهات ، جدراناً صخرية ، حيطاناً طينية وأحلاماً منسيّة . وقف دليلي أمام شجرة ضخمة مليئة بقشور كالتي رأيتها في المرتفعات وكنت ترى هناك في الأسفل ساحة والكثير من السّيارات .

- ألهذه المدينة قصدت الوصول؟ سمعت من خلف ظهري.

- أجل. قلت. هنا لاباز، شكراً. واستدرت لأشكره.

لم يكن إلى جانبي سوى شجرة صغيرة، اعتمدت جذعها كما لو إنّني أخشى الانغماس في المجهول.

32 ـ الملاك Juan aduardo zuniga كاتب اسباني خوان ادواردو زونيغا

راحت امرأة تعبر الباحة الكبيرة وفي منتصفها عمود ينتهي بتمثال ضخم لملاك باسط جناحيه وكأنّه على أهبة الطيران.

كانت هذه الامرأة تكحّل عينيها المعجبتين به كل صباح، جزعة من عواصف الخريف أو ضباب البرودة تخفيه فلا تعود تراه، ومع علمها علم اليقين إنّها بالنسبة للملاك نقطة سوداء في السّاحة الصّحراوية الممتدّة، تسأله أن يرافقها في مشروعها اليومي الطويل.

أصغى الملاك لإصرارها العنيد وتفهّم نداءها الملحاح فنزل ذات يوم عن العمود واتّجه نحوها بخطى مترددة. شعرت الامرأة أمام هذا الشكل العملاق بجناحيه المبسوطتين، بولادة أمل التواصل ولكن عند اقتراب الملاك رأت عينيه الفارغتين.

ومع ذلك سألته :. أتأتي معي. تأتأ الملاك ولم يجب وبعد قليل عاد إلى مكانه أعلى العمود.

انكسرت حدّة المشروع التواصلي، شعرت بأن حياتها انتهت وإنّها على حافّة الغوص في الأرض لمّا أدركت أنّ الملاك لم يرها ولم يحدس أبداً هيئتها العاشقة. لكنّها فكّرت بواجب العمل وبالطريق التي تنتظر معاودتها السّير يوميّاً وقرّرت المضيّ قدماً. لن تفتّش الآن عن الحبّ ولن ينزل الملاك إلى الأرض.

يعبر المتوحّدون السّاحة الشاسعة ولا أحد يرفع نظره إليه، لقد أحيطوا علماً بأن الملاك هذا أعمى، ملاك متوحّد مثلهم.

. 33. ذهاب وإياب. أنطونيون مولينا، كاتب إسباني

ما أن استيقظت حتّى وجدتني في اليوم التالي. ولم يكن لديّ عمل لأقوم به. شعرت بالملل لوجودي في ذلك الزمن المستقبلي الذي يشبه أمعاء منفوخة بالهواء والذي قرّرت العبور منه إلى اليوم الجاري.

استطعت ذلك كما لو إنّي اخترقت زجاج نافذة جرحتني لدى انكسارها. ثم التقيت واليوم المشؤوم وسعيت فيه وكأنّني أضعت ظلّي.

. 34. آدم وحوّاء (José Maria Silva)

ما أن ولدت حوّاء حتّى اتّكأت على كتف آدم تحت شجرة، حيث المطر الهمر. وسمح الرجل الفتيّ، الذي لم يلقح بعد لقطرات المطر أن تداعب وجنتيه. أخذت المياه تتجمّع على مقربة منهما في حيّز موحش من الأرض. اكتشفته حوّاء وقالت:

ـ انظر : أمعنا النّظرسويّاً ورأت حوّاء انعكاس صورته الخاصّة ، ولو أنّها لم تتعرّف عليه بعد وهامت بالرجل حبّاً ، أضافت معجبة :

ـ هذا أنت .

35 ـ صخرة سيزيف ـ Esteven Padros le Palacios كاتب إسباني

قادني فرجيليو إلى بقعة جديدة . ما رأيته بها فاق كل مشاهداتي سابقاً ، رجل عملاق ذو عضلات مفتولة وضّاء متلألئ بقدرة أسطورية ، يجرّ كرة ضخمة في أحد المنحدرات . تقوست ظهره كقبة تتحمل ضغط الجهد المتصاعد . كانت الأوردة تلتفّ حول ذراعيه كالأفاعي ، جاهدة لتزويد الشرايين بما تتطلبه عضلاته من معين دموي . وأربطته تنذر بخطر تمزّق مفاجئ . أمعنت النظر بدهشة في وجه العملاق . تصميم غلاّب طاقة فوق بشرية وهدف جذّاب .

خطوة خطوة وهو يتحدى قانون الصّعوبات القاهر ، راح يرفع الكرة المقيّدة بنبل يَديْن قويتين بطلتين . رحت أساعده في أداء مهمته مشدوهاً وجامداً دون حراك . لكن ما أن وصل فوق حتّى خسر الفوز والرّاحة . لقد ترك البطل الكرة تتدحرج على المنحدر الواسع ، ثم نزل من علٍ وعاود من جديد صعود تلك البقعة من عالم عجائبي أرضي .

ـ هل لي أن أتحدث إليك؟ سألتُ فرجيليو .

ـ " تستطيع .. " أجابني بصوت صارخ. " لكن لا تتوقّع تراجعي عن الأداء . "

ـ هائل جهدك هذا يا صديقي ـ قلت بتودّد ، مستروحاً له بجواري ، وتضحية غريبة هذا العمل اللامجدي والتكراري .

وقف التيتاني منتصف الطريق ونظر إليّ مستغرباً .

يتراءى لك هذا الجهد دون جدوى؟ ـ سألني مستعيداً أنفاسه المتواترة.... لا شيء فيها دون جدوى. بهذا الجهد أمنح عضلاتي القوّة يوماً بعد يوم.

والآن أنا من كان مخبولاً .

ـ وبماذا تنفعك زيادة قوّة عضلاتك الخيالية هذه؟

ـ إنّه لمن الواضح جداً ـ أعلن بارتياح تام ، مزهوّاً بالثقة والفخر ـ كيما أرفع هذا الثقل بيسر أكبر إلى أعلى المنحنى.

وعاود الجرّ من جديد كما لو أنّ هذه الكلمات حلّت المشكلة .

ذهلت! ما أخاله حلقة جهنّمية فارغة يراه حلقة فارغة مبهجة .

أخذني دليلي من ذراعي وبخطىً واسعة اقتادني خارجاً .

ونحن في الشارع ، التفتُ إليّ فرجيليو وردريفز وبصوتٍ أبّح قال :

ـ هل لك أن تُقدم وتصبح شريكاً؟

تطلّعت فإذا البناية منظمة "نادي سيزيف الثقافي" .

ـ أوه كلاّ ـ تنبأت فرحاً ـ لقد ذهبت التنظيرات إلى الجحيم . إنّها نهاية الميثولوجيا القديمة .

36 ـ الشّعاع الشّمسي . Juan Ramon Jimencz كاتب اسباني شهير ـخوان رامون هيمينز

أيقظ شعاع شمسي دخل الغرفة المظلمة خلال فرجة في الشباك المغلق، الطفل الصغير في السّرير.

لو استيقظ الطفل من دونه لبكى مستدعياً والدته. غير أنّ جمال الشعاع الشّمسي المضيء فتح أمام عينيه فردوساً مزهراً ساحراً أدهشه.

أخذ الطّفل يصفّق ويضحك ويحدّث نفسه دون كلام ممسكاً قدميه بيديه الصغيرتين مهدهداً بهجته.

وضع يده على الشعاع ثمّ قدمه. يا للصّعوبة ويا للصّبر. ثمّ فمه ثمّ عينيه ويكسف نظره، متحرّراً منه، ضاحكاً مطبقاً فمه المليء باللعاب. إذا ما أصيب وهو في معركة اللعب هذه بلكمة ما، يتحمّل الألم ويحبس البكاء مستضحكاً ودموعه تمازج بين قوس القزح البديع والشّعاع الشمسي الجميل.

وبعد فترة ينسحب الشعاع عن الطفل شيئاً فشيئاً إلى الحائط. ولم يزل الطفل ينظر إليه دهشاً، كما لو كان فراشة مستحيلة حقيقية له. فجأة يختفي الشّعاع. والطفل في الغرفة المعتمة. ما به هذا الطفل، يقولون كلّهم راكضين، ماذا دهاه. إنّه يبكي بحرقة يدعو أمّه.

37 ـ عودة الوردة ـ Ruber Dario ـ الكاتب المشهور. نيكاراغوا صديقي العابرة، سأروي لك حكاية:

كان لدى الرجل وردة، وردة انبثقت من القلب وعليك أن تتخيل تقديره لها ككنز، وعنايته الفائقة بها وعبادته هذه الوردة الثمينة، الطرية العزيزة! ليتمجّد الله في عجائبه! لقد كانت الوردة أيضاً عصفوراً يتكلّم بعذوبة وأحياناً كان عطرها المثير، فائق الوصف يسري كينبوع ساحر حلو من نجمة ذات شذى.

في أحد الأيّام مرّ الملاك عزرائيل بيت الرجل السّعيد، وحدّق إلى الوردة بعينيه، فارتجفت المسكينة وأخذت تزبل وتحزن، لأنّ الملاك عزرائيل رسول الموت القاسي. هذه الوردة المحتضرة وهي الآن تقريباً دون نفس ودون حياة، تملأ قلب من أبهجته حزناً وألماً. تضرع الرجل إلى الله قائلاً:

ـ سيّدي، لماذا تريد استرداد الوردة التي أعطيتنا؟

والتمعت دمعة في عينيه.

أشفق الربّ العطوف على دمعته الأبوية، وقال هذه الكلمات:

ـ عزرائيل، دع تلك الوردة تحيا. خذ إذا أردت أيّاً شئت من أزهار جنينتي الزرقاء. استعادة الوردة رونق الحياة. وفي ذلك اليوم ومن مرصده، رأى فلكي نجمة تنطفئ في السّماء.

38 ـ واحد من اثنين ـ Juan jose Arreola خوان خوسي آريولا

أنا أيضاً تصارعت والملاك. لسوء حظّي كان الملاك شخصاً قويّاً، عدوانيا مرفوضاً (كريهاً) وبهيئة ملاكم. على الخط قبل قليل تقيأ كل مّنا

على حدة في الحمّام. حيث أن الملعب أو بالأحرى الحفلة كانت من السّوء بمكان. وكانت العائلة تنتظرني في البيت: ذات ماضٍ بعيد.

بعد دعوته مباشرة أخذ يشدّ الخناق عليّ بطريقة فجّة. تطورت المعركة أو بالأحرى الدفاع لتحليل تعدّدي بالنسبة لي كتحليل مفاجئ تعدّدي ومنطقي... درس بسرعة كل إمكانيات الخسارة والخلاص، مراهناً على الحياة أو الحلم، متناهباً بين الاستسلام أو الموت، مؤجلاً نتيجة تلك العملية الميتافيزيائية والعضلية.

وأخيراً تحرّرت من الكابوس كساحر يفكّ أربطة تحنيطه ويخرج من الصندوق مسلّحاً. لكن حتّى الآن لم تزل على عنقي الآثار المميتة التي تركتها يدا خصمي، وجدانياً أتمتع بهدنة فقط. يقتلني الندم لفوزي الرخيص في معركة خاسرة لا دواء لها.

39 ـ مقولة بابوية ـ كارلوس ادموندودي أوري

البابا ـ من الآن فصاعداً، انتهت هذه المهزلة. أقدّم استقالتي وأغادر بريح طيبة. سأشتري قبّعة وسأقبل وظيفة رئاسة محاسبة شركة الضمان "الضمان العام" التي تفضّل ف ولو بعدم احترام Osadiá وقدّمها لي بين مزح وجدّ، تلك الأمسية التي استلمت فيها الإدارة المقدسة في الفاتيكان. ف الفتى الطيب كان زميلي في المعهد وأنا في التاسعة من عمري. هو بذاته أعادها لذاكرتي. سأثيرها مع نظره إلى الصليب المعلّق على الحائط وجهاً لوجهه. تنفّس الصّعداء وأعلن: مشكلة صغيرة.

40 ـ الشاي juan peruch

كانوا يحتسون الشاي في القاعة المطلّة على الحديقة. وكان البيانو مفتوحاً وعلى دساتينه نوتة كونشيرتو لفيفا لدي، عن دار زيغفيلر برلين. وترى في كل مكان صحون سجائر مليئة بأعقابها وكتباً ومجلاّت مبعثرة هنا وهناك. وعلى الحائط لوحتان لراقصتين لديفاس بإطارين ذهبيين.

قالت الامرأة وهي تنظر من خلال النافذة:

ـ لا أعتقد أن هناك. حلّ ما..

ـ لماذا؟ قال الرجل الجالس على الكرسي المريح وهو يدخن الأعشاب العطرة المعتادة ضدّ الرّبو كان يرتدي قميصاً رمادي اللون ويتصفّح ألبوم صور لكوبا.

ـ بحالتك هذه من الضعف أيضاً أن تجدها.

ـ هذا ليس صحيحاً. كان بمقدورك أن تنتظر....

ـ لا، لم يكن بمقدوري. ولا حتّى أنت لم تكن لتقدر. لمن السهل قول هذه الأشياء.

حدث صمت طويل. ومن خلال الكوّة نفذ نور خجول بائس. احتسى الرجل آخر رشفة من الشاي وعمل لفافة أخرى من العشب طرقها بنعومة ثمّ أشعلها. كان على وجنته أثر جرح أو حريق ما.

ـ حسناً ـ عليكِ أن تقرّري ـ قال. ونهض واضعاً يديه على ركبتيه. وكأنّ المسألة أنهكته.

لم تجب الامرأة. عبرت الغرفة وأنارت المكان. أشعلت النور.

ـ تستطيعين أن تدعي العمل ـ قالت للشّغالة حال دخولها بعد أن استأذنت بلطف. ومتّجهة نحو الرجل بسرعة وبحدّة:

ـ أنت، اذهب، الآن ـ قالت.

41 ـ في المستنقع Engenio Aguirre

لاحظ الأمير سون كاي سن وهو يمرّ أمام بركة المياه المترقرقة الجسم الخامل لسمكة حمراء طافية على السطح.

عانى قلبه هزّة مؤلمة وأطلقه حالاً صرخة في السّماء.

ـ من تجرّأ واقترف وحشية قتل أحد أسماكي ـ جار وهو محاط بحاشيته الضخمة: أثار صمتهم سمّ أفعى متربّصة، صبغت وجهه شعلة الغضب.

ـ من عاد يجأر شاهراً الرمح.

ركع التابعون مصممين على الموت، دون النطق بكلمة كيما يطفئوا لهب غضب سيدهم. تنقّبت الفساد بالحجب السّوداء وهي مسرعة إلى القصر.

واستمر الرمح يوّع يلوّح مرّة وأخرى حتى قطع خمسين رأس نبيل عندها توقّف الأمير وأجمل القول: خمسون حياة ثمن وجود أحد أسماكي المقدّسة. هذه ستكون الكأس من الآن فصاعداً.

في اليوم التالي وبعد أن قضى الأمير طوال الليل يسمع آهات ومراثي أتباعه، نزل إلى حدائقه الواسعة واتجه إلى البركة كي يمتع ناظريه بمرأى أسماكه وما رآه هناك رمى به إلى الأبد في بحران جنون أليم.

كان يعوم في البركة رؤوس أعضاء حكومته Corte وعلى الضفة كانت تنتظره الأسماك بحراشفها المحمّرة ليملي خطابه.

42 . مايرينا الفاحص ص83 . 84 Antouio Maehodo
كاتب اسباني

كان مايرينا كفاحص رحيماً جدّاً، لم يطرد إلاّ القليل من التلاميذ ودائماً بعد فحوص مختصرة جدّاً. مثلاً:

- أتعلم شيئاً عن اليونانيين؟

- اليونانيّون... اليونانيون كانوا برابرة.

- يا لك من عبقري، باركك الله.

- ......؟

- تستطيع الانسحاب.

كان مايرينا وبشكل عام ذا هيئة ملائكية. ولكن في أعماقه براغيث لعينة. كثيراً ما يستقبل زيارة أحد الآباء العابرة، ليشتكي من عدم جدّية الامتحانات لا من طرد ولده. لم يكن لموقف مفاجئ كهذا - ولو أنه قصير - من مهرب.

ـ أتكفيك رؤية الطفل كي تطرده؟ ـ قال الزّائر، ملوّحاً بذراعيه، إشارة غضب لدهشة تعجبية.

ويجيب مايرينا وقد احمّر حنقاً، وضارباً الأرض بعصاه بقوله:

ـ تكفيني رؤية والده.

43 ـ نوارس Pedra ugarte كاتب إسباني ص140 ـ 141

لقد تعارفا منذ بعض الوقت ويخرجان أحياناً سويّاً. هي طرية العود فتية، هو طويل لطيف فارس. يجوبان الشوارع والشواطئ، ويجهدان في أداء مواقف لا تنسى. يتحدّثان. يحاولان إثارة مشاعرهما. تعلن أنّها تحبّ النّوارس. ريشها الأبيض. رودانه فوق الجسور. أمّا هو فإنّه يرى النوارس كائنات كريهة. طيور تملأ الجوّ بأصواتها الجشّة المزعجة؛ ويعلم أنّه لن يغفر له إذا ما أعرب (أبان) ذلك.

ذات مرّة وهما يمشيان حيال الجرف، يشاهدان مجموعة نوارس ضاربة في الأرض، محتشدة بشكل لا يصدّق. تقول إنّها ستذهب لتراها عن كثب. تحبّها كثيراً. وهو يرفض بارتباك. من الأفضل السّير فوقها. تتحرّر من يده وتركض نحو النوارس. لا يستطيع الآن أن يفعل شيئاً. ما أن يراها النوارس تقترب حتّى تهرب مسرعة. غير أن البعض الشّديد بقي هناك ينقُر جثّة رفيقة ميتة وهو يطلق الأصوات والمناقير حمراء.على.

تتراجع صارخة، تعود باكية، راكضة، يعانقها. نصحتك ألا تذهبي. يتباعدان ولا يقولان شيئاً. لطالما علم ذلك؛ ولكن، حتّى الآن لا يستطيع

الإفصاح عنه. يشعران بالكذبة تنمو بين جسميهما ولا يستطيعان التغلب عليها إلاّ بتشادّ عناقهما أكثر أكثر.

ربّما. ذات مرّة. بشكل ما. كانت قد أحبّت النَّوارس.

44. اللصّ الحذر رامون غوميز دي سيرنا كاتب اسباني

كان يقرع باب كل بيت يظنّه خالياً، وإذا ما أجيب، يقدّم نسخة رواية كما لو أنّه إعلامي لدار نشر ما.

لكن ذات مرّة بعد أن تأكّد أن لا أحد في الدّار، استبدّ به رعبٌ قاتل لرؤيته سريراً في غرفة نوم داخلية، منتفخاً بشكل مخيف، انشقّ منه تسع قطط هربت راكضة.

ولرعبه ذاك لم يعد لصّاً.

ص 92. A EliminadoŃAntonio F.Moli93 كاتب اسباني

لم يكن هناك من علاج سوى اتّخاذ القرار. منذ خمسة عشر يوم وصل المدينة ولم يكن قد أطعم شيئاً ولو ليروي غليله، وعلاوة عندما يقدّمون له شيئاً ما يرفض بعناد.

45. من كتاب Ll Plan infinto للكاتبة ايزابيل الليندي عن الحرب

أناس. الحرب أناس. أوّل كلمة تطرق مخيلتي هي: البشر، نحن، أصدقاؤنا، إخوتنا. الكل موحدون في الأخوة اليائسة. رفاقي، والآخرون:

رجال، نساء وصغار، ذوو الوجوه الباهتة عليّ أن أكرههم. غير إنّي لا أستطيع، لأني بدأت أفهم في الأسابيع الأخيرة. هنا كلّ شيء إمّا أبيض أو أسود لا وجود للوسط أو لخليط. لقد انتهت المداهنة والازدواجية والخداع. حياة أو موت. تقتل أو تموت. نحن الأخيار وهم الأشرار ودون هذه الحقيقة نذهب زبداً جفاء وبشكل ما هي تعزية لنا وإحدى ميّزات الحرب. إلى هذه الهاوية يأتي الزنوج هرباً من الفاقة، يأتي الجميع: قرويّون فقراء ما زالوا يؤمنون بالحلم الأمريكي، بعض اللاتينيين المحمومين بحرارة الماضي؛ ومتحمسّون للبطولات عدوانيون وآخرون مثلي يفرّون من فشل ما أو ذنب. ولكنّنا في المعركة سواء. لا يهمّ الماضي، أعظم تجربة ديمقراطية إطلاق السّهام. علينا أن نثبت يومياً رجولتنا وروحنا الفدائية: مقاومتنا وقدرتنا على تحمّل الآلام والفوضى.

نقتل ونحن نصرّ على أسناننا دون تدمّر ودون تفكير أو تمحيص؛ علينا الطّاعة ولذا نساق فصائل كالخيول، درّبونا بالضّرب والإذلال والسّبا لسنا بشراً في هذا المسرح التراجيدي من الشدّة. إنّنا آلات في خدمة ما دُعيَ وطن. يفعل المرء أيّ شيء ليبقى حيّاً. أُحسن صنعاً عندما أقوم بقتل أحدهم فعلى أقلّ تقدير لم أزل حياً. أقبل الانحطاط ولا أحاول تفسيره، أتقلّد سلاحي بكلّ بساطة وأطلق الرّصاص. لا تفكّر كي لا تخطئ وتتردّد فتموت، إنّها قاعدة الحرب الأساسية. لا يملك العدوّ وجهاً ليس إنساناً إنّما هو حيوان شبح شيطان؛ لو أنّي أؤمن بذلك من كلّ جوارحي إذن لهان الأمر، غير أنّ "سيروس" علّمني أن أتمحّص كل شيء وأن اسمّي الأشياء بأسمائها: قتل، إجرام...

أتيت لأتخلّص من اللامبالاة ولأستشعر عاطفة ما. إنّني أقوم بعمل غريب لأضيف تجارب مخيفة وكيما أعطي معنى لحياتي. أتيت "واللائمة على همنغواي" أفتّش عن الرجولة عن هدفٍ ما وعن تعريفٍ للذكورة فخوراً بعضلاتي ومقاومتي الأحداث، مستعداً لامتحان قلعتي. فلقد مللت خداع المشاعر. كثيراً ما يعيش المرء بأنفاس السّخافة، يخيّل لي عبر الهواء أن كلّ شيء نقي مطهّر بالنار ولكن هناك في الأسفل جهنم!!

لا أحد يريد المثقفين النقاد أصحاب الضمير. المقبولون الوحيدون هم الفجّار، الزنوج الأمّيون، العصابات اللاتينية والمجرمون الذين يخرجونهم من السّجون خصيصاً، وأمثالي من الفاشلين. نتحرّك بجنون لنحيا وفي الطريق نلقى الموت، لن ننجو أبداً. أجل قد يخرج البعض سليماً ظاهرياً ولكن لا أحد يعود كما كان سابقاً؛ ولا من يهمّه الأمر فنحن على أيّة حال قمامة. هذه حرب بين الأسود والأبيض. لكل امرئ قصّة لا أودّ سماعها. أملي انجاز عملي وانقضاء الوقت لأخرج منها حيّاً. لم أهدف يوماً لأبعد من قيامي بالواجب ولطالما قلت: من الأفضل أن تعيش كما الجبان على أن تموت كأبله.

أخشى الضّياع التام وفقدان التميز بين الخير والشرّ من الانحطاط الذي وصلنا إليه. من المستحيل أن يعيش المرء ولا واجب عليه تجاه أحد... لا تهن، لا تقف إذا ما أغضيت تمتْ.. المهمّ في الأمر ألاّ تفكّر وألاّ تتردّد.

إذا ما تخيّل المرء الموت يلقاه كحدس ولكنّي لا أستطيع ألاّ أفضل ذلك إن صور الموت والأحاديث عنها تملأ رأسي أريد التفكير بالحياة. متى سنموت جميعنا. ليست المسألة معمودية بالنّار؛ كلّ ذلك يحدث بشكل هائج فجائي

حيث الأحداث النكراء متوالية وسباق الفئران والهررة في الشّقة تنتهي كالعادة بالتوقّف ليلاً ليستيقظ فزعة. ظاهراً تبدو الأمور متعادلة ولكن هناك إشكالية وأسلوب تبجيلي فكلّ يدّعي السّهر على شرفه بقرارات فخرية تعادي المفسدين الذين يتاجرون بهذه الحرب وتقف ضدّ السياسيين والجنرالات وخرائطهم وحواسيبهم وأخطائهم المميتة واختيالهم اللامحدود ؛ ضدّ البيروقراطيين وقوائم باشو يتهم وأيضاً ضدّ من يلوّح بالأعلام ويصفّق لنا عندما نظهر على شاشة التلفزيون وهم لا يعلمون لماذا نقتل! أحشوا مدافع أم أبطال مدافعون عن الحرية الكلّ ينظّر وكلّ له فكرته الخاصّة. أفكار! هذا ما كان ينقصنا هنا ، الأفكار اللعينة!! هذه التيارات المهلكة القاتلة. هذا مناخ كوكب آخر نتبادل فيه الصّقيع والحمم.

إنّنا لمنتصرون ولا أعلم لماذا إذن الشّعور بالهزيمة؟ سينتصر الحقّ كما في الحكايا والحقّ معنا أليس كذلك؟

نحتلّ الجوّ والبحر ليس إلاّ أن نضغط الزرّ الصغير الشّهير وإذ بهروشيما. ماذا؟ أتعوّل على قنابل عفا عليها الزمن وقد أصبح لدينا قنابل أفضل وأشدّ قتلاً ؛ ولكنّك لا تهزم المقاتلين لا جوّاً ولا بحراً بل اشتباكاً على الأرض رجل لرجل وكتف لكتف.. وحشية متطرّفة عليّ ألاّ أفكّر برفاقي الذين اختفوا أو قتلوا أو قضوا نحبهم بلهيب النيران ولا بالجماهير النّازحة من الفارين الهاربين.

لا مكان للمشاعر فقط عليّ أن أخرج منها حيّاً ؛ لا أستطيع أن أرى الآخرين فالكلّ ممهور بختم الموت. ترعبني نظرات العيون الفارغة لصغارِ شباب الثمانية عشر عام كلّهم تائه في هاوية سوداء.

من طول ما راينا وجه الموت تعلمت قيمة الوجود الشيء الوحيد الذي تملك هو الحياة ولا شيء أكثر قيمة منها ومع ذلك فالموتى يلاحقونني يرافقونني دوماً إنّهم رفاقي. إمّا أن تقتل أو تموت هكذا بكلّ بساطة ليست المسألة مسألة أخلاق.

أعتقد إنّي اكتشفت سرّ دوام الحرب، إنّما هي اختراع الرجال كبار السّن ليقضوا على الشباب لأنّهم يكرهونهم منافسين لهم، يخافونهم لا يحبّون مشاركتهم في شيء نساءً كانت، سلطة أو مال يعلمون إنّهم سيدحرونهم عاجلاً أم آجلاً، ولذلك يرسلونهم للموت حتّى ولو كانوا أبناءهم، إذا كان هذا منطقياً للكبار فكيف يرضى بها الشباب؟ كيف لم يثوروا ضدّ هذه المجازر خلال آلاف السنين؟ هناك جواب: قد يكون شيء ما غير الغريزة البدائية للنّزاع، إنّه الشعور باللذة تجربة إرواء العطش

الحبّ الأوّل المسؤول أو الكشف القدسي يقول أولئك الذين يعلمون؛ لنتقبّل هذا ولنترك التفكير فيه. نولد نعيش ونموت. الحياة شبكة ألم وعلاوة على ذلك إنّها الوحدة والوحشة.

هناك تفسيرات فلسفية ولكن إذا كنت تؤثر قصّة جنّة عدن تعتبرها عقاباً للسّلالة البشرية لتذوّقها ثمرة المعرفة.

الحياة عروس عطشى تطالب دائماً بشجاعة أكبر وقوّة أعظم. كي تبقى عليك أن تكسر الكثير من القواعد. الدنيا ليست للخجول وإنّما هي للجسور والحياة الحقيقية إنّما هي للمخادع لا للأبطال، لا حلّ أخلاقي للحرب، لا منتصرون فيها، الكلّ يشكّل جزءاً من الفشل الذريع لا

مشاريع ولا قيم وما القانون إلا شبكة عنكبوتية بيروقراطية والقدرة ان تكون عنكبوتاً لا ذبابة، ليس هدف الحرب تحقيق العدالة ولا معاقبة المجرمين أو التعويض على الضحايا بل استخدام أيّة وسيلة مستطاعة؛ كيما تربح عليك أن تعرف الشروط اللامنطقية واستخدامها لمصلحتك!! والممارسات العادية هي إخفاء الوثائق، تحريف الشهادات وتشويه الحقائق. إنّ الحرب صنيعة الصّالونات.

لا يكاد المرء يقف على شيء من الأشياء سوى أنّ الموتى يمشون والأحياء يداً بيد ويخرج المرء وذيله بين ساقيه... إنّه لمن المؤلم أن يكون هذا عكس ما علّمونا في الجامعة.

ألمانيا 2012/11/07

الفهرس



جوزفين الياس كوزاك



الشاعرة في سطور :

- ولدت في جزر الكناري بإسبانيا
- عادت إلى الوطن مع والديها هرباً من الحرب الأهلية في إسبانيا
- تلقت دراستها الابتدائية في "عيون الوادي" والإعدادية في الثانوية الأرثوذكسية بحمص .
- هاجرت إلى أمريكا الجنوبية، ثم عادت بعد خمس سنوات لتحصل على الشهادة الثانوية عام 1956.
- أكملت دراستها الجامعية في كلية الآداب بجامعة دمشق، حيث نالت شهادة الليسانس في الفلسفة، والدبلوم في التربية من كلية التربية.
- تابعت دراستها العليا في جامعة القديس يوسف "اليسوعية" في بيروت، ونالت شهادة الدبلوم العامة في الدراسات العليا عام 1974 بتقدير جيد جداً.
- بدأت بالتحضير لنيل شهادة الماجستير بأطروحة عن الفيلسوف ابن باجة، لكن الحرب الأهلية اللبنانية حالت دون متابعة الدراسة.
- اجتازت في حياتها الكثير من الصعوبات والتحديات التي جعلتها تلجأ إلى نظم الشعر الوجداني كي تخفف من آلامها.
- جمعت بعض قصائدها في ديوان " في انتظار الموعد " وهو باكورة إنتاجها .
- تتقن اللغتين الإسبانية والإنكليزية، ولها بعض الترجمات عنهما .

صدر للشاعرة : في انتظار الموعد || - عبق الأيام
- رجع الحنين || - مرايا الرفيف || - في كلا الحالين .. آه،
- إلى دمشق- شعر..

المخطوطات :- ترجمات عن الإسبانيّة || - خواطر

